إحياء ذكرى فقيد الوطن والمهجر
أيوب مسلّم يعقوب مسلّم
١٩٠٥–٢٠٠١

د. عدنان أيوب مسلّم

طبعة أولى

إحياء ذكرى فقيد الوطن والمهجر
أيوب مسلّم يعقوب مسلّم
١٩٠٥–٢٠٠١

إعداد:
د . عدنان أيوب مسلّم

صدر عن: ديار للنشر، بيت لحم، فلسطين – ٢٠١٥

الترقيم الدولي: ٧–٢٦–٣٧٦–٩٩٥٠–٩٧٨

المطبعة: البطريركية اللاتينية – بيت جالا
الإخراج الفني والجمع: ديار للنشر
تصميم: إنجريد أنور الخوري

بدعم من:

جميع حقوق الطبع أو إعادة النشر محفوظة لديار للنشر ٢٠١٥

١. بلدية بيت لحم ٢. الصحافة الفلسطينية ٣. أيوب مسلّم ٤. الأردن
٥. السياسة في فلسطين ٦. الإنتداب في بريطانيا ٧. مقالات ٨. سيرة ذاتية ٩. الكشاف ١٠. المهد

www.diyar.ps

الفهرس

– المقدمة
القس د . متري الراهب ٧

– إحياء ذكرى فقيد الوطن والمهجر أيوب مسلّم يعقوب مسلّم (٢٠٠١ – ١٩٠٥)
د .عدنان مسلّم ٨

– أيوب مسلّم يعقوب مسلّم وتأسيس كشافة المهد البيتلحمية وإصدار نشرة كشفية
د .عدنان مسلّم ٢٥

– إلى ما وراء البحار، هجرتنا وخطرها على البلاد، مجلة الكشاف – بيت لحم
ايوب مسلّم يعقوب مسلّم

– الصحافة الفلسطينية البيتلحمية في العهد الأردني، نبذة عن مجلة المهد
د .عدنان مسلّم ٢٥

- ظاهرة الهجرة وجريدة المهد البيتلحمية، مذكرات رحلاتي إلى الأمريكتين
أيوب مسلّم يعقوب مسلّم ٢٥

- مجلة المهد والشتات الفلسطيني في أمريكا اللاتينية
د .عدنان مسلّم ٢٥

- يعقوب مسلّم يعقوب مسلّم الملقب بالعقاب (الصقر)، سيرة حياته واستشهاده
أيوب مسلّم يعقوب مسلّم ٢٥

- التطورات التي مر بها تاريخ تأليف المجالسالمحلية والبلدية في بيت لحم
أيوب مسلّم يعقوب مسلّم ٢٥

- بيت لحم والرحالة كلير برايس Clair Price
أيوب مسلّم يعقوب مسلّم ٢٥

- تاريخ بني الحارث أمس وعشائر التعامرة اليوم للسيد نوفيل قنصل فرنسا العام في القدس سابقاً
أيوب مسلّم يعقوب مسلّم ٢٥

- أسماء أصحاب الأملاك والأراضي البيتلحمية التي شيد في مكانها ميتم الأب أنطون بلوني أو دير الأباء السالسيين حالياً كما رواها الأب يوحنا النحاس السالسي في كتابه حياة الأب أنطون بلوني
أيوب مسلّم يعقوب مسلّم ٢٥

شذرات
أيوب مسلّم يعقوب مسلّم ٢٥

صفحات
أيوب مسلّم يعقوب مسلّم ٢٥

تنبؤات حول مولد السيد المسيح
أيوب مسلّم يعقوب مسلّم ٢٥

العذراء مريم سيدة بيت لحم الأولى
أيوب مسلّم يعقوب مسلّم ٢٥

هؤلاء الرحالة، والمؤرخين، والسياح، ورجال الدين، والنساك زاروا بيت لحم وقالوا عنها
أيوب مسلّم يعقوب مسلّم ٢٥

حكم «حماد البرقي » شـيخ عشـيرة الكعابنة في بيت لحم وحكم الشـيخ «جابر » والشيخ «عودة الديري » من الخمسَة في بيت لحم
أيوب مسلّم يعقوب مسلّم ٢٥

إهداء

أهدي هذا الكتاب الى

روح الوالد الحبيب أيوب مسلّم يعقوب مسلّم
الذي علمني أن أعتمد على نفسي

روح الوالدة الحبيبة فريدة نقولا مسلّم وروح جدتي الحبيبة روجينا سلمان مسلّم (ام نخلة)
اللتان تركتا فراغاً كبيراً في حياتنا...
أطفالاً وشباباً وشيباً ...

الى اللذين آزروني في مسيرتي الحياتية والتربوية والثقافية في الوطن:
القس د.متري الراهب، د.جريس سعد خوري، وتلميذي الأستاذ زغبي زغبي
وجامعة بيت لحم

الى زوجتي وبناتي الخمسة وحفيداتي وأحفادي...

عدنان مسلّم

المقدمة

يسر ديار للنشر أن تقدم للقارئ الفلسطيني الكتاب الثاني من سلسة السير الذاتية، والتي كنّا بدأناها في العام الماضي بالسيرة الذاتية للسيد راجي خوري. إن الهدف الرئيسي من هذه السلسة الجديدة لديار للنشر هو المساهمة في كتابة التاريخ الشفوي الفلسطيني كجزء أصيل من كتابة الرواية الفلسطينية كما عاشها آباؤنا وأجدادنا وذلك بهدف بلورة هوية فلسطينية متجذرة في التاريخ تتسم بدينامية تتطور بمرور الزمن.

وها نحن اليوم نهدي إلى المكتبة العربية هذا الكتاب الثمين لرجل من رجالات مدينة بيت لحم ورائد الصحافة العربية فيها. لقد خط المرحوم عيسى بندك سيرة حياته بخط اليد وكأنه أراد أن يترك للأجيال المتلاحقة إرثاً ثميناً يسلط الضوء من خلاله على القضية الفلسطينية في محطاتها المتعددة، وهو الذي عايشها منذ نعومة أظفاره وحتى عام وفاته ١٩٨٤.

ويسرد المرحوم في مذكراته لقاءاته مع العديد من الملوك والرؤساء العرب والأجانب أمثال رياض الصلح، والخديوي عباس حلمي، وموسوليني، والملك فيصل الثاني والملك عبد الله، والملك عبد العزيز آل سعود، وملك اليونان بول والحاج أمين الحسيني وغلوب باشا والجنرال فرانكو كما ويسرد عيسى بندك لقاءاته لشرح القضية الفلسطينية في العديد من المحافل الدولية كالفاتيكان والأمم المتحدة وخدمته وزيراً مفوضاً في مدريد وسفيراً للأردن في التشيلي. ويسلط الكتاب الضوء على أول جريدة صدرت في بيت لحم: "بيت لحم"، والتي كان عيسى أحد مؤسسيها بالإضافة إلى جريدة «صوت الشعب»، التي صدرت في بيت لحم أيضاً، والتي أسسها ورأس تحريرها عيسى بندك لتكونا بحق صوتاً للشعب وأداة للتواصل الثقافي والتثقيف السياسي.

ولا يسعني هنا إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى د. عدنان أيوب مسلم الذي أشرف على إصدار هذا الكتاب والذي قدم له ببحثين هامين عن الصحافة في بيت لحم وعن السياق العام الذي عمل فيه عيسى بندك. كما ونشكر السيدة سعاد أبو ردينة (أم نبيل) التي أتاحت لنا نشر مذكرات والدها وأمدتنا بالصور التي ننشرها في هذا الكتاب. كما وأتقدم بالشكر إلى كل من ساهم في إنجاح هذا الكتاب وقدم الدعم الفني واللوجستي، وأخص بالذكر الأستاذ سلامة رزق الله الذي أشرف على تنقيح اللغة العربية، والسيدة هبة ناصر الأطرش والآنسة إنجريد خوري اللتان قامتا بتصميم هذا الكتاب كي يأخذ شكله الفني الذي يليق به.

وكلنا أمل أن يكون هذا الكتاب جزءاً من الذاكرة الفلسطينية وأن يشجع الكثيرين على القراءة والكتابة.

بيت لحم، آب ٢٠١٣

إحياء ذكرى فقيد الوطن والمهجر
ورئيس بلدية بيت لحم سابقاً المرحوم
أيوب مسلّم يعقوب مسلّم
(١٩٠٥ – ٢٠٠١)

بقلم: د. عدنان مسلّم

في يوم الجمعة الموافق ٦ تموز ٢٠٠١ أقيم قداس عن روح الفقيد في كنيسة مار أنطون التابعة للجمعية الأنطونية الخيرية وبعد القداس مباشرة أقيم تأبين للمرحوم شاركت فيه كل من المؤسسات التالية: بلدية بيت لحم، والجمعية الأنطونية، والجمعية العربية للتأهيل، وجمعية تنظيم وحماية الأسرة / منطقة بيت لحم، ونادي الليونز الدولي، وكشافة تراسنطا. بمناسبة مرور ثلاثة عشر عاماً على وفاته (٢٠٠١ – ٢٠١٤) أقدم لكم هذا الكتاب عن حياته وأعماله.

نبـــذة عن حيـــاة الفقيـــد

وجد د. عدنان أبيات الشعر هذه بين أوراق والده بعد وفاته بأيام وهي موجهة إلى أفراد عائلته وأحفاده ورفاق دربه للذكرى:

أنا الصبـــا وأخو الصـباو — أنا في الشـــــباب بيـــاني
فإذا وهنت قواي وخـارت — اذكروني واذكروا أيامـــــي
وإذا مـت فادفنوني بينكـم — ومن العواطف انسجوا أكفاني

نشـــأته

ولد لمسلّم يعقوب مسلّم ابن بيت لحم وروزا عيسى العلم ابنة بيت جالا في عام ١٩٠٥. أمضى طفولته في مدينة الكرك حيث عمل والده مقاول بناء، وتوفي والده مسلّم إبان الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٦ ودفن في الكرك، وفي نفس العام سقط أخوه الكبير بشارة في العمليات العسكرية العثمانية على سيناء وقناة السويس. أما أخوه الصغير يعقوب الملقب (بالعقاب)، عضو فرق الجهاد المقدس، والمدرب العسكري لشبيبة بيت جالا في حرب ١٩٤٨، فقد استشهد في عام ١٩٤٩ وهو يقوم بعملية البحث عن حقول ألغام زرعت في منطقة كريمزان إبان حرب فلسطين.

وقد تزوج المرحوم في عام ١٩٣٤ من فريدة نقولا خليل يوسف مسلّم، وكان والد فريدة نقولا قد سقط في الحرب العالمية الأولى في مرحلة التجنيد الإجباري. وقد أنجبت له ليلى وأمل وسهيلة ونوال وأنطون وسعاد وعدنان وعبلة وهيام. وقد توفيت زوجته (فريدة) أم أطفاله التسعة في عام ١٩٥١ في ريعان شبابها. وبعد ستة أشهر توفيت الطفلة هيام. وتزوج من زوجته الثانية فرجيني أبو خليل في نفس العام وأصبحت راعية لأطفال المرحومة كما قامت والدة المرحومة روجينا سلمان مسلّم (أم نخلة) برعاية وتربية الأطفال وسدت فراغاً كبيراً في حياتهم.

درس في مدرسة بيت جالا للذكور، وكلية كردينال فراري في القدس، وكلية بطريركية اللاتين اللاهوتية في بيت جالا وفي كلية الحقوق في القدس.

الوظائف والنشاطات الاجتماعية والسياسية في العهد البريطاني:

- عام ١٩٣٠ عمل مدرساً في رام اللّه وعبود وبرقين وبيت ساحور وكلية تراسنطا في بيت لحم حتى عام ١٩٣٧.
- عام ١٩٣٠ أسس فرقة كشافة في مدرسة بيت جالا للذكور.
- عام ١٩٣٤ أسس فرقة كشافة المهد، وأصدر باسمها مجلة الكشاف.
- عام ١٩٣٦ اشترك في تأسيس جمعية الإسعاف والإصلاح لمنطقة بيت لحم.
- عام ١٩٣٦ اشترك مع جمال الحسيني في تأسيس فرق الفتوه التابعة للحزب العربي.
- عام ١٩٣٧ اعتقل من قبل سلطات الانتداب لمدة ستة أشهر في معتقل صرفند.

- عام ١٩٣٨ اعتقل من قبل سلطات الانتداب مدة ستة أشهر في معتقل خربة أبو غوش.
- عام ١٩٣٩ اعتقل مدة ستة أشهر في معتقل عتليت.
- عام ١٩٤٢ أسس النادي الأدبي في بيت لحم وكان رئيسه.
- عام ١٩٣٨ – ١٩٤٠ عمل محرراً في جريدة اللواء (القدس)، لسان حال الحزب العربي الذي ترأسه الحاج المفتي أمين الحسيني، ومديراً لمجلة الشباب الأسبوعية (القدس)، لسان حال الحزب العربي.
- من عام ١٩٤١ – ١٩٤٨ عمل مديراً لشركة «سبني» ليمتد في محافظة القدس.

الوظائف والنشاطات الاجتماعية والسياسية في العهد الأردني:

- من عام ١٩٤٩ – ١٩٥٣ كان مديراً لشركة قطان وشركاه التجارية في الضفة الغربية.
- من عام ١٩٤٩ – ١٩٥٥ كان سكرتير غرفة تجارة وصناعة منطقة بيت لحم.
- من عام ١٩٥١ – ١٩٥٦ أصدر مجلة سياسية أسبوعية باسم مجلة المهد باللغتين العربية والإسبانية وكانت لسان حال المغتربين الفلسطينيين في الأمريكتين، وكان صاحبها ورئيس تحريرها.
- عام ١٩٥٣ قام بجولة في الأمريكتين من أجل حض المغتربين على مقاومة قانون أردني صدر عام ١٩٤٩ حرّم على المغتربين الحصول على الجنسية الأردنية بعد ضم الضفتين، وعقدت الاجتماعات في شتى مدنهم وديار سكناهم، وأرسلت المذكرات، وبرقيات الاحتجاج على هذا القانون إلى أن اقتنعت الحكومة الأردنية فعدلته لصالحهم وأصبح بإمكانهم الحصول على الجنسية الأردنية وحمل جوازها بالإضافة إلى جواز البلد التي يقيمون فيها.
- عام ١٩٥٤ أسس في بيت لحم نادي الليونز الدولي لمنطقة بيت لحم وكان تارة سكرتيره وتارة رئيسه.
- عام ١٩٥٥ و ١٩٥٦ و ١٩٥٧ اشترك في مؤتمرات أندية الليونز في بيروت والقاهرة والقدس وعمان وطرابلس وأمريكا وفي هذا المؤتمر انتخب نائباً للحاكم العام لأندية الليونز لمنطقة الشرق الأوسط.
- عام ١٩٥٥ أسس مع جورج أنطون سلمان مصنعاً للنسيج في بيت لحم باسم مصنع النجمة للنسيج، وقد أغلق عام ١٩٨٢.
- عام ١٩٤٩ – ١٩٥٥ اشترك في كافة مؤتمرات الغرف التجارية في الأردن.
- عام ١٩٦١ اشترك في مؤتمر أندية اللوينز الدولية في مدينة أتلانتيك سيتي في ولاية نيوجيرسي في الولايات المتحدة.
- وكذلك في عام ١٩٦١ اشترك في مؤتمر رؤساء البلديات الدولي في مدينة واشنطن.

- عام ١٩٦٩ اشترك في تأسيس نادي الاتحاد العائلي المختلط في بيت لحم.
- كما اشترك في المؤتمر الفلسطيني الأول المنعقد في القدس في عام ١٩٦٤، حيث تأسست منظمة التحرير الفلسطينية.

المناصب التي شغلها الفقيد في العهد الأردني وبعد الاحتلال:

- ١٩٥٨ – ١٩٦٢ كان رئيساً لمجلس بلدية بيت لحم
- ١٩٦٣ – ١٩٦٦ كان نائباً عن منطقة بيت لحم في البرلمان الأردني وإبّان هذه الدورة عين وزير الإنشاء والتعمير في الحكومة الأردنية.
- في عام ١٩٦٥ كان عضواً في الوفد البرلماني الأردني الذي زار فرنسا بدعوة من الجمعية الوطنية الفرنسية. في عام ١٩٦٣ وحتى نهاية عام ١٩٦٦ كان عضواً في اللجنة القانونية في البرلمان الأردني.
- ١٩٦٩ – ١٩٧٢ عمل مسؤول البناء في مديرية التربية والتعليم لمنطقة بيت لحم.
- ١٩٧٢ – ١٩٧٦ كان عضواً في بلدية بيت لحم

نشاط الفقيد عشية مرضه ووفاته:

كان رئيساً وعضواً في مجلس أمناء جمعية بيت لحم العربية للتأهيل، ورئيسا لجمعية تنظيم الأسرة الأردنية في منطقة بيت لحم، وعضواً في مجلس شرف الجمعية الأنطونية الخيرية، وعضواً في مجلس الأهالي لجمعية تنظيم وحماية الأسرة الأردنية.

أعماله المنشورة وغير المنشورة:

- مقالات في مجلة الكشاف، ١٩٣٤ – ١٩٣٥
- «هجرتنا وخطرها على البلاد»، مجلة الكشاف، بيت لحم، آذار ١٩٣٧
- افتتاحيات ومقالات في مجلة المهد ١٩٥١ – ١٩٥٦
- ألف كراس عن تاريخ بيت لحم بالعربية والإنجليزية إبّان عمله كرئيس لبلدية بيت لحم. غير أن الكرّاس طبع فقط على الاستانسل ومن ثم قام بتوزيعه.
- كما ألف قصة اجتماعية عنوانها «رمز الشقاء» ولكنها لم تنشر.
- ومن أعماله القيمة الذي يحتوى على روائع التراث المحلي المخطوط غير منشور عنوانه «بيت لحم في بطون التاريخ وعلى السنة الرحالة والمؤرخين.»

- وقد نشرت بعض المقالات من هذا المخطوط في مجلة بيت لحم، لسان حال الجمعية الأنطونية الخيرية، ١٩٨٦ – ١٩٩٨، منها المقالات التالية:
  - الغرسة الأنطونية (حزيران ١٩٨٦)
  - صرخة من الأعماق إلى كل بيتلحمي وبيتلحمية في المهجر (١٩٨٧)
  - صفحات من كتاب بيت لحم في بطون التاريخ وعلى ألسنة الرحالة والمؤرخين (١٩٨٨)
  - التطورات التي مر بها تأليف مجلس بلدية بيت لحم (١٩٨٩)
  - صفحات من كتاب بيت لحم في بطون التاريخ (١٩٩٠ – ١٩٩١)
  - شذرات من كتاب بيت لحم في بطون التاريخ وعلى ألسنة الرحالة والمؤرخين (١٩٩٣ - ١٩٩٦)
  - تنبؤات حول مولد المسيح (١٩٩٧ - ١٩٩٨)
  - بيت لحم (١٩١٧ – ١٩٢٠) والرحالة البريطانية Clair Price (١٩٩٧ – ١٩٩٨)

** ترك هو وولده د. عدنان لجامعة بيت لحم ومركز الفلسطينيات (تراثنا) في مكتبة الجامعة مجموعة خاصة باسمهما تتكون من التراثيات والسجلات والأوراق الخاصة والمجلات والميكروفيلم لتكون نواة ومصدر أبحاث عن المجتمع البيتلحمي والفلسطيني.

نأتي إلى هذه الدنيا وكلنا للزوال فسبحانه لا يبقي حال على حال

انظر كذلك الموقع الإلكتروني (www.Bethlehem-holyland.net)

رئيس بلدية بيت لحم
١٩٥٨ - ١٩٦٢

بلدية بيت لحم
خارطة مشروع المخطط الهيكلي

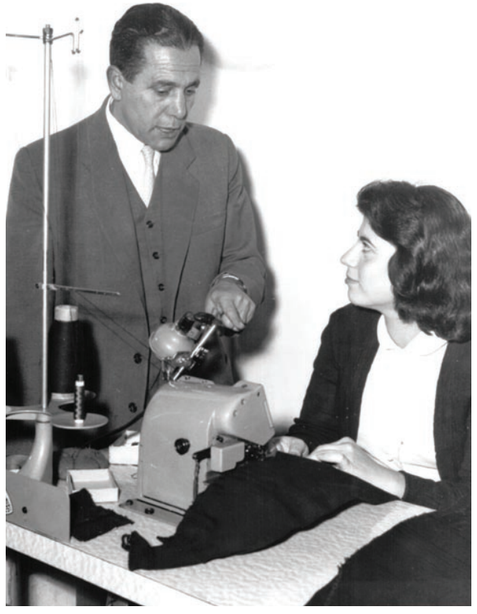

تصویر
موزیس میکیل

CITY OF Clinton CLINTON, IOWA
TO ALL WHO SHALL SEE THESE PRESENTS
Greetings:
BE IT KNOWN THAT THE MAYOR OF THE CITY OF CLINTON, IOWA
In the name of this people, does hereby award
Hon. AYOUB MUSAITAM
In recognition of outstanding service as an envoy of
Fellowship and Good Will, the Title of
HONORARY CITIZEN
OF CLINTON, IOWA
In witness whereof the Mayor and City Clerk of the City
5 th July, 1961
Mayor
City Clerk

City of Hopkinsville
Hopkinsville, Kentucky
Hon. Ayoub Musallam
of the City of Hopkinsville with all the privileges and powers the

GREETINGS
be it hereby known that
AYOUB MUSALLAM
honorary citizen
SPRINGFIELD, ILLINOIS
HOME AND LAST RESTING PLACE OF ABRAHAM LINCOLN
AND CAPITAL OF THE STATE OF ILLINOIS

Greetings
Be it hereby known that
H. E. AYOUB Musallam
of the City of Costa Mesa, California
Honorary Citizen
of
The City of Costa Mesa, California
1965

نادي ليـونز بيت لحم والقضاء

في اليوم الثاني والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٩٥٤ ونتيجة اجتماعات عدة ، ومداولات كثيرة اجتمعت نخبة كريمة من ابناء منطقة بيت لحم وقرروا تأسيس نـادي اجتماعي لهم باسم نادي ليونز بيت لحم والقضاء .

وهكذا شاء الله ، ان يرى هذا النادي النور في اليومين الاخيرين اللذين سبقا الاحتفال بعيد الميلاد المجيد وشاء الحظ كذلك ان يكون تأسيس هذا النادي بمثابة هدية عيد الميلاد ، مـن مؤسسه الى اهالي وسكان منطقه بيت لحم ، علماً منهم بان هذا النادي يحمل من الاهداف والغايات الاجتماعية والانسانية السامية ، سيمكنهم من خدمة بلدهم ومجتمعهم ، ولانه يحمل ذات الرسالة الانسانية في المحبة والسلام والاخوة ، التي حملها من قبل للعالم اجمع مواطنهم الاول المسيح له المجد .

ومنذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا والنادي برجالاته يقدم خدماته على احسن وجه ، تنال بذلك اعجاب وتقدير المواطنين ، ومن مشاريعه التي حققها طوال هذه المدة هي ما يلي :

١) بنك الدم الذي اسسه بالتعاون مع ادارة مستشفى العائلة المقدسة في بيت لحم فقدم للمواطنين خدمات انسانية مثل .

٢) وزع ١٫٠٠٠ رزمة من الملابس والقرطاسية المدرسية المختلفة على مدارس منطقة بيت لحم .

٣) بنى ثلاثة ملاعب واهتم بتعليمهم تعليماً ثانوياً كاملاً .

٤) بنى طالباً واهتم بتعليمه تعليماً ثانوياً وجامعياً .

٥) احتفل مرتين بليلة عيد الميلاد المجيد ووزع خلالها الالعاب والهدايا على الاطفال والفقراء .

٦) اقام مسابقة انشائية لطلاب وطالبات مدارس منطقة بيت لحم ووزع فيها الجوائز الثمينة عـلى الفائـزين منهـم .

٧) قدم المؤن للمؤسسات الخيرية وملاجي الايتام والعجزة في منطقة بيت لحم بالتعاون مع مؤسسة كير الخيرية في الاردن .

٨) قدم طاولات وكراسي لمدرسة العميان في بيت لحم ، وقدم كذلك اسرة حديدية لملاجي العجزة والمقعدين .

٩) قدم ناقة للمرضى « تردلي » ملجأ عجزة الجمعية الانطونية في بيت لحم .

١٠) اقام مخيم تدريبي لمدة شهر كامل في قرية عايدو قضاء رام الله قدم خلالها الهدايا على طلابه وطالباته الذين زاد عددهم على المائة طالب وطالبه .

١١) اقام ناقورة جميلة من الرخام في مدخل مدينة بيت لحم وقدمها كهدية عيد الميلاد لعام ١٩٦٥ لمجلس بلدية بيت لحم .

١٢) بنى ملعباً لفيفاً في ملجأ « الكريش » لمدة سنتين الى ان وافاه الاجل .

١٣) اقام الحفلات الاجتماعية والندوات الثقافية بصورة مستمرة

١٤) استقبل اكـبر الشخصيات الليونزية العالميـة وأقام على شرفها الحفلات ولم يتوانى معلناً عن الاشتراك في المؤتمرات الليونزية الدورية .

سكرتير النـادي
نقـولا عـواد

رئيس نادي الليونز في بيت لحم معالي السيد ايوب مسلم يرحب بالرئيس الدولي الدكتور والتر كامبل ، ويطلب اليه تدشين الناقورة الفضية التي اقامها النادي في مدخل مدينـة بيت لحم عام ١٩٦٥ ؛ ثم يقدمها باسم نادي بيت لحم الى سعادة رئيس البلدية السيد الياس البندك ؛ كهدية عيد الميلاد من النادي الى البلدية ويظهر في الصورة الدكتور كامبل ؛ والذبح فوزي عازار ؛ ومصباح الكافحي ؛ ورئيس بلدية بيت لحم وعدد من اعضاء الاندية في الاردن .

ايوب مسلم رئيس ، نخله قطان رئيس سابق ، نقولا عواد سكرتير ، جودي دقاق امين صندوق ، فرح حرامي نائب رئيس اول ، عيسى نجار نائب رئيس ثاني ، صالح حزبون نائب رئيس ثالث ، عيسى بندك مدير ، ادوارد خميس مدير ، حنا ناصر مدير ، يوسف جاسر مدير ، كارلوس داود مدير ، جليل اورانى مدير .

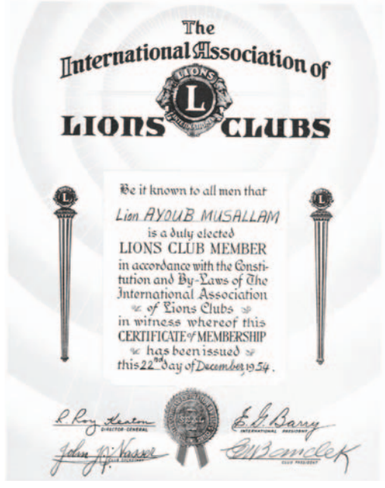

شـكر

فيما يلي نص كتاب الشكر ، الذي ارسله سيادة الشريف فواز شرف سكرتير عام مؤسسة رعاية الشباب في الاردن لنائب الحاكم ، يشكره فيه على دعوته له للمشاركة في احتفال الاندية الاردنية باليوبيل الذهبي التي اقيم مساء ١٩٦٧/١/١٤ في كازينـو البحر الميت تحت رعاية صاحب السمو الامير رعد بن زيد مدير مؤسسة رعاية الشباب في الاردن .

معالي السيد ايوب مسلم المحترم

نائب حاكم منطقة ٣٥١ لاندية الليونز الدولية

بيت لحم

يسرني ان أتقدم اليكم بالشكر على دعوتكم الكريمة لحضـور الحفلة التي اقيمت بمناسبة مرور خمسين عاماً على تأسيس اندية الليونز الدولية ، راجياً لكم التوفيق ، والنجاح لاندية الليونز في ظل راعي الشباب الحسين المفـدى

وتقبلـوا فائق الاحـترام

فـواز شـرف

Rafidi Printing Press — Ramallah - Jordan

أيوب مسلّم يعقوب مسلّم
وتأسيس كشافة المهد البيتلحمية وإصدار نشرة كشفية
(تشرين الأول ١٩٣٤ – أيار ١٩٣٥)

د. عدنان ايوب مسلّم

الكشاف والدوافع لإصدارها

قررت كشافة المهد البيتلحمية في جلستها العاشرة (٣٠ نيسان ١٩٣٤) إصدار نشرة كشفية لتكون أداة اتصال وتفاهم بين الحركة الكشفية الفلسطينية. وقد صدر العدد الأول من الكشاف في أول تشرين الأول ١٩٣٤ لمحررها المسؤول معلم الكشافة المربي أيوب مسلّم يعقوب مسلّم.

نبذة عن سيرة أيوب مسلّم يعقوب مسلّم

ولد لمسلّم يعقوب مسلّم ابن بيت لحم وروزا العلم ابنة بيت جالا في عام ١٩٠٥. أمضى طفولته في مدينة الكرك حيث عمل والده مقاول بناء، وتوفي والده مسلّم إبان الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٦ ودفن في الكرك، وفي نفس العام سقط أخوه الكبير بشارة في سير العمليات العسكرية العثمانية على سيناء وقناة السويس. أما أخوه الصغير يعقوب الملقب (بالعقاب)، عضو فرق الجهاد المقدس، والمدرب العسكري لشبيبة بيت جالا في حرب ١٩٤٨، فقد استشهد في عام ١٩٤٩ وهو يقوم بعملية البحث عن حقول ألغام زرعت في منطقة كريمزان إبان حرب فلسطين. وقد تزوج المرحوم في عام ١٩٣٤ من فريدة نقولا خليل مسلّم وقد أنجبت له ليلى وأمل وسهيلة ونوال وأنطون وسعاد وعدنان وعبلى وهيام. وقد توفيت زوجته (فريدة) أم أطفاله التسعة في عام ١٩٥١ في ريعان شبابها. كما توفيت الطفلة هيام.

المدارس والكليات التي درس فيها:
مدرسة بيت جالا للذكور، كلية كردينال فراري في القدس وكلية بطريركية اللاتين اللاهوتية في بيت جالا ودرس كذلك في كلية الحقوق في القدس.

الوظائف التي شغلها في العهد البريطاني:

- عام ١٩٣٠ – ١٩٣٧ عمل مدرساً في رام اللّه وعبود وبرقين وبيت ساحور وكلية تراسنطا في بيت لحم.
- عام ١٩٣٠ أسس فرقة كشافة في مدرسة بيت جالا للذكور.
- عام ١٩٣٤ أسس فرقة كشافة المهد، وأصدر باسمها مجلة الكشاف.
- عام ١٩٣٦ اشترك في تأسيس جمعية الإسعاف والإصلاح لمنطقة بيت لحم.
- عام ١٩٣٦ اشترك مع جمال الحسيني في تأسيس فرق الفتوه للحزب العربي.
- تم اعتقاله من قبل سلطات الانتداب لمدد مختلفة إبان ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩ في معتقلات صرفند وخربة أبو غوش وعتليت.
- عام ١٩٤٢ أسس النادي الأدبي في بيت لحم وكان رئيسه.
- عام ١٩٣٨ – ١٩٤٠ عمل محرراً في جريدة اللواء (القدس)، لسان حال الحزب العربي ومديراً لمجلة الشباب الأسبوعية (القدس)، لسان حال الحزب العربي.
- من عام ١٩٤١ – ١٩٤٨ عمل مديراً لشركة «سبني» ليمتد في محافظة القدس.

ومن أعماله القيّمة التي تحتوى على روائع التراث المحلي المخطوط غير منشور عنوانه «بيت لحم في بطون التاريخ وعلى ألسنة الرحالة والمؤرخين». وقد نشرت بعض المقالات من هذا المخطوط في مجلة بيت لحم، لسان حال الجمعية الأنطونية الخيرية، ١٩٨٦ – ١٩٩٨.

وأريد أن أنوه بأن الحركة الكشفية الفلسطينية تأسست في الفترة العثمانية ولكنها انتشرت بشكل واسع في العهد البريطاني وبالأخص بعد زيارة مؤسس الحركة الكشفية العالمية السير (روبرت بادن باول) إلى فلسطين في عام ١٩٢١، ووصلت الحركة الكشفية العربية إلى أوجها في عامي ١٩٣٥ - ١٩٣٦ عند نشوب الثورة. ففي عام ١٩٣٦ كان هناك مئة مجموعة تضم ٣٣٤٤ عضوا وكان من الطبيعي أن يتم تسييس هذه الحركة وحركات الشبيبة الأخرى في إطار الحركة الوطنية الفلسطينية مما حدى بسلطات الانتداب أن تتدخل لوضع حد لنشاطات الشبيبة، بما في ذلك الحركة الكشفية العربية ومنعها من الاشتراك في المسيرات والاحتفالات العامة والوطنية ومن لباس الأزياء الكشفية العربية الفلسطينية كالكوفية والعقال.

يقول مسلّم في العدد الأول (أول تشرين الأول ١٩٣٤ صفحة ١): «ما كدنا نشعر بشدة الحاجة إلى جمعية أدبية تجمع شمل الشبيبة وتعمل على تكوين أخلاقها من الشباب رجالاً عاملين في جسم أمتهم حتى أخذنا في البحث والدرس عن تلك الجمعية وكيفية إيجادها. فتمكنا أخيراً بعد أن اجمعت آراء نخبة من الشبان على تأسيس جمعية كشافة... وكان لظهورها دوي رددت صداه الصحافة الفلسطينية، فاقبل علينا الجمهور البيتلحمي الكريم وشجّعنا الشباب بانضمامهم ومساعدتهم وما زلنا نتابع الجهاد وننظم صفوفنا، ونبتكر الطرق الفعالة لتوطيد دعائمنا سائرين إلى الأمام».

ويستطرد قائلاً في العدد السابع (٢٦ أيار ١٩٣٥) «فما عليكم أيها الشبان وأنتم ترون أمتكم في أي حال هي الأن، ولم يتح لوالديكم أن يربوا فيكم روح الاعتماد على النفس، فهذه الكشافة وقد انتشر أمرها في بلادكم فاقبلوا عليها وساعدوا على نشرها فهي فقط تربي فيكم الاعتماد على النفس، وتنمي فيكم روح الاستقلال في الرأي حتى إذا ما دخلتم الحياة تكونون من العاملين في جسم أمتكم وبلادكم».

وعن الدافع الأساسي لإصدار نشرة «الكشاف» يقول معلم الكشافة في العدد الأول: «ولما كنا بحاجة ماسة إلى التفاهم مع إخواننا الكشافة العرب أجمعنا الفكر على إصدار نشرة تصدر مرة في الشهر لتكون صلة تفاهم مع إخواننا الكشافة – ولنسدي بها خدمة خالصة للبلاد والكشافة مكملين بها النقص الكائن مزودينها بالدروس والتعليمات الكشفية، شعارنا فيها الإخلاص والثبات».

محتويات الكشاف

أما محتوى النشرة فكان مليئاً بالأخبار الكشفية من المدن الفلسطينية المختلفة والزيارات المتبادلة بين فرق الكشافة. كما يضم نشاطات فرقة التمثيل لكشافة المهد حيث خصص ريع هذه التمثيليات في بيت لحم ومدن فلسطينية أخرى لتغطية نفقات الكشاف، كما ظهرت عدة مقالات عن تاريخ التمثيل والمسرح. والعينة التالية من إعداد الكشاف تبين لنا تنوع آفاق الحركة الكشفية الفلسطينية وكشافة المهد:

الكشاف / جريدة أدبية كشفية إخبارية تصدر مرة في الشهر
محتويات العدد الأول (١ تشرين الأول ١٩٣٤)
- كلمة لا بد منها للمحرر
- كلمتي الأولى بقلم السيد نصري سليمان جاسر
- ما هي الكشافة للمحرر

- اسمعوا ما يقول بادن باول مؤسس الكشافة
- مجال الحياة أمامك أيها الكشاف بقلم المرشدة ماري صموئيل عبد الأحد
- شعر إلى كشافة المهد، تخميس أنطون الشوملي
- أخبار كشفية
- حكم العرب وفكاهة

محتويات العدد ٣: السنة الأولى (١ كانون الأول ١٩٣٤)
- إلى الأمام أيها الكشاف – كلمة المحرر
- كلمة إلى الوالدين (التعريف بكتيبة الأشبال وأهميتها)
- درجة الكشاف الحديث
- نشاطات بادن باول مؤسس الكشاف العالمي
- أخبار كشفية (زيارة كشافة المسجد الأقصى في القدس لكشافة المهد في ١٩٣٤/١١/١١)
- أداء يمين الكشافة من قبل شبيبة بيت لحم
- زيارة كشافة المهد لفرقة كشافة المسجد الأقصى في ١٩٣٤/١١/١٨
- ألعاب الشبل

محتويات العدد ٥: السنة الأولى (١ نيسان ١٩٣٥)
- في إقدامكم حياة الأمة – كلمة المحرر
- تاريخ فن التمثيل لراجي الريشاني
- أعمال الكشاف السامية لعيسى القواس
- إنما نحن أبناء اليوم لفيليب قيسية
- زيارة الأمير عبدالله للرئيس العام للآباء الفرنسيسيين
- أخبار كشفية عن كشافة سعد بن أبي وقاص بغزة وفرق كشفية أخرى في فلسطين

محتويات العدد ٧: السنة الأولى (٢٦ أيار ١٩٣٥)
- حديث الكشاف: اتخذوا لمعركة الحياة سلاح الاعتماد على النفس
- تاريخ فن التمثيل لراجي الريشاني
- وصايا المجدفين العشر
- رسم الشاب الناهض عودة حنانيا من البارزين في الرياضة البدنية

_ نادرة
_ شؤون الكشاف في سائر المدن الفلسطينية

وقد انتهت خدمات الأستاذ مسلّم للكشاف مع العدد السابع – أيار ١٩٣٥. وتجدر الإشارة بأن محتويات العددين الأولين من الكشاف (تشرين الأول وتشرين الثاني ١٩٣٤) كانت تكتب باليد ومن ثم تطبع على الجيلاتين وتوزع. أما ابتداء من العدد الثالث (١ كانون الأول ١٩٣٤) فأصبحت النشرة بصفحاتها الثمانية تطبع بمطبعة الآباء الفرنسيسيين بالقدس ومن ثم بمطبعة الوحدة العربية بالقدس. أما الأعداد اللاحقة من المجلة فتمت طباعتها في مطبعة الآباء الفرنسيسيين بالقدس، ومطبعة «اللواء» التجارية بالقدس، ومطبعة العرب بالقدس، ومطبعة بيت لحم الحديثة لصاحبها حنا عبدالله بندك. وقد تضاعفت صفحات المجلة إلى (١٦) صفحة ومن ثم إلى (٣٢). وفي العددين الأخيرين بلغ مجموعها (٤٠) صفحة. أما شعار «الكشاف» منذ ظهور العدد الأول فكان:

«وإن عميت بكم طرق تنرها نجمة المهد»

وقد أخذ شعار النشرة من عددها الأول من قصيدة خماسية للمرحوم أنطون الشوملي (١٩١٤ – ١٩٧٩)، وكان المرحوم قد نظم قصيدة لكشافة المهد البيتلحمية بمناسبة تأسيسها ظهرت في العدد الأول من الكشاف في تشرين الأول ١٩٣٤، والشعار الذي نحن بصدده هو جزء من البيت التالي:

على الكشافة الصدق ورفع الضر والرفق
وحب البلدة الحـق فإن عميت بكم طرق
تنرهـا نجمـة المهـد

(انظر كذلك ديوان شعر الشاعر أنطون الشوملي، القدس، مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، ١٩٩٨).

مجلة الكشاف
١٩٣٤ - ١٩٣٥

إلى ما وراء البحار
هجرتنا وخطرها على البلاد
مجلة الكشاف - بيت لحم
(آذار ١٩٣٧)

بقلم: ايوب مسلّم يعقوب مسلّم

إن حالة البلاد المؤسفة، والأخطار المحدقة بها من كل جهاتها، لا يجعلانا نغفل عن خدمة البلاد، ومساعدتها ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وإلا أصبحنا طفيليين على الإنسانية وأعضاء مشلولة في جسم أمتنا العربية السائرة الآن وراء تحقيق أمانيها.

ولما كانت هذه الحالة لسان حالنا رأيت من الواجب أن أخص الكشاف الأغر بهذا المقال لألفت به نظر أبناء أمتي إلى ذلك الخطر العظيم الذي يتهددها من الهجرة المتتابعة التي أخذ يسلكها أبناء البلاد إلى الجهات الأمريكية طمعاً في اكتساب المال الذي ظنناّ أنه يعود علينا بالخير العميم، والحقيقة أنه ليس إلا جلبة مضار علينا وعلى بلادنا الحبيبة مهبط الدين والمدنية.

في عام ١٨٧٦ فتحت طريق الهجرة إلى بلاد أمريكا وكان أبناؤنا أول من قصدها وهاجر اليها بقصد التجارة والربح الكبير، ولم تزل هذه الهجرة متتابعة في بلادنا دون أن نعير خطرها أي انتباه أو التفات، ولما وضعت الحرب الكونية أوزارها وتوطد الأمن في أنحاء العالم، أخذ خطرها يحوم في ربوع بلادنا العربية، إذ اخذ شبابنا يتهافتون بكثرة على الهجرة إلى أمريكا ظناً منهم أن المال فيها ملقى في شوارعها وما عليهم إلا جمعه وإرساله إلى بلادنا بواسطة (شيكات) تصرف في مصارفها، وكأن هؤلاء القوم قد نسوا أنهم لو صرفوا في بلادهم نصف الوقت الذي يصرفونه من العمل الجدي المبذول في بلاد المهجر، ولو استثمروا تلك المصاريف التي يصرفونها في روحاتهم وغدواتهم لوجدوا أن ما يستفيدونه في بلادهم خير لهم من ألف هجرة يهاجرونها. ولكن هيهات ذلك ! فما العمل إذن! وما الفائدة من القول وقد أصبحت هذه عاداتنا التي تعودناها منذ الصغر ولا طاقة لنا الآن على تركها.

كثرت الهجرة من بلادنا وبين أبنائنا فذهبوا إلى أمريكا بهمتهم العربية وشجاعتهم وإقدامهم ونزلوا تلك البلاد التي لم تكن عامرة آنذاك، وهي بأمس الحاجة إلى عمال كعمالنا ذوي أيد وعضلات قوية تعمل فيها، فابتدأ هؤلاء الرجال النشطاء يعملون فيها مدّخرين ومقتّرين على أنفسهم في نفقاتهم طمعاً في جمع المال، فشاءت العناية الإلهية أن يكون بعضهم من الأثرياء والبعض الآخر من متوسطي الدخل؛ فرجع لبلاده من قدرت له السلامة منهم ولم يكن ذا رأس مال في هجرته ولم يملك من المال الا نزراً يسيراً، وأما الأثرياء فقد استوطنوا تلك البلاد كما هي عادة الجميع، حتى إذا لا سمح اللّه حدثتهم النفس في العودة إلى بلادهم قد لا يهنأ لهم بال ولا يطيب لنسائهم خاطر حيث تتجلى لهم الفروق الكبيرة بين بلادنا والبلاد التي وجدوا فيها واثروا، وتعودوا أسباب الراحة والنزهة، وقد لا يدور في خلدهم العودة إلى بلادنا التي قد تصبح بلاداً خاوية خالية يحتلها المزاحمون دون مدافع أو مزاحم.

أعرف الكثير من مثل هؤلاء الناس الذين مضى عليهم الوقت في هجرتهم وقد انقطعت أخبارهم عن أهلهم كلياً، ولم يعودوا يفكروا بوالديهم العجزة الذين تركوهم في البلاد، واللّه يعلم إن كانوا يموتون جوعاً وليس من يعتني بهم، هذه حال أولئك الذين يصبحون من الأثرياء.

أما هؤلاء الرجال أيها القرّاء أولئك الذين يتطبّعون بطبائع تلك البلاد التي ولدوا فيها ولا يتعلمون اللغة العربية لغة آبائهم وبلادهم ولم تفتح لذلك المدارس اللازمة، لا يرجى منهم البتة أن يعودوا إلى مواطن آبائهم، لذلك تخسرهم البلاد، ومما يزيد من خسارتنا أن أكثر الذين يسافرون وهم يجهلون في بادىء الأمر حقيقة تلك البلاد، ولم يجدوا من يساعدهم ويعينهم على عيشهم، يعمدون في تسيير أمورهم إلى الطرق السافلة التي تقضي عليهم وعلى آمالهم.

قد يقول البعض إن الهجرة قد نفعت بلادنا كثيراً ولولاها ما كنا نعلم ما آلت إليه حالتنا، فأجيب على الفور: إنها نفعتنا من جهة، وأضرتنا من جهة أخرى، وإن مضارّها لنا أكثر بكثير من نفعها إذ لا يظهر للعيان في الغالب إلا الوجه الحسن منها. فقد يذهب مثلاً إلى بلاد المهجر ألف أو ألفا شخص وهناك لا ينجح منهم إلا ثلاثة أو أربعة، فيتحدث بغناهم الناس ويلهجون بذكرهم، وينسون أن ألوفاً باقية يعملون ليلهم بنهارهم في الأعمال المجهدة الشاقة ليحصلوا على لقمة عيشهم، ومع كل هذا فإنهم لا يكادون -بعد مرور السنين- أن يوفروا أجرة الطريق التي كانوا بالأمس قد استدانوها من أحد الأثرياء المرابين أو باعوا أرضهم إرث آبائهم في سبيل الحصول عليها - إذا كان لهم هناك ثمة أرض- ، ناهيك عن ألوف الذين يموتون بالأمراض وغيرها.

إن البعض منا ينظر في الأمور من حيث هي نظرة سطحية لأنه متى شاهد تلك البيوت البديعة التي تشاد في بلادنا ومعظمها بمال أمريكا وسمع بأن فلاناً صار يملك (كذا وكذا) من المال قد لا يهتم أو لا تعروه هزة الفرح لبلاده، وربما اعتقد أن المال إذا دام هكذا فسوف تصبح بلادنا أغنى بكثير من غيرها من البلدان إذ إننا بهذه الطريقة سننقل شطراً عظيماً من أموال أمريكا وذهبها الوهاج إلى بلادنا! وهذه هي السعادة المقصودة.

لست من القائلين أن السعادة بكثرة المال وأنها ليست على ما يتوهمه أولئك الذين لا هم لهم إلا إنشاء البيوت وتزيينها ظاهرياً وفي داخلها الحسرة والشقاء.

إن المطلع على أحوال بيت لحم وبيت جالا وغيرها من البلدان التي عرف أبناؤها الهجرة وأخذوا يهاجرون إلى أمريكا، لا يرى إلا شيوخاً لا فائدة ترجى منهم. وإذا دخل أحد إلى بيت من بيوتها فإنه لا يجد إلا عجوزاً جالسة ترقب مجيء أولادها الذين تركوها من أمد بعيد وقد انقطعت أخبارهم عنها، فاستسلمت للحزن والبكاء، فطعامها الهموم، وشرابها الغموم، وأي حسرة تشعر بها آنذاك أعظم من حسرة هذا العجوز الذي أخذ يرقب في كل أسبوع قدوم أولاده وقد تاقت عيونه إلى لقياهم، أو عروساً تركها بعلها وسافر وبالكاد أن يبعث لها بنفقتها فتضطر تلك المسكينة أن تعمل بعناء لتعيش فلا تفلح فتستسلم لارتكاب كل منكر قبيح طمعاً في دريهمات تتناولها أجراً. وأي بلوى تشعر بها حينما تدخل المدينة أو القرية ولا تجد فيها إلا بناتاً عوانسَ ينتظرن أعراساً وقد هاجر معظم الشباب، وجلهم لا يريد أن يتزوج أو أنه يتزوج بأمركية، وزهد من أجلها في أسرته وبلده لأنه تمدن، وبزعمه لا يقدر أن يكون مدنياً إلا وأن يتزوج من متمدنة. إن من يشاهد هذا يدرك الخطر بعينه، ويفهم أن نتاج هذا العمل كله هو انقطاع النسل وقلته، وبذلك يقل سكان البلاد، مع العلم أن الذين يموتون هم أكثر بكثير من الذين يولدون.

إن انصرافنا نحو الهجرة للاعتناء بمال غيرنا يجعلنا لا نكثرت كثيراً لبلادنا ولا نهتم بها، بحجة أن الذي جمعناه من المال يكفينا كل الحياة ويريحنا من العمل، وبهذا نكون قد أهملنا أمر بلادنا وأراضيها الخصبة فتسوء حالتنا رويداً رويداً إلى أن نصبح أمة خاملة، ونبقى كذلك إلى ما شاء اللّه. وذلك لأن المهاجر الفلاح الذي يكون قد ذهب إلى أمريكا وعاد منها لا يعود يحرث الأرض ويزرعها، فتقل بذلك الأيدي العاملة في البلاد، لأن هذا الفلاح يريد أن يعيش كما يعيش تجار أمريكا وأرباب الأموال في بلادنا، بينما هو لا يملك ما يكفيه سنة واحدة إذا ترك العمل.
كلنا يذهب إلى أمريكا ليكون غنياً وسيداً ليس إلا فإذا كنا كلنا كذلك فمن منا يتعهد أرضنا ويزرعها ويعالج صناعاتنا؟

هكذا تعمل الهجرة تنسينا بلادنا وتجعلنا ننظر إلى غيرها. يجب ألّا نجاري الذين يقولون بأن بلادنا خراب لا تنفعنا بشيء، فما هذا بالصحيح إن بلادنا إذا وجدت من أبنائها عملاً مبذولاً وجداً فهي أغنى بكثير من غيرها، لو أننا عمرناها بجد، كما يجب لأصبحت بعد سنين جنات خالدة تكفينا مؤونة السفر إلى غيرها، ولو حرثنا أرض بلادنا الخصبة وزرعناها واكتفينا بالربح القليل، لكان لنا ولأحفادنا في المستقبل مال كثير وملك وفير خالد لا يبلى.

وعليه فمن الأنفع لابنائنا أن يتركوا الهجرة ويبقوا في بلادهم ويولوا وجههم شطر العمل فيها كما يعملون في المهجر، فذلك أنفع وأبقى لكيانهم العربي، لنترك الهجرة ونشتغل في بلادنا التي نزاحم عليها الآن ونعمل في أرضها الواسعة الخصبة فهي وحدها تضمن لنا كرامتنا وعزتنا القومية، وليعد إخواننا المهاجرون إلى بلادهم للعمل فيها فذلك أجدى لهم لأن ما يقاسونه الآن في بلاد الغربة من المهانة والاحتقار ما يؤسف له حقاً، هدانا اللّه سبل الرشاد، لنعمل على ما فيه حفظ كياننا وتخليد صفحة أمتنا وبلادنا.

الصحافة الفلسطينية البيتلحمية في العهد الأردني
نبذة عن مجلة المهد
(١٩٥١ – ١٩٥٦)

بقلم: د. عدنان مسلّم

إن الفترة الواقعة ما بين ١٩٥١ و ١٩٥٧ تعتبر الحقبة المزدهرة في تاريخ الصحافة العربية الفلسطينية في ظل الحكم الأردني الذي امتد إلى ٤ حزيران ١٩٦٧. فلقد شهدت الأعوام التي امتدت ما بين إبرام الدستور الأردني في عام ١٩٥٢ وتعليقه عام ١٩٥٧ نشاطاً صحفياً ملحوظاً. «وقد ساعد ارتفاع نسبة المتعلمين بين الفلسطينيين على القيام بنهضة أدبية وصحفية في هذه الفترة... وكانت الصحافة تخصص زوايا خاصة بالمخضرمين والناشئين من الأدباء الفلسطينيين، وكانت تثير العديد من المشكلات الفكرية والأدبية التي تجسد هموم وآمال جيل النكبة، وكانت كبريات الصحف الفلسطينية كفلسطين والدفاع قد نزحت في أعقاب النكبة من يافا إلى القدس وعمان وظهرت عشرات الصحف الأخرى كالجهاد والمنار. ولكن السلطات الأردنية أغلقت معظم هذه الصحف الفلسطينية في عام ١٩٦٦ ودمجتها في مؤسستين صحفيتين: القدس والدستور واخضعتهما للرقابة الصارمة.

مجلة المهد
(١٩٥١ – ١٩٥٦)

ومن أوائل الصحف التي ظهرت في العهد الأردني مجلة المهد الأسبوعية السياسية الأدبية الجامعة لصاحبها ومحررها الأستاذ أيوب مسلّم يعقوب مسلّم وقد صدرت في بيت لحم في ٢٣ كانون الأول ١٩٥١، وقد شارك في هيئة التحرير في عامي ١٩٥١ – ١٩٥٢ نبيل شحادة الخوري وفي عامي ١٩٥٥ – ١٩٥٦ الأستاذ خضر زهران المدرس في كلية تراسنطة. أما إدارة المجلة فقد أشرف عليها في السنين الأولى سابا الخوري البندك وميخائيل سليم قنواتي وفي المرحلة الأخيرة ١٩٥٥ – ١٩٥٦، جليل عيسى السائح.

وكان صاحب المجلة ورئيس تحريرها السيد أيوب مسلّم يعقوب مسلّم قد أنهى دراسته الإعدادية والثانوية في كلية كردينال فراري بالقدس وكلية بطريركية اللاتين اللاهوتية في بيت جالا، التحق بعدها ما بين ١٩٣٠ و ١٩٣٧ في سلك التدريس في مدارس بيت جالا ورام الله وعابود وبرقين وبيت ساحور وبيت لحم. وفي كلية تراسنطة / بيت لحم كان من مؤسسي فرقة كشافة المهد حيث قام في عام ١٩٣٤ بإصدار مجلة الكشاف التي أصبحت فيما بعد لسان حال الجمعية الأنطونية الخيرية.

وما بين الأعوام ١٩٣٦ و ١٩٣٩ قضى السيد مسلّم فترات اعتقال في معتقلات صرفند وخربة أبوغوش وعتليت وذلك نتيجة نشاطه السياسي المناهض للبريطانيين وكان في هذه الفترة من نشيطي الحزب العربي الفلسطيني حيث قام بتأسيس فرق الفتوة مع جمال الحسيني، كما عمل كذلك محرراً في جريدة اللواء المقدسية ومجلة الشباب الأسبوعية المقدسية وعمل ما بين ١٩٤١ و ١٩٤٨ مديراً لشركة «سبني» البريطانية في محافظة القدس. وفي أعقاب نكبة ١٩٤٨ أصبح مديراً لشركة قطان وشركاه التجارية في الضفة الغربية وكذلك سكرتير غرفة تجارة وصناعة منطقة بيت لحم. وبين ١٩٥٨ و ١٩٦٢ أصبح رئيساً لبلدية بيت لحم انتخب بعدها نائباً في البرلمان الأردني عن منطقة بيت لحم (١٩٦٣ – ١٩٦٦). ثم عُين وزيراً للإنشاء والتعمير في الحكومة الأردنية.

وفي افتتاحية العدد الأول ٢٧ كانون الأول ١٩٥١ (عهد وميثاق) كتب رئيس التحرير أيوب مسلّم ما يلي: «وفيما نفتتح هذا العهد (بالمهد) أردنا أن نجعل منها سجلاً ناصع البياض، عامر الصفحات ندون فيه الخير لكل ذي عامل خير، والحسنة لكل ذي إحسان، والإخلاص لكل عامل مخلص في سبيل الصالح العام على أن تكون المهد صلة الوصل الوثيقة بين القراء وما يصبون اليه، وبين المواطنين وإخوانهم المهاجرين، وما يهدفون اليه ... ميثاقنا في ذلك، أننا أخوة مواطنون تجمعنا رابطة الوطن الواحد واللغة العربية الواحدة نعيش من أجل بلد واحد، ووطن عربي واحد».

وقد تزعمت المهد منذ صدورها حملة دعوة المهاجرين لزيارة وطنهم الأم من أجل دراسة الإمكانات الصناعية والاقتصادية، توطئة للعودة إليه واستغلال أموالهم في بناء كيانه الاقتصادي. وفي هذا الإطار هاجم رئيس التحرير في عدد ١٨ كانون الأول سنة ١٩٥٥ (دعاة الهزيمة ومعاول الهدم من المحليين) الذين يحولون المهاجرين عن فكرتهم بالعودة واستغلال أموالهم في المشاريع الاقتصادية بحجة أن البلاد غير مستقرة وأن مستقبل البلاد السياسي مظلم... ومع كل هذا التشكيك، يقرر هذا النفر المغترب العودة إلى دار هجرته ثانية... وهكذا يشاء الحظ أن تنتشر سموم دعاة السوء... فتسبب لنا الخسارة الأدبية والمادية دون أن نتمكن من وضع حد لمعاول الهدم هذه... ثم طالبت المهد من الحكومة أن تتدخل لتقدّم هذا النفر من الناس للقضاء العادل.

وكذلك حملت المهد راية المهاجرين من أبناء فلسطين في الديار الأمريكية ومقاومتهم لقانون الجنسية الأردني رقم ١٩٤٩/٥٦ الذي حرم المهاجرين من جنسية بلادهم بحجة أنهم لم يكونوا في الأردن حينما تم ضم الضفتين الغربية والشرقية واحتوت أعداد كثيرة من المهد على مواد باللغة اللإسبانية موجهة إلى أبناء منطقة بيت لحم في المهجر.

وقد قام رئيس التحرير في عام ١٩٥٣ بجولة في الأمريكيتين لتنسيق جهود المهاجرين ولحثهم على ضرورة مقاومة القانون الأردني وضرورة تعديله وكذلك لاستقطاب مشتركين جدد للمهد. وتفاصيل هذه الرحلة مدونة في المهد لعامي ١٩٥٣ و ١٩٥٤.

وبالرغم من أن التركيز كان كبيراً على قضية المهاجرين إلا أن محتوى المهد بالإجمال كان يعكس قضايا المجتمع الفلسطيني في أعقاب نكبة ١٩٤٨ نثراً وشعراً. وقد صورت المهد وهيئة تحريرها انتفاضة ١٩٥٥ أحسن تصوير، فقد اندلعت هذه الانتفاضة الشعبية ضد وزارة هزاع المجالي التي تألفت في أواخر ١٩٥٥ لتوقيع حلف بغداد. وقد كرست العدد ٩٠ (١ كانون ثاني ١٩٥٦) لحلف بغداد ولردود الفعل الشعبية والطلابية والمواجهات الدموية التي أدت إلى سقوط العديد من الشهداء في ١٩ ديسمبر ١٩٥٥ أمام مركز البوليس بالقرب من ساحة المهد. (اسماعيل الخطيب، عبدالله محمود تايه، عبدالكريم جميل عقل، رجاء حسن أبوعماشة وعمر عبدالله عمر).

ووصف سكرتير التحرير خضر زهران الأحداث على النحو التالي:-

«إن التاسع عشر من ديسمبر عام ١٩٥٥ تاريخ لا تمحوه يد القدر، فهو شاهد على عظمة الصغار الأبطال الذين نفضوا عنهم غبار النهم، ونبذوا نير الذل والاستكانة، وأبراج الاستعمار، وراحوا ينددون بحماته في البلاد وأذنابه، ويطالبون بفردوسهم السليب وحقهم المهيض الجناح، فهؤلاء الأبطال الصغار الذين لا يحملون عصاً في أيديهم؛ قلوبهم تنبض بالحيوية وتقدر المسؤولية وعبئها، راحوا يهيبون بأولي الأمر وينادون على رؤوس الأشهاد معلنين سقوط الاستعمار وأذنابه فهذا هو اليوم الذي صنعه الشعب ليحيا حياة كلها حياة، ويهتف بالحيوية والحرية لأنه آمن بالحياة والحرية.»

وقد توقفت المهد عن الصدور مع العدد ٩٤ (٤ آذار ١٩٥٦).

شركة بصات رام الله البيرة

سيارات ضخمة ، سواقون ماهرون ، خدمة ممتازة ، استعداد كامل

ترفع اخلص التهاني بالاعياد المباركة الى عموم زبائنها ومحلاتها

دار النصوير الفنية ومعمل الشمع الحمرت

اصاحبها نوفيق خليل ياسيل — بيت لحم

استعداد في كبير مع أحدث الآلات التصويرية والمصنوعات الشمعية للكنائس والأفراح تشق اتواعها ، وعلى استعداد تام لتلبية رغبات الجمهور الكريم في جميع الحفلات والافراح ، طبع وتحميض وتكبير جميع انواع الافلام مع التلوين الزيتي . وختم هذه الفرصة السعيدة ليقدم لزبائنه الكرام احر آيات التهاني بعيد الميلاد المجيد .

المخيطة الحديثة

اصاحبها : انطوان مزبون

مستعد لتفصيل للاباس الرجالية والنسائية باتقان وسرعة واسعار مناسبة

الشة صوفية ، قمصان ، ربطات رقبة ، روائح عطرية

معاملة حسنة والنجار بها اكبر برهان

معمل الطوب والبلوك

وهموم أبوك البناء

اصاحبه جميل مرسى فرامند

يقدم لعملائه تهانيه بالأعياد الميلادية المباركة وعيد رأس السنة السعيد

معمل المعكرون الوطني

بيت لحم

معمل على الطراز الحديث ، مشهور بجودة مصنوعاته التي غمرت الاسواق واصبحت ربة البيت لا تقبل عنه بديلا

صناعة وطنية ، اتقان ونظافة ، اسعار لا تجارى

تشجعوا المصنوعات الوطنية بالقبال عليها

محل مواد البناء ولوازم العمار

اصاحبه قسطندي فخالي مرزوق

بيت لحم

جميع لوازم العمارات ومختلف انواع المعدان والرخام باسعار معتدلة ومعاملة حسنة

وكالة السياحة العربية المحمودة

فرعي

بيت لحم وبيت جالا

بادارة السادة مرقص اخوان وشركاهم

سفر ، سياحة ، الى جميع انحاء العالم براً وبحراً وجواً

بواسطة اشهر شركات البواخر والطيارات العالمية

مع استعداد لاجراء جميع انواع المعاملات

صدق ، وأمانة وراحة ، مع تذليل جميع الصعوبات

يتشرفون فرصة الاعياد الميلادية فيقدمون لاهالي بيت لحم والقضاء

ولعملائهم اطيب التهاني

المعمل الوطني للمشروبات الروحية

لاصاحبه ساحوري وحنضل بيت لحم

اشهر معمل من نوعه في البلاد وكفى

بعرق نجمة الشرق المشهور

دليل على جودة مصنوعات هذا المصنع الوطني الذي ينتج اصناف

العرق ، والكنياك ، والنبيذ

باسعار لا تجارى

كاس من عرق بيت لحم الأصلي

تنسيك هموم الدنيا

يتقدم هؤلاء السادة التجار جميعاً من زبائنهم ومحلاتهم برفع اخلص التهاني القلبية بمناسبة الاعياد الميلادية المباركة

ويسألون الله ان يعيدها عليهم وعلى العرب في جميع اقطارهم وهم باحسن حال من العزة والكرامة

أميل داود بدور

تاجر مال فيان وجميع أنواع العلمات

وصراف لمختلف العملة الأجنبية

شارع راس افطيس — بيت لحم

فايز سليم

وكيل شركة بانا

شارع المدينة — بيت لحم

آخر أنواع الأحذية

اميل الياس صابات وافراده

وكلاء شركة سوكوني واكوم

وتجار مال فيان

بالجملة والمفرق

صيدلية زرد واخوان

رام الله

استعداد تام لخدمة الجمهور

ليلا نهاراً

سلطي اخوان وشركاهم

عمان — شارع وادي السير

الفروع : القدس — رام الله

جميع جميع انواع الحديد ولوازم البناء

والعدد وأسعار عندودة معقولة

عيسى أنور عبد وأولاده

اصحاب أكبر معامل للمسيح الصحية

على أنواعها

بيت لحم ص . ب ٥٥

الخياط العصري

للرجال والسيدات

الياس مراد

شارع المدينة — بيت لحم

بقالة حنضل

للعائلات

المدينة — بيت لحم

بقالة ميلان وسكاب

شارع المدينة — بيت لحم

غالة عربية وافرنجية ، الحر تشكيلة

من المشروبات الروحية والمعلبات

والحلويات ولوازم الأفراح والأعياد

محلات ايفا

برصمايرا ـ اعالي وطريق

شارع المدينة — بيت لحم

وتوتيره ، أصواف ، روائح عطرية ،

جميع انواع القرطاسية والكتب

لوازم السيدات والرجال

وهدايا للافراح والأعياد

المكتبة الجديدة

شارع النجمة — بيت لحم

اصاحبها فرنح يوسف الحراعي

جميع انواع القرطاسية والكتب

والأدوات المدرسية باسعار معتدلة

المعرض الجديد

بيت لحم

اصاحبه حبيب ناشفين

في الحفلات والافراح باسعار زهيدة

الأقمشة للسيدات والرجال

ستوديو سحار

أحدث محل للتصوير وتحميض

وطبع الافلام ومستعد لتلبية الطلبات

جداً مع اتقان في العمل وسرعة وأمانة

نادي بيت لحم

شارع المدينة — بيت لحم

لأصحابه جحا اخوان

مطعم ، بار ومقهى

المحل الوحيد من نوعه في بيت لحم حيث

يلتقي رجال الأعمال والطبقة الراقية

خدمة ممتازة ونظافة مع معاملة حسنة

محلات ناصر المدين اخوانه

للبقالة العربية والافرنجية على أنواعها

ملتقى الضاحية — خان الزيت

تلفون ٣٩٣

القدس

فندق نورماندي

بيت جالا — تلفون رقم ١٤

اصاحبه صفيا الياس ثوتر

فندق من الطراز الأول ، ملتقى الطبقة

الراقية ، خدمة ممتازة

آخر الشروبات وأطيب الأكولات

ضحايا السياسة الاستعمارية الانكلو اميركية المجرمة

المهد

AL-MAHD

A WEEKLY MAGAZINE

ضحايا السياسة الاستعمارية الانكلو أمريكية المجرمة

ظاهرة الهجرة وجريدة المهد البيتلحمية
مذكرات رحلاتي إلى الأمريكتين
(١٩٥٣ - ١٩٥٤)

بقلم: أيوب مسلّم يعقوب مسلّم

الفترة العثمانية
(١٨٧٦ - ١٩١٨)

كان أبناء المدن الثلاث، بيت لحم، وبيت جالا، وبيت ساحور في عهد الدولة العثمانية يعيشون في مدنهم عيشة هادئة آمنة، يعتمدون على صناعاتهم اليدوية البدائية المختلفة في إدارة شؤون حياتهم، كصناعة التحف الصدفية، وخشب الزيتون، وحجر النبي موسى، وكذلك قطع حجارة البناء ودقها وصقلها، وهي صناعات فريدة بالإضافة إلى الفلاحة في أراضيهم وغرسها بشتى أنواع الأشجار المثمرة، لا سيما شجرة الزيتون المباركة إلى أن جاء عام ١٩٧٦ وهو العام الذي أعلن فيه عن افتتاح معرض مدينة فيلادلفيا الدولي حيث فكر بضعة أشخاص منهم من آل حنضل في بيت لحم أذكر منهم السادة جريس سليمان منصور حنضل وشقيقه إبراهيم، أن يتخذوا من هذا المعرض وسيلة لتصريف صناعاتهم الآنفة الذكر، «صناعات الأراضي المقدسة» على العالم الجديد وإيجاد سوق رائجة لها، بعد أن ركدت سوقها في أوروبا، فحزم هؤلاء الأشخاص أمرهم، وصمموا على الاشتراك في هذا المعرض مهما كلفهم ذلك من مشاق. فركب الاثنان البحار، ميممين صوب واشنطن يحملان معهما تحفهما الصدفية والخشبية والحجرية على أنواعها. فوصلا قبل موعد افتتاح المعرض المذكور أعلاه بقليل، فاشتركوا فيه بعرض ما يحملان من تحف فريدة نادرة، فحالفهم الحظ ولاقت تحفهما إقبالا على شرائها واقتنائها للذكرى والتبرك بها على اعتبار أنها تحف نادرة صنعت في الأراضي المقدسة حيث ولد المسيح ومات وقبر وصعد إلى السماء.

وهكذا كلما زاد الإقبال على هذه البضاعة النادرة، زاد طلبهما عليها من بيت لحم، فكانت ترسل إليهما تباعاً ويتولون بيعها بأسعار خيالية مغرية، أصابا بها ثروة طائلة فكانا يرسلانها أولاً بأول إلى ذويهما في بيت لحم لتشاد بها القصور الكبيرة الجميلة، وعلى سبيل

المثال لا الحصر، قصر جاسر وقصر هرماس وقصر حنضل. وعند انتهاء مدة المعرض، حمل هذان الاثنان ما تبقى لديهما منها وراحوا يتجولون بها من مدينة إلى أخرى حتى أدركا أن مجال العيش وإصابة الثراء السريع مضمون لهما في تلك البلاد. عندها وطّدا العزم على البقاء في تلك البلاد، فأرسلا يخبران ذويهما ما ذهبا إليه.

وما أن سرت أخبارهما السارة هذه سريان النار في الهشيم بين مواطني بيت لحم، ولا سيما أخبار الثروة التي أصاباها جراء السوق الرائجة لبضاعتهما وأسعار بيعها الخيالية حتى حذى حذوهما عشرات المواطنين في المدن الثلاثة بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور. فركبوا هم أيضاً البحار صوب العالم الجديد يحملون هذه التحف، فكان مجال البيع وإصابة الثراء ميسوراً للجميع، وهكذا بقي هؤلاء الرواد في تنقل من بلد إلى آخر حتى انتهى بهم المطاف في أمريكا الوسطى والجنوبية فوجدوا فيها البلاد العذراء التي تصلح لاستقرارهم وبقائهم فيها نهائياً، فأرسل منهم من أرسل في طلب ذويه للالتحاق به مع اصطحاب كميات من هذه الصناعة، وبهذا فتح باب الهجرة إلى العالم الجديد أمام أهالي هذه المدن الثلاث، ولكنها كانت في أول عهدها هجرة بطيئة إلى أن جاء عام ١٩١٤ حيث شبت فيه نيران الحرب العالمية الأولى ولما أخذت الدولة العثمانية تعمل على تجنيد الشباب العرب في الجيش التركي، زادت هجرة الشبان منهم بكثرة تهرباً من الخدمة العسكرية حتى بلغت أعدادهم بالألوف ذلك لأنه لم تكن للعرب مصلحة في هذه الحرب خصوصا بعد أن سبق للدولة العثمانية في عام ١٩١٥ أن نكلت بالعرب وشتتت ونفت وسجنت المئات من رجالاتهم في سبيل خنق كل حركة عربية تحررية تهدف إلى استقلال بلادهم وانفصالها عن الدولة العثمانية.

وبعد أن وضعت الحرب الكونية الأولى أوزارها ووضعت البلاد العربية تحت انتدابات غربية مختلفة، وكان الحلفاء خلالها قد قطعوا لليهود وعد بلفور المشؤوم، الرامي إلى تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين على أنقاض أهلها العرب، دخلت هذه الهجرة في طور جديد ذي ملابسات سياسية مختلفة، سوف نأتي إلى بحثها في أحاديث قادمة.

الحكم البريطاني على فلسطين
(١٩١٧ – ١٩٤٨)

عندما توطد حكم الانتداب البريطاني (١٩٢٣ – ١٩٤٨) على فلسطين أخذت القوانين والتشاريع الكثيرة تصدر عنه بين الفينة والأخرى، وجلّها في صالح اليهود ولتشجيع هجرتهم من كافة أقطار العالم إلى فلسطين، في سبيل قيام وطن قومي لهم فيها، كما نص على ذلك صراحة دستور حكم الانتداب نفسه.

أما الهجرة العربية من المدن الثلاثة بيت لحم، وبيت جالا، وبيت ساحور بالإضافة إلى منطقة رام اللّه، فكانت تؤلف هجرة جماعية إذ أن عائلات بأكملها هجرت البلاد دون أن يفطن أحد من عرب فلسطين إلى أن خطر هذه الهجرة الجماعية سيكون شديد الوطأة عليهم وعلى وضع بلدهم السياسي المعقد. فقد أخذ الانتداب البريطاني على عاتقه أن يضمن هذا الوضع لصالح اليهود فقط، لا سيما بعد صدور الأوامر السرية المختلفة إلى سفراء بريطانيا في المهاجر ومؤداها وضع العراقيل الكثيرة في وجه الفلسطينيين المغتربين في حصولهم على جنسية بلادهم فلسطين أو تبديل جوازاتهم التركية بأخرى فلسطينية، أو حتى تجديد الجوازات الفلسطينية التي يحملها من سافر منهم بعد الانتداب البريطاني بحجة أنها غير مستكملة الايضاحات، أو أن صدورها كان مغايرا لقانون صدر حديثا في فلسطين. كل هذه الإجراءات القاسية وضعتها حكومة الانتداب في وجه الفلسطينيين المغتربين لتحول بذلك دون عودتهم إلى بلادهم، ليحل محلهم في فلسطين المهاجرين اليهود الذين سيبنون الوطن القومي اليهودي على أنقاض العرب.

كادت هذه التشريعات والقوانين والأوامر التي صدرت عن حكومة الانتداب بما يتعلق بالهجرة اليهودية إلى فلسطين أن تنطلي أهدافها السياسية وغاياتها الخبيثة على أهل البلاد العرب، فلم يقاوموها في بادىء أمرها، أو حتى أن يحتجوا على صدورها بحجة إجحافها بحقهم الطبيعي في بلدهم فلسطين، إلى أن أخذت أخبار هؤلاء المغتربين تتوارد على ذويهم في الوطن وتروي لهم المآسي التي أخذوا يواجهونها في المهاجر، لا سيما وأن سفراء بريطانيا المكلفين بحمايتهم كفلسطينيين أخذوا يضعون العراقيل الكثيرة في حصولهم على جنسية بلدهم لا سيما في هذا الظرف بالذات بعد أن أصبحت أعدادهم كبيرة وأضحوا بفضل جدّهم واجتهادهم واستقامتهم وإيمانهم بأنفسهم من أرباب المصالح التجارية والصناعية والزراعية في تلك الديار، الأمر الذي دفع الكثيرين منهم، أمام العقبات التي وضعت في سبيل حصولهم على جنسية وطنهم الأم فلسطين، إلى التجنس بجنسية البلاد التي يقيمون فيها محافظة على مصالحهم الكثيرة الكبيرة.

أقلقت أخبار المغتربين هذه ذويهم في فلسطين، ونبهت المسؤولين العرب في تلك الدول إلى هذا الخطر المحدق بهم، والإجحاف الذي لحق بهم فراحوا يخطّون مذكرات ويرفعونها إلى المندوب السامي يوضحون له فيها موقف العرب من قوانين الهجرة التي تأثر بمقتضاها المغتربون.

ولما لم تجد كل هذه المذكرات أو المقابلات جدوى لدى المسؤولين في حكومة الانتداب، تألفت للفور لجنة باسم «لجنة الدفاع عن حقوق المغتربين العرب» في الديار الأمريكية ، من ممثلين من المدن الثلاث بالإضافة إلى رام اللّه، وما أن سمع بتأليفها المغتربون حتى انهالت عليها التبرعات السخية لتتمكن من القيام بالدفاع عن حقوقهم المكتسبة، ثم راحت هذه اللجنة تعقد الاجتماعات وترفع الاحتجاجات إلى الحكومة حول ما انتهجته من سياسة تفرقة ، وبينت فيها خلل سياسة حكومة الانتداب بما يتعلق بقوانين الهجرة، ولكنها هي الأخرى لم تفلح في إقناع الحكومة بالعدول عنها أو إلغاء ما أصدرته من تعليمات سرية إلى سفراء بريطانيا في الخارج فيما يتعلق بتسهيل أمر المغتربين في الحصول على جنسية بلادهم أو تجديد ما يحملون من جوازات فلسطينية.

هكذا كانت حكومة الانتداب على فلسطين تسير على سياسة تبطن فيها الشر للعرب، ففي الوقت الذي كانت تشجع هجرة العرب إلى خارج البلاد كانت تسهل في الوقت ذاته هجرة اليهود إليها بصورة تدعو للقلق والفزع.

أما المغتربين انفسهم فلم تقعدهم كل هذه الأمور عن واجبهم المقدس تجاه بلادهم، لهذا فهم لم يتوانوا عن المساهمة المادية كلما دعاهم الواجب الوطني إلى ذلك سيما في الثورات المختلفة التي كان الفلسطينيون يقومون بها تارة ضد حكومة الانتداب وطوراً ضد اليهود على ما كانوا يلحقونه بعرب فلسطين من ظلم فادح واعتداء مبيّت. وقد ساهموا كذلك في عمران بلادهم مساهمة فعالة، فقد كانوا يرسلون الأموال الطائلة إلى ذويهم ليقوم هؤلاء باشادة العمارات الضخمة في القدس ومنطقة بيت لحم ورام اللّه، وبقوا كذلك على صلة روحية بوطنهم الأم إلى أن جاء عام ١٩٤٨ وحلت النكبة في عرب فلسطين، حيث دخلت قضية المغتربين في طور جديد لا سيما بعد مؤتمر أريحا الذي تقرر فيه ضم الجزء الباقي من فلسطين إلى الأردن، وأصبحت المملكة تعرف بالمملكة الأردنية الهاشمية.

العهد الأردني
السفر إلى الأمريكتين من القدس، مدريد، دكار والبرازيل
ابتداء من (٢ حزيران ١٩٥٣)

في سبيل تهيئة أمر سفري إلى الأمريكتين للاجتماع بالمغتربين في مراكز تجمعاتهم في دار هجرتهم للتعاون معهم في مطالبة الحكومة الأردنية، تعديل قانون الجنسية الأردنية رقم ١٩٤٩/٥٤ بما يتناسب مع مصلحة هؤلاء المغتربين، باشرت في إجراء المعاملات اللازمة لهذا السفر، فتوجهت فوراً للسفارات الأوروبية والأمريكية المعنية في عمان أولاً ثم الشام فبيروت للحصول على تأشيرات بلادها اللازمة لي، فكان التوفيق حليفي، وبعد ذلك ذهبت إلى مكاتب شركة طيران ال (KLM) في القدس واشتريت تذكرة ذهاب وإياب بعد أن أوضحت فيها اتجاهات السفر.

وبتاريخ ١٩٥٣/٦/٢ ركبت الطائرة من مطار القدس، وكان أهلي في وداعي، وعدد من الأصدقاء. وكانت وجهتي بيروت، ومنها بتاريخ ١٩٥٣/٦/٦ ركبت طائرة ال (KLM) وكانت وجهتي سويسرة، فهولندا، فألمانيا، فإيطاليا، فإسبانيا حيث كان في انتظاري في مطار مدريد سفيرنا المفوض فيها الأستاذ عيسى الخوري باسيل البندك وحليت ضيفاً عليه لمدة يومين، ومن مدريد توجهت بالطائرة إلى لشبونة في البرتغال ومنها إلى دكار في السنغال الفرنسي حيث اجتمعت فيها بأول جالية عربية سورية ولبنانية فاكرمت هذه الجالية الكريمة وفادتي ولما علمت بمهمتي في الأمريكتين باركت الغاية السامية من رحلتي، وكنت إبّان هذه الرحلة أرسل إلى مجلتي المهد

في بيت لحم مشاهداتي أول بأول لتنشر على صفحاتها لا سيما الأحاديث السياسية التي تمت بيني وبين شخصيات عربية لا سيما الحديث الذي تم بيني وبين سفيرنا في مدريد الأستاذ البندك والأحاديث الأخرى مع رجالات الجالية العربية في دكار، وبعد أن أمضيت يومين في دكار في ضيافة الجالية، رغم حرها المحرق، غادرتها بالطائرة ووجهتي كانت مدينة رسيفي عاصمة ولاية برنامبكو في جمهورية البرازيل حيث تقيم جالية بيتلحمية كبيرة العدد ذات تجارة وصناعة ناجحة، بعد أن أبرقت إليها مُعْلِماً بقدومي.

زيارتي للبرازيل

وما أن وصلت مطارها ظهر يوم ١٩٥٣/٦/١٤، وحطت بي الطائرة فوق أرضها حتى وجدت أعداداً من رجالات هذه الجالية في استقبالي فصافحتهم واحداً واحداً مسلماً وشاكراً وبعد إتمام المعاملات الجمركية اللازمة، نقلني المستقبلون برتل من السيارات إلى المدينة، حيث نزلت ضيفاً على قريبة لي يدير زوجها الإيطالي تجارة ناجحة، ولم أكن لأعرفها شخصياً إذ أن والديها كانا قد هاجرا إلى تلك الديار قبل ولادتي، فأكرمت ابنة العم وفادتي إليها ، وسهرت على راحتي طيلة المدة القليلة التي قضيتها مع المغتربين في هذه المدينة.

وفي يوم ١٩٥٣/٦/١٥ أي ثاني يوم من وصولي، قمت بجولة في أنحاء المدينة للتفرج على معالمها، وزرت كذلك القائد العسكري العام فيها بصحبة المواطن الكريم السيد حنا زرزر، وجرى بيني وبينه حديث طويل حول القضية الفلسطينية واعتداء الصهاينة الغادر على أهلها العرب، وتشريدهم لمليون عربي من أرضهم وديارهم، يعيشون الآن في المغر والكهوف وتحت الخيام محرومين من كل عدالة إنسانية وعرضة للمرض والجوع والبرد، وقد أبدى هذا القائد عطفاً على قضية هؤلاء اللاجئين واستنكارا للحركة الصهيونية واعتدائها على عرب فلسطين الآمنين بمثل هذه الوحشية وواعدا أن يكون دائما بجانب العرب، وبعد أن شربنا القهوة غادرنا مكتبه مودعين بالإكرام، ثم توجهت فوراً إلى إدارة جريدة برنامبكو وهي أكبر وأقدم جريدة في تلك الولاية، بموعد وأدليت إليها بحديث هام عن الأردن، وما فيه من مقدسات وطريقه نحو الازدهار وكذلك عن القضايا العربية، ناشدت في نهايته أهل الولاية أن يتبنوا قضايا العرب ويكونوا دائما إلى جانبهم، فيما هم ينشدون عدالة إنسانية لقضاياهم فما أن صدرت هذه الجريدة في اليوم الثاني وعلى صفحاتها الأولى هذا الحديث وهو الأول من نوعه حتى قابله المغتربون وأهل الولاية بالارتياح العظيم، لا سيما وهو الحديث الذي ألقى ضوءاً على القضية الفلسطينية وقضايا اللاجئين، كما تمت حوادثها، ومن إدارة هذه الجريدة، توجهت فوراً إلى مقر الجالية في المدينة، ووجهنا الدعوة إلى رجالاتها لحضور اجتماع يعقد في المساء.

وفي موعد الاجتماع، بعد أن أنهى أفراد الجالية أعمالهم، وأغلقوا متاجرهم، حضروا جميعاً إلى مقر الجالية حيث عقد الاجتماع، وبعد أن قدمني السيد حنا زرزر للجالية بكلمة لطيفة مبيناً لهم الغاية من وجودي بينهم، وقفت بين عاصفة من التصفيق وتكلمت فيهم كلمة جامعة حول مهمتي بينهم، وطلبت إليهم التعاون معي في سبيل إلغاء أو تعديل قانون الجنسية الأردني رقم ١٩٤٩/٥٤ لإجحافه

بحقوقهم المكتسبة في الحصول على جنسية بلادهم الأم، لا سيما أنه القانون الذي يقطع صلة وصلهم بذويهم أولاً ثم بالوطن الأم، لا سيما أن جلّهم من أصحاب المصالح والأملاك في الوطن.

وفي نهاية كلمتي نقلت إليهم تحيات الوطن ومواطنيهم وذويهم فيه، وقد قابلوا هذه الكلمة بالتقدير واجمعت كلمتهم على التعاون، وإرسال برقيات الاحتجاج إلى الحكومة الأردنية على هذا القانون المجحف، مؤكدين فيها للحكومة الأردنية صلتهم الوطيدة بالوطن الأم وإصرارهم على الحصول على جنسيته، بالإضافة إلى برقيات الاحتجاج هذه، نظموا عريضة باسم رئيس الحكومة الأردنية ضمنوها مطالبهم سواء أكان ذلك في ضرورة حصولهم على جنسية بلادهم أم تعديل القانون المذكور وتأكيد روابطهم بالوطن الأم مطالبين رئيس الحكومة الأردنية وجوب العناية بهم ورعاية مصالحهم، وذلك بتعيين القناصل الفخريين من بينهم أسوة بالحكومتين السورية واللبنانية وأرسلوا هذه العريضة بالبريد المسجل إلى رئيس الحكومة وقد نشرت مجلة المهد صورة هذه العريضة كما رفعها أفراد الجالية.

أقمت بين أفراد هذه الجالية العربية الكريمة مدة أسبوع كامل كنت خلالها موضع حفاوتهم وتكريمهم، وكنت أعقد وإياهم الحلقات في كل يوم نتحدث خلالها عن واجبهم المقدس تجاه وطنهم الأم وضرورة مساهمتهم بنهضته الصناعية التي أخذت تشق طريقها نحو الوجود برساميلهم العربية، وأقنعتهم بأن اليوم الذي سيعودون فيه إلى الوطن، ليعيشوا تحت سمائه الصافية ليس ببعيد، وقد أبدى جمعهم الكريم تفهما صحيحا لهذه الناحية، واستعداداً للمساهمة برساميلهم في نهضة الصناعة، وقد وعد كثيرون منهم زيارت الوطن في القريب العاجل لدراسة إمكانية تأسيس المصانع المختلفة فيه.

من الأرجنتين إلى زيارة مطولة في التشيلي

بكرت صباح يوم ١٩٥٣/٦/١٩ إلى مطار مدينة رسيفي – البرازيل بعد أن سبق لي أن ودعت الجالية فيها، وفي أرض المطار وجدت أعداداً كبيرة من أفراد الجالية قد خفوا لوداعي، وعلى رأسهم عميد الجالية السيد عطاللّه فريج والسيدة عقيلته والسيد حنا زرزر والسيدة والدته، حيث أخذت لي معهم عدة رسوم تذكارية وبعد إتمام المعاملات اللازمة في دوائر المطار، ركبت الطائرة وكانت وجهتي مدينة سان باولو ثم مدينة ريودي جانيرو عاصمة البرازيل، حيث هبطت الطائرة في مطارها لمدة ساعتين للتزود بالوقود، عدنا بعدها للطائرة ووجهتنا بيونس أيرس عاصمة الأرجنتين حيث هبطت الطائرة في أرض مطارها ومنه نقلتنا سيارة خاصة إلى أكبر فندق فيها حيث قضينا فيه ليلة واحدة اجتمعت خلالها بعدد من أفراد الجالية العربية السورية واللبنانية ودار الحديث بيننا حول مختلف شؤون بلادنا العربية وواجب المغتربين في المساهمة في نهضتنا الاقتصادية، وقد أبدى جمعهم الكريم تفهما لواجبهم في هذا السبيل.

وفي صباح يوم ١٩٥٣/٦/٢٠ حضرت السيارة لتنقلنا إلى أرض المطار حيث ركبنا الطائرة وكانت وجهتنا مدينة سانتياغو عاصمة جمهورية التشيلي ولما كان الجو في هذا اليوم جميلا، صافياً أخذت الطائرة تحلق بنا في الفضاء وفي الأجواء الفسيحة فوق سهول الأرجنتين، وكنا نشاهد بوضوح مروجها الخضراء ومزارعها الكثيرة ومدنها وقراها وبدت وكأنها أية في الروعة والجمال.

وجمهورية الأرجنتين أي البلاد الفضية بلد يتبوأ مكانة مرموقة بين دول أمريكا اللاتينية فيها نهضة علمية وعسكرية واقتصادية وزراعية تغبط عليها، وبعد طيران ثلاث ساعات تقريبا، حلقت بنا الطائرة فوق سلسلة جبال الأنديس وهي سلسلة الجبال التي تفصل الأرجنتين عن جمهورية التشيلي عبارة عن سلسلة جبال متماسكة عالية تكسوها الأحراج والثلوج بصورة مستمرة، وكانت تبدو للناظر فاتنة وغاية في الجمال، رغم الخوف الذي يستحوذ على الركاب عند اجتيازها وبعد طيران ساعة فوق هذه الجبال، اجتزناها لندخل في أراضي جمهورية التشيلي وهي أراض ساحلية تبدو جميلة بمروجها ومدنها وقراها الجميلة، حيث تجري في هذه المروج أنهار كثيرة لترويها وتعطي أهلها الخير والبركة. وما هي إلا لحظات حتى أعطينا إشارة للهبوط فشددنا الأحزمة وراحت الطائرة تتهادى في هبوطها إلى أن استقرت بنا في أرض المطار. وما كدت أترجل من الطائرة إلى أرض المطار حتى شاهدت أعداداً كبيرة من رجالات الجالية وقد خفوا لاستقبالي، وبعد أن أتممت المعاملات الرسمية في دوائر المطار توجهت توا إلى حيث كان ينتظرني رجالات الجالية فسلمت عليهم مصافحاً وكان من بين المستقبلين صاحب جريدة العالم العربي، ومراسل مجلة المهد في جمهورية التشيلي وغيرهم كثيرون بالإضافة إلى رجالات عائلة مسلّم في تلك الجمهورية وعلى رأسهم النائب يوسف مسلّم أحد نواب جمهورية التشيلي.

ومن أرض المطار نقلنا برتل من سيارات المستقبلين إلى بيت عميد الجالية الأردنية الوجيه صالح مسلّم حيث أقام حفلة غذاء فاخرة على شرفي بقينا بعد ذلك نتجاذب أطراف الحديث حول رحلتي إليهم، وشؤون بلادنا المختلفة حتى ساعة متأخرة من الليل، نقلت بعدها إلى الفندق حيث قضيت ليلة هادئة مريحة فيه. ومن هذا الفندق باشرت اتصالاتي بأفراد الجالية تحقيقاً للغاية التي رحلت من أجلها إلى الديار الأمريكية اللاتينية التي تقيم فيها الجاليات العربية الأردنية.

وفي اليوم التالي ١٩٥٣/٦/٢١ وهو يوم أحد، يوم عطلة عامة في المدينة يغادر فيه سكان العاصمة إلى الأرياف لقضاء عطلة الأسبوع طلباً للراحة والاستجمام. لم أستطع فيه أن أجري أي اتصال بالجالية وعند ظهر هذا اليوم حضرت المأدبة الكبرى التي أقامها على شرفي عمي الوجيه يعقوب مسلم في بيته حضرها جميع أفراد عائلة مسلم المغتربين في تلك الجمهورية وكانت حفلة ممتعة حقا تسنى لي خلالها التعرف على الكثرين من أفراد عائلتي ، وفي مساء اليوم المذكور توجهت إلى النادي الفلسطيني في تلك المدينة حيث حضرت حفلة عشاء كبرى أقامها على شرفي الوجيه السيد قسطه أبو زعرور حضرها عدد كبير من أفراد الجالية ومن هذا النادي توجهت إلى مركز إذاعة الجالية العربية التي يديرها السيد جريس أبوصباح صاحب جريدة العالم العربي، وطلبت إليهم التعاون من أجل تحقيق الرسالة التي أحملها في سبيل توثيق علاقتهم بالوطن الأم وتذليل الصعاب التي تحول دون حصولهم على جنسية بلادهم وكان حديثي إليهم ذا أثر بالغ في أوساطهم.

في ساعة متأخرة من مساء يوم الأحد الموافق ١٩٥٣/٦/٢١ دعاني المواطن المغترب السيد قسطة أبو زعرور للاطلاع على معالم مدينة سنتياغو ليلاً، فقادني بسيارته إلى المدينة، ثم صعد بي جبلاً يقوم في وسط المدينة بالذات ويرتفع سبعمائة متر عن سطح البحر لالقي نظرة على مدينة سنتياغو في الليل، وكان منظراً جميلاً حقاً، حينما رأيت المدينة بأنوارها الوهاجة تنبسط فوق سهل فسيح تجوب شوارعها سيارات دون انقطاع والناس على جوانبها في زحمة غريبة كأني بهم مع إشراقة اليوم، خف كل منهم من رقاده وراح يسعى وراء عمله عدت بعدها إلى الفندق مأخوذاً بعظمة هذه المدينة ونهضتها العمرانية التي كان للجالية العربية كل الأثر فيها.

وفي صباح الاثنين الموافق ١٩٥٣/٦/٢٢ نهضت من نومي وبعد أن ارتديت ملابسي وتناولت طعام الإفطار، أخذت استقبل في صالونه الفسيح بعضا من أفراد الجالية الأردنية ممن عرفوا بقدومي لدى سماع حديثي لهم بالراديو وقد جاءوا للسلام عليّ، والاستفسار عن ذويهم في الوطن الأم، ثم للاطلاع على أوضاع بلدهم في عهده الجديد، وفيما كنت أتحدث إليهم عن شتى شؤون وطنهم الأم، كانت معالم السرور والبهجة والارتياح تبدو واضحة على وجوههم.

وفي حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً، توجهت إلى إدارة جريدة العالم العربي لصاحبها السيد جريس أبوصباح، ومنها بمعيته ومعية السيد قسطة أبو زعرور إلى مكتب الصناعي العربي الكبير الوجيه نقولا أبو جارور حيث كان في انتظاري وبمعيته الوجيه المغترب السيد سليمان حزبون وبعد الترحيب بي جلسنا جميعا نتحدث عن شتى شؤون بلادنا وعن المهمة التي حضرت من أجلها إليهم، وبعد أن وضعنا برنامج العمل وطرق الاجتماع برجالات الجالية توجهنا جميعاً إلى النادي الفلسطيني حيث تناولنا طعام الغذاء.

وفي تمام الساعة الخامسة من بعد الظهر، وبناء على موعد مسبق ذهبت بصحبة السادة سليمان حزبون وجريس أبوصباح وقسطة أبو زعرور لمقابلة السيد إسكندر الهلسة وزير الزراعة وهو شاب ينحدر من أصل عربي من مدينة مادبا، تمكن بفضل تعليمه العالي وسيرته الحميدة وأخلاقه وإخلاصه للبلد، أن يصل إلى ما وصل إليه من المناصب العليا وجلست أتحدث إليه في شتى الشؤون الحياتية، شؤون الوطن العربي ولا سيما أردننا الحبيب فالشاب واسع الاطلاع متحدثاً من الطراز الأول، يتفتت غيرة وعطفا على شؤون وطنه الأم، وبعد أن طرحت عليه بعض الأسئلة التي تتعلق بالجالية وشؤون البلاد العربية ورجوته الإجابة عليها كتابة غادرنا مكتبه لأعود أنا للفندق ويعود مرافقي إلى أعمالهم.

وفي صباح يوم ١٩٥٣/٦/٢٣ نهضت مبكراً لأكتب مشاهداتي إلى مجلة المهد في بيت لحم ولدى الانتهاء من هذه الكتابة وبعد أن أودعتها بالبريد، ارتديت ملابسي وتناولت طعام الإفطار ثم توجهت إلى إدارة جريدة العالم العربي حيث عقدت مع صاحبها والسيد قسطة أبو زعرور اجتماعا وضعنا فيه الخطوط الأولية لاجتماع تعقده الجالية واتحدث فيه إليهم عن واجبهم تجاه وطنهم الأم، ووجوب توثيق صلاتهم الروحية والمادية معه، ولاتخاذ الخطوات التي تكفل لهم تعديل قانون الجنسية الأردنية، بحيث يتمكنون معه من الحصول على جنسية بلادهم بالإضافة إلى جنسية البلاد التي يقيمون فيها فأفلحنا في تجديد موعد الاجتماع ومكان عقده على أن تتولى إذاعة العالم العربي الدعوة لهذا الاجتماع.

وفي هذه الأثناء حضر أحد أبناء عمومتي السيد خليل مسلم للسلام علي يرافقه الشاب سليم نينو من كبار أصحاب مصانع صنع القمصان والبيجامات في تلك المدينة وبعد هذا التلاقي ذهبنا جميعا لزيارة بعض رجالات الجالية، فزرنا أولاً الوجيه المغترب السيد أمين أبو السبل من بيت جالا ثم الوجيه السيد يعقوب الريادي من بيت لحم فالسيد جريس أبو هرماس من أثرياء الجالية البيتلحمية وتحدثت إليهم حديثا مطولا عن مهمتي بينهم، وعن واجبهم هم تجاه المساهمة برساميلهم في نهضة الأردن الصناعية فأبدوا جميعا الارتياح لهذه المهمة والاستعداد للمساهمة في نهضة بلادهم الصناعية إذا مكنتهم الحكومة الأردنية من الاطلاع على المشاريع الصناعية وغيرها التي ترغب الحكومة الأردنية في قيامها تدعيماً للاقتصاد الأردني.

وفي صباح يوم ١٩٥٣/٦/٢٤ حضر إلي شقيقي جريس المغترب في تلك الديار وقد مضى على عدم لقائنا ما يقارب الثلاثين عاما وكان لقائي به حاراً. وعند الظهر توجهت بمعية شقيقي إلى بيت السيد جريس أبوصباح صاحب جريدة العالم العربي لتناول طعام الغذاء بدعوة منه وكانت فعلاً حفلة أنيقة ضمت عدداً من رجالات الجالية تبادلنا خلالها شتى الأحاديث عن الشؤون العربية.

وحوالي الساعة الثامنة مساء توجهت بصحبة إخوان كرام إلى مصانع السيد حنا أبو جارور لنسج الأقمشة لنحضر حفلة كوكتيل كبرى أقامها في إحدى قاعات الاستقبال في موقع المصانع بمناسبة احتفاله بيوم ميلاده حضرها الكبراء والوزراء وكبار رجال الدولة ورجالات الجالية، وكانت حقا حفلة رائعة تعرفت خلالها إلى كثيرين من أبناء الجالية، وخلال هذه الحفلة قدم رئيس الجمهورية السيد كارلوس إيفانيس رسمه ضمن إطار فضي مرصع بالحجارة هدية تذكارية للصناعي الكبير السيد حنا أبو جارور صاحب العيد وكان لهذه المكرمة أحسن الوقع لدى أفراد الجالية.

وفي صباح يوم ١٩٥٣/٦/٢٥ قررت أن أزور رجالات الجالية الأردنية في مكاتبهم ومصانعهم من أجل الاطلاع على أحوالهم، ومن ثم لأطلب إليهم، ووجوب إرسال برقيات الاحتجاج إلى الحكومة الأردنية على قانون الجنسية رقم ١٩٤٩/٥٤ الذي كان يحرمهم من حق التجنس بجنسية بلادهم الأردن. وفعلاً فقد استجاب هؤلاء للطلب وكان سيل البرقيات التي ترسل إلى الحكومة الأردنية من قبلهم كبيرة جداً وكانت مجلة المهد تتولى نشرها أولاً بأول، وفي مساء اليوم المذكور توجهت بصحبة المواطنين المغتربين سليمان حزبون وقسطة أبو زعرور إلى النادي السوري حيث أقام أعضاؤه حفلة عشاء أنيقة على شرفي تبادلنا خلالها كلمات الترحيب والشكر، ثم رحنا بعدها نتحدث عن شؤون بلادنا، وامتد بنا المقام إلى ساعة متأخرة من الليل، ودعت بعدها الإخوان السورين الداعين، لأعود إلى الفندق.

وفي يوم ١٩٥٣/٦/٢٦، قابلت المواطن المغترب السيد إبراهيم مرقص نصار وتحدث إليّ بألم عن عدم عناية الحكومات العربية بأمرهم سيما الحكومة الأردنية ومناهضتها لهم في عدم تمكينهم من الحصول على جنسية وطنهم الأم فإنها لم تفكر أبداً برعايتهم وحماية مصالحهم، بتعيين القناصل الفخريين من بينهم، علما بأن مثل هذا الإجراء لا يكلف خزينة الدولة في الحكومة الأردنية فلسا واحداً، وقد وعدته أن أنقل هذا للحكومة الأردنية على صفحات مجلة المهد، وفعلاً كتبت للمجلة بهذه الملاحظات ونشرت في حينها واطلعت عليها الحكومة الأردنية دون أن أدري مدى أثرها آنذاك على الحكومة.

أما في يوم ١٩٥٣/٦/٢٧ فقد اقتصر نشاطي على زيارة أفراد عائلتي في تلك الديار أولئك الأهل الذين سرهم أن أكرس يومي هذا لأمضيه معهم.

وفي صباح يوم ١٩٥٣/٦/٢٨ دعيت لحضور صلاة عن روح إحدى المتوفيات من أفراد الجالية من آل مسلّم، توجه بعد الصلاة الحضور جميعهم إلى بيت الصناعي الوجيه الياس مسلّم لرفع التعازي لآل الفقيدة، فاغتنمتها فرصة لأتحدث للحضور عن مهمتي بينهم وعن واجبهم الوطني تجاه بلادهم وضرورة بقائهم على صلة وثيقة به وقد لاقت أحاديثي إليهم الارتياح. وفي مساء اليوم المذكور أذعت كلمة وطنية على الجالية من إذاعة المركورية التي يديرها الصحافي السيد جريس أبو صباح ولدى انتهائي من إلقاء الكلمة أخذت المكالمات الهاتفية تتوارد على دار الإذاعة لتهنئني على الكلمة الرائعة التي أذعتها وضمنتها آمال المغتربين وأمانيهم وما يعلق الوطن الأم عليهم من أهمية في بناء صرح مجده ودعم نهضته المختلفة برساميلهم الجبارة وخبرتهم الصناعية والتجارية والزراعية.

ولما كان يوم ١٩٥٣/٦/٢٩ في جمهورية التشيلي يوم عطلة عامة إذ يصادف عيد القديسين العظيمين بطرس وبولس لم أتمكن فيه من القيام بأي نشاط وأمضيته جميعه بين أفراد عائلتي من آل مسلّم.

وفي يوم ١٩٥٣/٦/٣٠ عقدت الجالية اجتماعاً كبيراً في قاعة النادي الفلسطيني، تحدثت فيه إلى أفرادها عن مهمتي بينهم، والواجب المفروض عليهم في البقاء على صلة متينة بشؤون وطنهم العربي الأم، وبعد أن استمعنا إلى كلمات خطباء آخرين من أفراد الجالية اتفقنا جميعاً على تنظيم مذكرة يوقعها أفراد الجالية، لترسل إلى الحكومة الأردنية تضمنها جميع مطالبهم سواء أكان في الجنسية الأردنية أم في الحماية والرعاية وتعيين القناصل الفخريين من بينهم وما كدت أتم إعداد هذه المذكرة حتى أقبل الجميع على توقيعها، ثم أرسلت بالبريد المسجل إلى الحكومة الأردنية، وقد نشرت مجلة المهد في حينه صورة هذه المذكرة.

وفي يوم ١٩٥٣/٧/١ ذهبت إلى مدينة بونتي التو بناء على دعوة الجالية فيها حيث عقدنا اجتماعاً كبيراً فيها أسفر عن إرسال برقية احتاج إلى الحكومة الأردنية على قانون الجنسية الأردنية تتضمن - بموجب تعديل هذا القانون - مطالب أخرى، وبعد الاجتماع تناولت طعام الغذاء في بيت المواطن المغترب السيد عطاللّه بطو وقد حضر حفل الغداء هذا عدد كبير من أفراد الجالية، وفي المساء عدت إلى سنتياغو العاصمة حيث لازمت الفراش طيلة يوم ١٩٥٣/٧/٢ بسبب وعكة صحية بسيطة.

وفي يوم ١٩٥٣/٧/٣ قابلت بناء على موعد سابق السيد رفائيل الطارود وزير الصناعة والتجارة في تلك البلاد وهو من أصل عربي بيتلحمي وتحدثت إليه مطولاً عن شؤون الجالية والوطن العربي فوجدته على اطلاع عميق في شؤون العالم العربي وقضاياه الكثيرة، وبعد أن أدلى لي بحديث قيم عن أثر الجالية العربية في بناء نهضة جمهورية التشيلي التجارية والصناعية والزراعية والعمرانية والذي كان حقاً حديثاً مقنعاً ورائعاً ودعته لأنقل هذا الحديث بتوقيعه إلى مجلة المهد التي تولت نشره مع رسم المحدث في حينه.

وبتاريخ ١٩٥٣/٧/٥ زرت الجمعية الأرثوذكسية البيتجالية وألقيت على أعضائها كلمة وطنية قابلوها بالرضا والارتياح و أسفرت عن إرسال برقية من قبل أعضائها للحكومة الأردنية أودعوها آمالهم وأمانيهم وما يترتب على الحكومة الأردنية أن تعمله في سبيل توطيد علاقتهم بالوطن الأم، بعد أن أصبحت هذه الجالية في ديار غربتها قوة الأردن المادية والأدبية في الخارج بما ضمنوه من نفوذ لسياسة تلك البلاد التي يعيشون فيها. وفي المساء أذعت حديثا ثالثاً من إذاعة المركوريو على الجالية كان له وقع حسن بينهم.

وزرت في صباح هذا اليوم ١٩٥٣/٧/١٣ عميد أبناء الجالية البيتجالية الوجيه موسى مصلح وتناولت وإياه طعام الغذاء في النادي السوري وكانت قد دارت بيني وبينه شتى الأحاديث حول واجبات المغتربين في توطيد علاقاتهم الروحية بوطنهم الأم ومساهمتهم بخبرتهم التجارية والصناعية والزراعية في نهضة وطنهم الأردن. واستغلال رساميلهم في تفجير طاقاته العمرانية والإنشائية، علما بأن البلاد الأردنية بما فيها من ثروات معدنية ونفطية دفينة، ما زالت بكراً وتحتاج فقط إلى الرساميل لاستغلالها، وقد كان لكل هذه الأحاديث عن المواطن، وقعاً حسناً لديه، وبعد أن أخذت لنا عدة رسوم تذكارية ودعته لأعود إلى الفندق وانزويت فيه في ١٤، ١٥، ١٦ و ١٩٥٣/٧/١٧ لاجهز بعض المشاهدات والمقابلات وتنسيق الأحاديث لترسل إلى بيت لحم للنشر في مجلة المهد، وفعلاً تولت المجلة نشرها حسب وصولها إليها. وفي مساء يوم ١٩٥٣/٧/١٧ حضرت حفلة العشاء الكبرى التي أقامها على شرفي سليم نينو أحد أصحاب أكبر مصنع لصنع القمصان والبيجامات في تلك الديار وقد حضر الحفلة لفيف من الأصدقاء تبودلت خلالها بيني وبينهم شتى الأحاديث المفيدة.

وفي يوم ١٩٥٣/٧/١٨ قابلت النائب يوسف مسلّم، رئيس الحزب المسيحي الوطني في التشيلي، وهو شاب من مواليد تلك البلاد وابن المواطن المغترب السيد صالح مسلّم ويتمتع بمكانة مرموقة في بلاده والحزب الذي يرأسه هو أحد الأحزاب القومية ذات الشأن في تقرير شؤون البلاد، وإدارة الدفة السياسية فيها ونظراً لما يتحلى به هذا الشاب النائب من علم واسع في الحقوق الدولية والموضوعية وما هو عليه من إخلاص لجمهورية التشيلي. ونظرا للقوانين الكثيرة التي أدخلها على تشاريع البلاد وجلّها في صالح طبقة العمال فقد اجمعت كلمة هذا الحزب على تأييده في كل انتخابات نيابية؛ لأنه خير من يعمل للحزب والبلد وفعلا فقد أراد له هذا الحزب أن يكون نائبه في كل دورة من دورات الانتخابات النيابية بلا منازع وبعد أن دار بيني وبينه حديث طويل عن شؤون الجالية أفادني بحقائق ثابته عن أثر هذه الجالية في نهضة جمهورية التشيلي الصناعية والزراعية والتجارية والثقافية، وأفاد كذلك أن للجالية مكانة مرموقة في تلك البلاد، وأثرها فعال في انتخابات رئيس الجمهورية وإليها يعود الفضل في إنجاح الرئيس الذي يتوقعون منه خير الجمهورية وعظمتها فنقلت أحاديثه هذه إلى مجلة المهد في بيت لحم ونشرت فيها في حينه.

ومن مكتبه توجهت معه لمقابلة فخامة رئيس الجمهورية السنيور كارلوس إيفاس في القصر الجمهوري للحصول منه على حديث خاص لمجلة المهد، حول رأيه في هذه الجالية العظيمة ونشاطاتها في شتى ميادين الحياة في تلك البلاد. وكنت وابن العم يوسف مسلم النائب قد جهزت عشرة اسئلة باللغة الإسبانية، لنرجو فخامة الرئيس بالرد عليها لتنشر في مجلة المهد لتطلع أمّة العرب في كافة أقطارها على رأي العظماء في هذه الجالية العربية وأثرها الحسن في دار هجرتها في كل نهضة من نهضات البلاد التي يقيمون فيها، علّ مثل هذه الأحاديث تثير اهتمام الدول العربية في وجوب العناية بمثل هذه الجاليات وتهب لرعاية مصالحها.

وما كدنا نصل القصر الجمهوري ونصعد إلى مكاتب فخامة الرئيس، حتى وجدنا سكرتيره الخاص في انتظارنا فرحب بنا أجمل ترحيب وبعد أن شربنا القهوة في مكتبه اعتذر لنا باسم الرئيس، الذي اضطره أمر هام إلى الاجتماع بحكومته للنظر في أمور هامة طارئة حالت دون تمكنه من مقابلتنا، وقد ضرب لنا موعداً آخر للمقابلة وفي هذه الأثناء سلمت السكرتير الأسئلة التي حضرتها ورجوته عرضها على فخامة الرئيس ليرد عليها كتابة ورجوته كذلك أن أحصل على رسم حديث لفخامته موقعاً منه بالذات لينشر في مجلة المهد مع ترجمة حديثه ثم غادرنا القصر الجمهوري مودّعين بكل حفاوة.

وفي مساء اليوم المذكور لبيّت دعوة شقيق والدتي السيد موسى العلم لحضور حفلة عشاء أقامها على شرفي في النادي الفلسطيني حضرها عدد من أبناء مدينة بيت جالا المغتربين، فأمضيت وإياهم بعد العشاء سهرة ممتعة قضيناها في شتى الأحاديث في مصلحة الجالية والوطن العربي الكبير، ومما زاد في بهجة هذه الحفلة هو وجود الصناعي الكبير صاحب مصنع النسيج (التريكو) السيد زخريا أبومهر هذا المواطن المغترب الذي أقسم بعد الذي سمع مني عن أوضاع بلاده أن يقوم بزيارتها ودراسة إمكانيات مساهمته في أي حقل من حقول نهضتها الصناعية.

وفي صباح يوم ١٩٥٣/٧/١٩ توجهت إلى الكنيسة الأرثوذكسية العربية التي أشادها أبناء بيت جالا الكرام بأموالهم الخاصة وذلك لحضور القداس الذي يقام فيها صباح كل أحد وبعد أن حضرت مراسيم صلوات القداس بالعربية توجهت مع الحضور إلى بهو الكنيسة حيث رحب بي جميعهم وبعد ذلك ألقيت فيهم كلمة وطنية حماسية بينت لهم فيها مدى شوق الوطن الأم إليهم وترحيبه بهم للمساهمة في استغلال إمكاناته، وقوبلت بالتصفيق والتقدير ثم أخذت لنا بعدها عدة رسوم تذكارية وفي المساء توجهت إلى دار الإذاعة العربية فألقيت منها على الجالية كلمة واضحة صريحة حول النكبة الفلسطينية وواجب المغتربين إزاء إخوانهم المنكوبين ولدى الانتهاء من هذه الكلمة توجهت إلى بيت المواطن المغترب السيد إيليا سلمان لحضور حفلة عشاء أقامها على شرفي.

توجهت قبل ظهر اليوم ١٩٥٣/٧/٢٠ بصحبة السيد يوسف مسلّم إلى مكاتب السيد نقولا أبو جارور أحد زعماء الجالية والذي يحمل جوازاً مصرياً دبلوماسياً ولا يحمل سواه ذلك لأن حبه لبلاده وتمسكه بجنسيتها أبى كل ذلك عليه أن يتقدم بأي طلب للحصول على جنسية تلك البلاد، والمواطن المغترب أبوجارور من أرباب النفوذ في الدولة، وكلمته مسموعة، وإليه يعود الفضل في أن يصوت مندوب جمهورية التشيلي في هيئة الأمم على قرار تقسيم فلسطين، وقد كتب هذا المواطن مراراً إلى رؤساء الدول العربية يذكرهم بواجبهم نحو هذه الجاليات وضرورة العناية بأمورها. وكان نتيجة هذه الكتابات أن اهتمت حكومة الثورة المصرية بأمرهم نوعا ما وأخذت ترسل إليهم الأفلام العربية والجرائد المصرية، ومنحت بعض زعمائهم الجوازات المصرية الدبلوماسية لتمكنهم من التنقل من بلد إلى آخر في سبيل مصالحهم التجارية والصناعية الكثيرة، كما وقد تساهلت الحكومة المصرية معهم في تصدير القطن المصري الخام لصناعاتهم الكثيرة. وفي مكتبه وجدت عدداً من رجالات الجالية دعاهم لحضور حفلة الغداء التي أقامها على شرفي في مكاتبه، أخذت لنا خلالها مع هذا المواطن عدة صور تذكارية وفي مساء اليوم المذكور تناولت طعام العشاء في فندق فكتوريا بدعوة من الوجيه المغترب السيد عودة أبو سليمة حضرها عدد من أبناء بيت جالا الكرام.

وفي مساء ١٩٥٣/٧/٢١ دعيت لحضور حفلة عشاء فاخرة أقامها على شرفي المواطن خليل دكرت حضرها المواطن المغترب حنا أبوجارور مع لفيف من رجالات الجالية وبعد العشاء جلسنا نتحدث عن شؤون بلادنا العربية وقد ألفيت السيد حنا أبو جارور رجلاً فذاً في حقل إنشاء الصناعات المختلفة والمصارف على أنواعها، وهو أول من دعا إلى تأسيس المصارف العربية، ويزيد عددها في جمهورية التشيلي فقط على ثلاثة مصارف وتعتبر في طليعة المصارف الأجنبية وقد خدمت هذه المصارف أبناء الجالية خدمة ممتازة في المجالات التجارية والصناعية والزراعية، ويدين أبناء الجالية إلى هذا المواطن بالحب والولاء نظراً لأن الجميع منهم يقر بفضله، على نجاحه في أموره التجارية ومعاملته الحسنة لهم في توزيع إنتاج مصانعه «مصانع النسيج» عليهم توزيعاً عادلاً يضمن للجميع منهم العمل التجاري والثراء. وفي أثناء حديثنا مع هذا المواطن عن شؤون بلادنا وواجب المغتربين في وجوب المشاركة في مساندة نهضتها الصناعية برساميلهم الكثيرة، لم يخف عليّ امتعاض هذا المواطن من سوء معاملة الدول العربية للمغتربين وعدم رعايتها لمصالحهم وحمايتها من حيث التمثيل الدبلوماسي أسوة بغيرهم من الجاليات الأخرى، التي تبذل حكوماتهم كلّ ما في وسعها في السهر على مصالحها وحمايتها.

وقبل ظهر يوم ١٩٥٣/٧/٢٢ زرت بصحبة الأخوين سليمان حزبون وقسطة أبو زعرور سفير الحكومة السورية في تلك البلاد الأستاذ عمر أبو ريشه وقد وصلها حديثاً، وكانت الاستعدادات تجرى آنذاك ليتم احتفال تقديم أوراق اعتماده إلى رئيس الحكومة في حفل بهيج استعدت له الجالية أحسن استعداد، وقد جلسنا جميعا نتحدث إليه، ويتحدث إلينا في شؤون هذه الجالية العربية، ولما تعرّض المتحدثون إليه إلى قانون الجنسية الأردنية رقم ١٩٤٩/٥٤ الذي يحرمهم من جنسية بلادهم، أدلى سعادته للحضور بالحديث التالي طالبا إليهم أن ينقلوه إلى بافي أفراد الجالية وهذا نصه:

«أرجو أن أزفّ اليكم أن حكومتي السورية، ترحب بأي عربي منكم مهما كان أصله، وهي على استعداد لأن تمنح كل وأحد منكم الجنسية السورية، ولا اعتقد أن هنالك من هو أولى من الحكومة السورية في تبني أبناء هذه الجالية ومنحهم الجنسية السورية، وقال كذلك سوف أصدر تعليماتي بذلك إلى جميع القناصل الفخريين لحكومة سوريا في الجمهوريات الأمريكية ، بوجوب اعتباركم مواطنين سوريين وأن يسهروا على مصالحكم وتسهيل أمور تنقلاتكم. وقال كذلك: إن سوريا ترحب بكل من يودّ العودة منكم إلى سوريا ليستغل أمواله في صناعاتها الكثيرة، مع الامتيازات والتسهيلات التي يرغبها بالذات، وسوف أكتب لحكومتي بهذا الخصوص.»

وقد أبدى الحضور ارتياحهم لهذا الحديث، وبعد أن شكروه على هذه الروح العربية والمشاعر الأخوية التي أبداها نحوهم غادرنا شقته في الفندق مودّعين بكل إكرام. وقد توليت نقل هذه الأحاديث إلى مجلة المهد لتقف الحكومة الأردنية على مدى ما هي عليه هذه الجالية من أهمية حتى أعلنت الحكومة السورية بشخص سفيرها رعايتهم ومنحهم الجنسية السورية.

وفي المساء حضرت حفلة العشاء الكبرى التي أقامها لي الصناعيّ الكبير السيد الياس مسلّم وحضرها كذلك عدد من أبناء الجالية والسيد الياس مسلّم يملك أكبر مصنع نسيج للأقمشة الحريرية على أنواعها، ويعمل في هذا المصنع ما يزيد على ألفي عامل، ويملك

السيد مسلم كذلك في مدينة كونسبسيون سوقاً تجارية ذات أربعة شوارع، ويعتبر من أغنياء الجالية وهو المواطن الذي ما كاد يسمع أن مجال العمل الصناعي متيسر في الأردن حتى أبدى استعداده لزيارة وطنه الأم ودراسة إمكاناته في تأسيس صناعة فيه والمواطن الياس مسلّم هو أحد أقاربي ممن تكن له الجالية الحب والاحترام للثروة التي أصابها بفضل جده واجتهاده واستقامته وهو رغم كبر سنه فانه حلو المنطق والمعشر، وعلى جانب كبير من الخبرات الواسعة في الحقول الصناعية.

في صباح ١٩٥٣/٧/٢٣ تركت العاصمة سنتياغو متوجهاً إلى بلد يدعي لوس كابرس أي مدينة «الماعز» وتقيم فيها جالية عربية، وما كدت أصل شرفات هذه البلدة حتى وجدت رجالات هذه الجالية في انتظاري، وبعد السلام عليهم ومصافحتهم تابعنا الجميع السير إلى البلدة إلى بيت السادة الياس وشكري أبو عيّاش، حيث كان جميع أفراد الجالية في انتظاري، فعقدنا اجتماعاً تكلمت فيه إليهم عن حنين الوطن الأم إليهم وعمّا يترتب عليهم من واجبات وطنية في المساهمة في إنعاشه وضرورة تمسكهم بعلاقاتهم الروحيه فيه، وقد أسفر هذا الاجتماع عن وضع مذكرة إضافة ضمنت آمال هذه الجالية وأمانيها وأرسلت إلى الحكومة الأردنية وتولت مجلة المهد نشرها في حينها.

وفي صباح يوم ١٩٥٣/٧/٢٤ توجهت لزيارة الجالية في بلدة سان فنسنت حيث رحبت بي الجالية وعقدت اجتماعاً لها في بيت المواطن المغترب إلياس قطان أسفر عن رفع مذكرة أخرى إضافية إلى الحكومة الأردنية، ضمنتها تمسك الجالية بصلتها الروحية بالوطن الأم مبدية استعدادها في المساهمة في كل مشروع يعود على الوطن الأم بالخير والازدهار وبقيتُ موضع حفاوة الجالية حتى يوم ١٩٥٣/٧/٢٦ حيث عدت للعاصمة فوجدت فيها دعوة موجهة إليّ من أفراد الجالية في أوفاي بوجوب زيارتها في تلك الولاية وفعلا لبّيت الدعوة وفي صباح ١٩٥٣/٧/٢٧ ركبت الطائرة وكانت وجهتي هذه الولاية للاجتماع بجاليتها العربية وما كادت الطائرة تحط بنا في أرض المطار حتى وجدت جمعاً من رجالات الجالية قد خفّت لاستقبالي، وبعد مصافحتهم توجهنا جميعاً إلى بيت شقيقي جريس وحللت ضيفا عليه مدة أسبوعين عقدت خلالهما عدة اجتماعات للجالية أسفرت جميعها عن تمسك هذه الجالية بصلاتها بالوطن الأم وعدم تخليها عن الجنسية الأردنية كما أبدت استعداداً عظيماً في وجوب المساهمة في مشاريع الوطن الأم العمرانية والصناعية بالقدر الذي تسمح به لهم الحكومة الأردنية، وقد أبرقوا بذلك إلى الحكومة الأردنية ونشرت المهد صورة هذه البرقيات في حينها، وفي هذه الأثناء زرت الجالية العربية في كل من بلدة بدروغال، والريكوليته، وتلاوين، وتنكوى وسارينا، وفي كل منها عقدت الاجتماعات للجالية، وبحثت فيها أمور هذه الجالية وواجباتها نحو الوطن الأم وكذلك واجبات حكومة الوطن الأم نحوهم، كما واديلت إلى مجلة «اكي ستا» بحديث هام عن بلادنا العربية والغزوة الصهيونية ونكبة عرب فلسطين كان لذلك الحديث أحسن الوقع بين أبناء تلك البلاد لا سيما أفراد الجالية العربية، وأدليت كذلك بحديث آخر إلى جريدة ألفا وهي أقدم جريدة إسبانية في تلك الولاية، كان لهذا الحديث أثر بالغ بين الجميع إذ أحاطهم علماً بقضايا الوطن العربي، وبالمؤامرات السياسية التي حاكتها وتحيكها الصهيونية الغازية، بالاشتراك مع الدول الكبرى المستعمرة للنيل من كرامة العرب وسلب أوطانهم وتفريق شملهم وقد تركت مثل هذه الأحاديث أثرها الطيب في قلوب أبناء الجالية ورفعت من معنوياتهم. وفي يوم ١٩٥٣/٨/١٢ ودعت الجالية لأعود إلى مدينة سنتياغو العاصمة لأتابع اتصالاتي بمن لم أتصل بهم بعد من رجالات الجالية.

وبتاريخ ١٩٥٣/٨/١٧ توجهت إلى مدينة كوريكو ومنها قمت بزيارة الجاليات العربية التي تقيم في مدن وقرى ومزارع هذه الولاية، فوجدتهم على عهدهم للوطن الأم وفاءً واخلاصاً وكانت أحاديثي إليهم تزيد من إيمانهم بأمتهم العربية التي تكاد صلتهم بها أن تنفصل بسبب عدم اهتمام حكوماتها العربية بهم. وفي يوم ١٩٥٣/٨/٢٣ غادرت المدينة متجهاً نحو الجنوب لزيارة مدنها والاجتماع بأفراد الجالية العربية فيها، فزرت مدينة شيان، وكونسبسيون، وتلكوان، وتومي وأدليت بحديث سياسي إلى جريدة المركوريو عن أوضاع بلادنا وقضاياها الكثيرة مع الاستعمار والنكبة الفلسطينية والصهيونية الغازية وأثرها في نكبة عرب فلسطين، وعندما نشر هذا الحديث في اليوم التالي وجدت أن تحريفاً أدخل عليه لصالح الصهيونية الغازية كاد أن يشوه حقائق ما وقع لعرب فلسطين، فتوجهت حالاً إلى دائرة الجريدة بصحبة رجالات الجالية وطلبت إليها أن تنشر التصحيح اللازم لهذه المغالطات التي حرفت فيها إدارة الجريدة حديثي، وبالفعل أرغمت الجريدة على نشر هذا التصحيح فوقع أثر نشره بين أفراد الجالية موقعاً حسناً وقد علمت فيها بعد أن رئيس تحرير الجريدة وهو الذي أدخل هذا التحريف على حديثي للجريدة. وقد جاء نشر التصحيح في اليوم التالي صفعة مؤلمة له.

وفي مساء ١٩٥٣/٨/٢٨ ودعت الجاليات لأعود إلى العاصمة بعد أن قمت بالاشتراك مع أفراد الجاليات في تلك المدن بوضع مذكرة إضافية لترفع إلى الحكومة الأردنية، وتضمنت مطالبهم العادلة، وتمسكهم بحقهم في جنسية بلادهم. وبقيت في العاصمة حتى يوم ١٩٥٣/٨/٢٨ اجتمعت خلال هذه المدة بعدد من رجالات الجالية في مدن فلبرايسو، وفينيادل المار، وفي يوم ١٩٥٣/٨/٢٨ حضرت العرض العسكري الكبير الذي أقامته حكومة التشيلي بمناسبة احتفالها بيوم الاستقلال حضره رئيس جمهورية التشيلي ورجالات البلاد وممثلو الدول المختلفة وكان عرضاً آية في الروعة والتنظيم مما دلل على قوة جمهورية التشيلي العسكرية وحسن تدريب قواتها المسلحة، كما وأدليت بتاريخ ١٩٥٣/٩/٢٢ إلى جريدة المركوريو دي سنتياغو بحديث عن بلادي وقضايا العرب الكثيرة وما أصاب عرب فلسطين من نكبة بسبب المؤامرة الاستعمارية الصهيونية فكان لهذا الحديث أثره الطيب وفائدته في اطلاع العالم اللاتيني على أوضاع بلادنا. وفي مساء ١٩٥٣/٩/٢٨ اجتمعت بالجالية فخطبت فيها وتحدثت إليها عن شؤون بلادنا العامة، وواجب المغتربين نحو وطنهم الأم فكان لحديثي إليهم حسن الوقع بينهم. وقد أبرقوا للحكومة الأردنية يعلمونها بتمسكهم بحقهم الطبيعي في الوطن الأم وأنهم ما زالوا على عهد الوفاء والإخلاص له.

زيارة بوليفيا

كان وداع الجالية لي مؤثراً جداً في هذه المدينة، نظراً لشوقها الزائد لسماع المزيد من أخبار الوطن الأم، ونظراً لقصر المدة التي قضيتها بينها، لم تستطع الجالية خلالها أن تستوعب كل قضاياه تماما، وتقف على نتائج النكبة الفلسطينية بتأثير الألاعيب الاستعمارية رغم أني قضيت بينهم ليلة حافلة بالأحاديث التي رغبوا في سماعها عن بلادهم وأخبار ذويهم فيه، وفي صباح يوم ١٩٥٣/١٠/٢ نهضت من نومي مبكراً وأعددت أمري للسفر ولمغادرة جمهورية التشيلي إلى جمهورية بوليفيا. وفي تمام الساعة السادسة كنت في أرض

المطار وكان في وداعي عدد من رجالات الجالية حيث ركبت الطائرة ال (K L M) الجارة ووجهتي بوليفيا، وبعد طيران ثلاث ساعات متوالية حطت بنا هذه الطائرة في مطار مدينة أريكا وهي آخر مدينة شيلانية لتتزود بالوقود اللازم ثم عادت لتحلق بنا في الأجواء العالية فوق جبال الأنديس البوليفية التي ترتفع ٦ ألاف متر فوق سطح البحر، وتكسوها الثلوج طيلة أيام السنة، أما أرض الجمهورية بالذات فأنها ترتفع ٤ ألاف متر فوق سطح البحر ومن هنا يمكن للقارىء الكريم أن يدرك مدى تحليق الطائرة في الأجواء العالية، ومدى ما يتعرض له الركاب من تعب وعناء ولا سيما هم الذين يتحتم عليهم السفر في مثل هذا العلو مستخدمين التنفس الاصطناعي، أي بواسطة الكمامات ، وهكذا بعد طيران ثلاث ساعات متواصلة، أخذت الطائرة تهبط بنا رويدا رويدا في مطار مدينة لاباز حيث كان في استقبالي رجالات الجالية وفي مقدمتهم المغترب السيد عيسى حنضل. وبعد إنهاء المعاملات اللازمة في دوائر المطار توجهت صوب أفراد الجالية وسلمت عليهم مصافحاً، وأخذت لي معهم عدة صور تذكارية ثم ركبنا السيارات إلى مدينة لاباز ومعناها «السلام» وتوجهت فوراً صوب الفندق للراحة من عناء هذه السفرة المتعبة الشاقة، وفي المساء تناولت طعام العشاء في الفندق نفسه بصحبة السيدين عيسى حنضل وأنطون قطان، وقد أطلعتهما على الغاية من حضوري إليهم ورغبتي في الاجتماع بالجالية لأتحدث إليها عن كافة الشؤون التي تتعلق بالوطن الأم وضرورة توثيق علاقاتهم الروحية فيه، فأخذا على عاتقهما الدعوة لهذا الاجتماع فور تحسن وضعي الصحي، وهكذا بقيت ملازماً فراشي في الفندق مدة يومين حضر خلالهما كثيرون من أفراد الجالية لزيارتي والتسليم علي.

وبعد ظهر يوم ١٩٥٣/١٠/٤ وقد تحسنت أوضاعي الصحية نوعا ما، دعيت لمشاهدة مباراة كبرى في كرة القدم بين الفريق الرياضي العربي في تلك المدينة وبين أكبر فريق للرياضة في جمهورية بوليفيا، شهدها آلاف الخلق ورجال الدولة، وكان النصر في نهايتها حليف الفريق الرياضي العربي، وبعد انتهاء المبارة دعاني السيد عيسى حنضل إلى نزهة في سيارته للتجول في المدينة والاطلاع على معالمها من شوارع واسعة وحدائق عامة وتماثيل لأبطالها ومحرريها من الحكم الإسباني تقوم فوق رموز المعارك التي خاضوها في سبيل تحرير بلادهم، وكنا تحت قاعدة كل تمثال نأخذ الرسوم التذكارية وبعد هذه الجولة عدت للفندق مكبراً شعب هذه الجمهورية الذي عرف كيف يقدس أبطاله ويخلد ذكرى أعمالهم المجيدة في تحرير بلادهم.

وفي يوم ١٩٥٣/١٠/٦ بعد أن شفيت تماما مما أصابني من عناء السفر لبيّت دعوة المواطن السيد ميخائيل الدويري وحضرت حفلة الغداء التي أقامها تكريما لي وحضرها لفيف من رجالات الجالية مع عقيلاتهم وقد تخللتها الأحاديث عن بلادنا، وفي المساء توجهت إلى بيت المواطن السيد عيسى حنضل وبعد أن تناولت طعام العشاء في بيته توجهت بمعيته ومعية أنجاله إلى النادي الفلسطيني لحضور الاجتماع الكبير الذي عقدته الجالية لتسمع مني أحاديث الوطن الأم وما هو عليه بعد النكبة الفلسطينية والواجب الكبير المفروض على المغتربين في نصرته، ونصرة المواطنين فيه. ناشدتهم في آخر حديثي لهم أن يكونوا لبلدهم خير النصير والمجير، وأن يعملوا جاهدين في سبيل توثيق علاقاتهم به، وقد أسفر هذا الاجتماع عن رفع مذكرة للحكومة الأردنية حول ما تريده الجالية من مطالب منها ضرورة حمايتهم ورعاية مصالحهم بتعيين القناصل الفخريين من بينهم وأهمها ضرورة تعديل قانون الجنسية الأردنية تعديلا يضمنون معه التجنس بجنسية بلادهم، وإفساح المجال لهم في المساهمة في كافة مشاريعه العمرانية، وقد أرسلت هذه المذكرة للحكومة الأردنية في اليوم التالي بعد أن وقعها جميع أفراد الجالية من كبيرهم إلى صغيرهم.

وفي مساء يوم ١٩٥٣/١٠/٧ تناولت طعام العشاء في بيت الشاعر اللبناني الأستاذ جورج كعدي بمعية عدد من أفراد الجاليات الأردنية والسورية واللبنانية ، وقد أمضينا سهرتنا بعد حفلة العشاء هذه في السماع إلى قصائد هذا الشاعر الفذ وكلها حنين إلى الوطن وتمجيد لحبه والبقاء على الوفاء له، وواجب العمل على رفع منارته عالياً، عدت بعدها للفندق مثنياً على شاعريته الملهمة ووطنيته الصادقة ووفائه لبلده وعروبته.

وفي يوم ١٩٥٣/١٠/٨ دعيت لتناول العشاء في النادي العربي من قبل سعادة قنصل الجمهورية اللبنانية الفخري السيد نعمة اللّه الخوري، وكانت حفلة أنيقة حضرها عدد كبير من رجالات الجاليات الثلاثة وتبودلت خلالها شتى الأحاديث عن بلادنا العربية وقد أعجبت كل الإعجاب بأدب القنصل اللبناني الداعي، وسعة أدبه، وبلاغة منطقه عندما كان يتحدث عن بلادنا، مؤكداً على الطرق التي يجب على الدول العربية اتباعها في سبيل رعاية المغتربين وحماية مصالحهم، بعد أن أضحى الوعي القومي في الجمهوريات الأمريكية خطراً على مصالحهم، وعدت بعد هذه الحفلة لأنقل ما سمعت لمجلة المهد علّ فيه ما يذكّر الحكومات العربية بواجباتها تجاه هؤلاء المغتربين إن نفعت الذكرى.

تجولت بين أفراد الجالية في متاجرها ومصانعها وكانت أحاديثي إليهم ضرورة التمسك بحقوقم الطبيعية في مصالح الوطن الأم، شارحا لهم مدى الفائدة من عودتهم إليه للمساهمة برساميلهم في نهضته الصناعية التي شقت طرقها نحو الوجود، فكان تجاوبهم عظمياً في هذا السبيل واستعدادهم للعودة كبير، ولو عرفت الدول العربية كيف تحبب إليهم أمر العودة، وتسهل لهم السبل في استغلال أموالهم في دعم بنيانه الاقتصادي والزراعي والعمراني لفعلوا، ونتيجة لهذه الدعوة التي دعوتهم بها، لعاد للوطن بعض الممولين منهم لدراسة هذه النواحي بالذات، ولكن نظراً للتعقيدات الكثيرة التي وجدوها عند الوصول للبلاد والصعوبات الكثيرة التي اعترضت سبيل دراساتهم للمشاريع جعلتهم يعودون دون نتيجة، ولو أدرك المسؤولون في البلاد العربية أهمية هؤلاء المغتربين وفائدة رساميلهم الكبيرة في إنعاش الوطن في شتى مجالات حياته لكانوا سهلوا لهم كل شيء وشجّعوهم على عمل كل شيء.

وبتاريخ ١٩٥٣/١٠/١٢ توجهت بالطائرة إلى مدينة أوروو مدينة المناجم وعقدت فيها اجتماعا كبيراً للجالية في النادي العربي، وقد أسفر عن شجبهم لقانون الجنسية الأردنية رقم ١٩٤٩/٥٤ وإعلانهم لتمسكهم بجنسية بلادهم واستعدادهم للمساهمة في دعم بنيانها، إذا ما خفّت حكوماتهم العربية إلى حمايتهم ورعاية مصالحهم وسهلت لهم أمر الحصول على جنسية بلادهم، لتساعدهم كثيراً في التنقل لضمان مصالحهم التجارية والصناعية في تلك البلاد والتي تشعرهم بالذات أنهم جزء لا يتجزأ من الوطن الأم، لهم ما للمقيمين فيه من حقوق وعليهم ما عليهم من واجبات، وقد أعد أبناء هذه الجالية مذكرة بهذا الخصوص وأرسلوها بالبريد المسجل للحكومة الأردنية، ومما يدعو للغبطة أن أكثر أبناء هذه الجالية هم ممن يملكون المناجم الخاصة بهم كمناجم القصدير والفضة وغيرها ولديهم ألوف العمال الذين يعملون لحسابهم في هذه المناجم. وبقيت موضع حفاوة هذه الجالية وتكريمها حتى يوم ١٩٥٣/١٠/١٦ حيث ودعتها لاستقل الطائرة ووجهتي مدينة كوشابيا فوصلتها بعد طيران ساعة ونصف والساعة، وجدت عدداً من رجالات هذه الجالية في استقبالي في أرض المطار وبعد السلام عليهم توجهت في معيتهم إلى النادي العربي في المدينة، وبعد أن

شربنا المرطبات والقهوة جلسنا نتحدث عن مهمتي بينهم، فأكبروا الغاية من وجودي بينهم، اتفقنا جميعاً على عقد اجتماع عام للجالية نتخذ فيه الخطوات التي تكفل لهم توثيق صلاتهم بالوطن الأم، وتضمن لهم الغاية والحماية من حكومة بلادهم، ثم ودعتهم لأذهب إلى الفندق للراحة والنوم.

وبتاريخ ١٩٥٣/١٠/١٧ تم عقد هذا الاجتماع في النادي العربي حضره جميع أفراد الجالية، وألقيت كلمة مسهبة عما يجب عليهم فعله تجاه بلادهم وإخوانهم عرب فلسطين المنكوبين وضرورة عودتهم للمساهمة في بنيان دعامة بلادهم في نهضاته الصناعية والزراعية وأسفر هذا الاجتماع كذلك عن إعداد مذكرة إضافية بهذا الخصوص وإرسالها للحكومة الأردنية.

وبقيت حتى يوم ١٩٥٣/١٠/١٩ بين أفراد هذه الجالية في موضع حفاوة وتكريم زرت خلالها مصانعهم الكثيرة ومتاجرهم الحافلة فألفيتها جميعها مدعاة للفخر وللاعتزاز خصوصا إذا علمنا أن أفراد هذه الجالية هم المسيطرون على حياة هذه المدينة الصناعية والتجارية وقد كتبت للحكومة الأردنية موضحا إليها ضرورة العناية بهذه الجالية ورعاية مصالحها وحثثتها على وجوب تعديل قانون الجنسية الأردنية الذي يحرمهم من جنسية بلادهم على هذه الخطوة المباركة من الحكومة، وتشجعهم على العودة إلى الوطن لاستغلال أموالهم فيه لا سيما وأن الخبرة التي اكتسبوها في ميادين الصناعة والزراعة سيكون لها أثرها الطيب في إنعاش البلد واستثمار طاقاته الدفينة.

ولرجالات هذه الجالية كالسادة جميل أبوعليص وبشارة زرزر وسابا عصفورة وبشارة الصباغ وجورج حزبون ويوسف أبوعليص وعيسى الدويري مكانة ممتازة بين أبناء تلك البلاد، وإن أثرهم على سياسة الحكومة المحلية فعال جداً، إذ بهذا النفوذ الذي لهم والكرم الذي ما زالوا يبذلونه في المساهمة الدائمة في مشاريع البلد الخيرية والاجتماعية ما ضمن لهم الاحترام والاستقرار، وكان لأعمالهم على اختلافها التقدم الازدهار، وأينما تجولت في تلك المدن مع أي من هؤلاء الأبناء البررة، كنت ألمس مدى المكانة المرموقة التي لهم، ولكني لا أستطيع كذلك أن أصف للقارئ الكريم مدى الذهول الذي هم فيه جراء النكبة الفلسطينية وما حل بإخوانهم عرب فلسطين الأمر الذي دفع أبناء هذه الجالية في كل مدينة وقرية أن يؤلفوا من بينهم لجاناً باسم لجنة الدفاع عن عروبة فلسطين وراحوا بدورهم يرسلون مذكرات الاحتجاج إلى هيئة الأمم المتحدة والحكومتين الأمريكية والإنكليزية اللتين ساهمتا بهذه النكبة، وكان لكل لجنة من هذه اللجان صندوق خاص يرصدون فيه الأموال من تبرعاتهم لهذه الغاية، وكان واجبي بينهم أمام هول هذه النكبة أن أخفف عنهم حدتها، بقولي لهم لدى كل مناسبة وفي كل اجتماع : إن النكبة الفلسطينية وإن كان وقعها مؤلماً على إخوانكم عرب فلسطين غير أنها بواقع الحال وبالنسبة إلى الأمة العربية كانت نعمة لهم، لأنها أيقظت الشعور العربي العام، وفتحت أعين العرب إلى خطر الصهيونية الغازية، والغرض الاستعماري من قيام إسرائيل في قلب العالم العربي، الأمر الذي حفزهم إلى التيقظ في كل بلد، ويستعيدون ما سلب من وطن العروبة، فكانت مثل هذه الأحاديث تعزيهم وتقوي من معنوياتهم وتحفزهم لمضاعفة جهودهم في مساندة أمتهم العربية وهي تكافح الاستعمار والمستعمرين. وفي مساء اليوم المذكور توجهت للنادي العربي حيث اجتمع أفراد الجالية لوداعي، وبعد أن رحبوا بي أجمل ترحيب ألقيت فيهم كلمة مشجعة طلبت إليهم فيها أن يبقوا على عهدهم لأمتهم العربية وبلادهم وأن يكونوا لها خير قوة رادعة في أوساط البلاد التي يقيمون فيها وأن يكسبوا لها تأييدَ ومساندة جمهوريات أمريكا اللاتينية في الأوساط الدولية

كما بحثت قضية فلسطين وقضايا العرب الأخرى فكان لهذه الكلمة وقعها الطيب بينهم وبعد أن أمضيت معهم مدة متأخرة من الليل ودعتهم لأعود إلى الفندق.

في صباح يوم ١٩٥٣/١٠/٢٠ نقلتني سيارة المواطن المغترب السيد يوسف أبو عليص إلى مطار المدينة حيث ركبت الطائرة وكانت وجهتي مدينة سانتاكروز بعد أن ودعني فيه عدد من أفراد الجالية. وبعد طيران ساعتين حطت بنا الطائرة في مطار المدينة حيث وجدت رجالات الجالية فيه وقد خفت لاستقبالي وبعد السلام توجهت بمعيتهم إلى بيت عميد الجالية السيد بشارة ثلجية، فتناولنا طعام الغداء وجلسنا بعد هذا نتحدث في المهمة التي حضرت من أجلها إليهم، وتم الاتفاق على عقد اجتماع عام في قاعة النادي العربي لاتخاذ القرارات اللازمة، التي من شأنها توثيق علاقاتهم بالوطن الأم وفي المساء خرجت بصحبة مضيفي السيد ثلجية للتفرج على معالم هذه المدينة التاريخية التي تبعد بضعة كيلومترات من الحدود البرازيلية، وفي أحراش كثيفة تقع على بعد ٥٠ كيلومترا عن المدينة، تقوم هناك قبائل هندية متوحشة تعيش على أكل لحوم البشر، سلاحها النشاب، وهي منطقة خطرة، تكاد تكون معزولة كلياً. وطريقة مكافحة هذه القبيلة المتوحشة تكاد تكون صعبة وشاقة، والعيشة في هذه المدينة تكاد تكون محفوفة بالمخاطر لولا احتياطات الحكومة الجبارة التي تتخذها للتعامل مع مثل هذه الظروف. ثم عدنا بعد هذه الجولة إلى بيت مضيفي للراحة والنوم.

وفي صباح ١٩٥٣/١٠/٢١ عقدت مؤتمراً صحفيا لرجال الصحافة في تلك المدينة وأدليت إليهم بحديث عن بلادنا العربية وعن الأردن بنوع خاص حيث المقدسات المسيحية والإسلامية وطلبت من الشعوب اللاتينية بنوع خاص وجوب تعاونها مع الأردن في المحافظة على المقدسات التي راح الحسين يرعاها ويصونها بكل ما أوتي من قوة وقد تعرفت لذلك في هذا المؤتمر لتفاصيل ما حدث لعرب فلسطين بتأثير الغزو الصهيوني وألاعيب الاستعمارين البريطاني والأمريكي، وقد تولت صحف هذه المدينة نشر هذه الأحاديث فوقعت في نفوس الجميع موقعاً حسناً.

وفي المساء أقام لنا السيد إلياس البندك سكرتير لجنة الدفاع عن عروبة فلسطين حفلة عشاء فاخرة حضرها رجالات الجالية، وتبودلت خلالها الخطب الوطنية الحماسية من السادة صاحب الدعوة، والسيد نسيب كسّاب والأديب سعيد أبو الحسن، وقفت بعدها فالقيت كلمة جامعة طالبت فيها من الجالية ضرورة تضامنها مع العروبة في كافة أقطارها من أجل تحرير فلسطين وأن يبذلوا سخاء في سبيل أمتهم وبلادهم، لأن تحرير فلسطين من الصهيونية الغازية يتطلب المزيد من البذل والتضحية، وبعد الانتهاء من إلقاء الكلمات توجه الجميع إلى قاعة النادي العربي حيث كانت جميع رجالات الجالية مجتمعة وفي هذا الاجتماع تم وضع مذكرة أرسلت للحكومة الأردنية أعلنت فيها الجالية تضامنها مع الحكومات العربية من أجل تحرير فلسطين واستعدادها للبذل في هذا السبيل مؤيدة حقها الطبيعي في أمور وطنها الأم، وعدم التخلي عن جنسيتها الأردنية بعد أن أنذرت نفسها في سبيل تحريره من الجراثيم الغازية.

وبتاريخ ١٩٥٣/١٠/٢٢ توجهت بصحبة بعض من زوار هذه الجالية التي تسيطر فعلاً على مرافق هذه المدينة التجارية والصناعية إلى منطقة الحدود بين بوليفيا وجمهورية البرازيل وذلك للتفرج على نهر الأمازون العظيم الذي يجري بين حدود هاتين الجمهوريتين،

وتقوم على جوانبه الأشجار الحرجية، التي تكثر فيها جميع أنواع الحيوانات، وأثناء جريان النهر يجرف معه قطع الذهب المختلفة التي يلتقطها الأهلون عند ساحل المحيط ليتم بيعها لأفراد الجالية وهكذا فإنك لا تدخل بيتاً من بيوت أفراد الجالية حتى تجد في كل بيت كمية من هذا الذهب. بعد نزهة ما زالت عالقة في الاذهان عدنا في المساء إلى مكان إقامتنا.

وبتاريخ ١٩٥٣/١٠/٢٣ قمت بصحبة أفراد الجالية بزيارة أكبر معمل للدباغة في هذه المدينة يملكه المغترب السيد ميخائيل أبوردينه ويعمل فيه ما يزيد على ألف عامل، وإذا ما ذكرت للقارىء الكريم بأني ألفيت هذا المعمل من أحدث المعامل وأن الأقمشة جميعها صنعت في تلك المدينة بتصميم السيد ميخائيل أبو ردينه نفسه صاحب أحسن خبرة في هذا المضمار لربما لا يصدق ذلك، ولما تحدثت إلى صاحب المصنع بأن الأردن يفتقر لمثل هذا العمل، وأن مجال نجاحه مضمون أوعدني هذا المواطن بالعودة للوطن في زيارة خاصة لدراسة إمكانيات تأسيس مصنع من هذا النوع في الأردن وفعلاً برهن هذا المواطن على صدق أقواله ووفى بوعده وعاد للوطن ودرس مع وزارة الاقتصاد إنشاء مثل هذا المصنع، إلا أن عقبات كثيرة وضعها رجالها في وجهه وقرر بعدها أن يعود لمركز عمله دون أن تحقق أحلامه، غير أنه حدث بعد عودته بسنتين أن تأسس في الأردن مصنع للدباغة وهو المصنع الذي نشاهده اليوم دون أن يكون للمواطن المغترب أبو ردينه أي أثر فيه، وقد خيبت عودته دون أن تتحقق أحلامه أمل الكثيرين من المواطنين المغتربين، في العودة إلى وطنهم أو المساهمة في مشاريع الأردن الصناعية على اختلافها، بسبب ما نقله إليهم السيد أبو ردينه من العراقيل الكثيرة التي وضعها موظفو وزارة الاقتصاد في طريقه من أجل تأسيس مثل هذا المصنع في الأردن.

وبتاريخ ١٩٥٣/١٠/٢٤ غادرتُ مدينة سانتاكروز إلى مدينة لاباز العاصمة، حيث بقيت فيها في اجتماعات مستمرة مع رجالات الجالية حتى يوم ١٩٥٣/١٠/٢٩ وفي هذه الأثناء زرت الصناعي الكبير السيد أنطون سعيد، الذي يملك أكبر مصانع الغزل والنسيج في البلاد ويعمل فيها ما يزيد عن ثلاثة آلاف عامل، فألفيت هذا المواطن على جانب عظيم من الفطنة والذكاء والوطنية، وهو الذي أرسل مندوبا خاصاً على حسابه للأردن ليقترح باسمه على وزارة الخارجية فتح السفارة الأردنية في لاباز على حسابه، دون أن تتكبد الحكومة الأردنية فلساً وأحداً نظرا لحاجة الجالية لمثل هذه السفارة في سبيل رعاية مصالحها ورغم أن وزارة الخارجية آنذاك قد وعدت مندوبه بتحقيق هذه الأمنية غير أنها من هذا التاريخ لم تنفذ من وعدها شيئاً. والمواطن أنطون سعيد هو أحد أبناء بيت لحم المغتربين الذي بنى لنفسه هذه المكانة الصناعية المرموقة بفضل جده واجتهاده وإيمانه بنفسه.

جمهورية البيرو

في صباح هذا اليوم الباكر ١٩٥٣/١٠/٣٠ غادرت مدينة لاباز إلى المطار، وركبت الطائرة متوجهاً إلى جمهورية البيرو حيث تقيم جالية عربية أردنية كبيرة، وبعد طيران ساعتين حطت بنا الطائرة في أول مدينة برونية هي مدينة أراكيبا وبقيت فيها حتى بعد ظهر يوم

١٩٥٣/١١/٤ حيث عقدت خلالها عدة اجتماعات لأفراد الجالية دارت خلالها الأحاديث حول شؤون بلادنا العربية وواجب المغتربين نحو النكبة الفلسطينية وضرورة مساهمتهم في دعم نهضة وطنهم الأم، بعد أن أصبح الوطن بأشد الحاجة إلى دعم أبنائه البررة أينما كانوا. وفي الاجتماع الكبير الذي عقدته الجالية مساء يوم ١٩٥٣/١١/٢ في قاعة النادي العربي والذي تم فيه إعلان الجالية تمسكها بحقها الطبيعي في شؤون الوطن الأم، مع استعدادها الصادق بالمساهمة بكل ما يعود على هذا الوطن بالخير والازدهار مهما كلّفهم ذلك من تضحيات وبعد أن وضع المجتمعون مذكرة إضافية ضمنوها آمالهم وأمانيهم مع رغبتهم الصادقة في الحفاظ على عهدهم لبلدهم واستعدادهم للبذل والتضحية في سبيل عظمته وازدهاره، واستعادة ما سلب من أرض الوطن على يد الصهاينة الغزاة وتم توقيعها وأرسلت في اليوم الثاني بالبريد المسجل إلى الحكومة الأردنية.

والجالية الأردنية في هذه المدينة معظمهم من أبناء بيت جالا الكرام، أولئك الرواد الأوائل الذين بنوا لأنفسهم مكانة تجارية وصناعية عظيمة فهم الذين يسيطرون على سوقها التجاري، ومعظم صناعاتها ملك هذه الجالية التي استحقت إعجاب حكومتها وتقديرها في إنعاش المدينة وازدهارها.

وفي مساء اليوم المذكور غادرت المدينة مودّعاً من جاليتها الكريمة وكانت وجهتي مدينة ليما عاصمة جمهورية البيرو، وبعد طيران ثلاث ساعات متواصلة، حطت بنا الطائرة في أرض مطارها وقد كان فيه عدد من رجالات الجالية الذين خفوا لاستقبالي، وعلى رأسهم عميد الجالية المغترب السيد الياس جحا وشقيقه السيد عيسى جحا وسابا خميس وبعد السلام عليهم توجهت بمعيتهم إلى بيت السيد سابا خميس وأقمت فيه ضيفاً عليه طيلة مدة وجودي في هذه المدينة، وتبين لي نتيجة ما عقدته من اجتماعات متوالية مع أفراد الجالية، أنها جالية كريمة يتدفق أفرادها غيرة على مصالح الوطن الأم وأكثر الجاليات تمسكا بحقها الطبيعي في شؤون هذا الوطن، وتسيطر هذه الجالية فعلا على مرافق هذه المدينة من النواحي الصناعية والتجارية والعمرانية إذ أن أكثر متاجرها هي عربية، وجلّ مصانعها على أنواعها تكاد تكون عربية كذلك وتكاد أن تكون هذه الجالية هي المهيمنة على سياسة البلد، لما لرجالاتها من نفوذ في أوساط الدولة واعتقد أن لو عرفت الدول العربية كيف تتعامل مع هذه الجالية في حقل السياسة العالمية، لضمنت لنفسها أن تكون حكومة هذه الجمهورية، في جانب القضايا العربية ولكن الدول العربية لم تدرك كل هذا وهي التي أهملت شؤون جالياتها في تلك الجمهوريات حتى تخاذل رجالات هذه الجاليات، عن حمل أي مسؤولية سياسية في توجيه حكومات تلك البلاد سياسياً ضماناً لوقوفها في جانب المعسكر العربي، وتأييده في قضاياه الكثيرة العادلة مع دول الاستعمار ودولة الصهاينة الغازية المعتدية.

ومدينة ليما هذه مدينة عظيمة بالإشارات الكثيرة والكنائس والجامعات ويلقب الناس هذه المدينة ببستان أمريكا اللاتينية نظرا لفيلاتها التي تقوم بين الحدائق الغناء وأسوار البيوت فيها تتكون كلها من أنواع الورود المختلفة الألوان، وفي هذه المدينة ملاعب مختلفة لمصارعة الثيران وصراع الديكة وسباق الخيل، بالإضافة إلى متاحفها الكثيرة التي تنم عن الحضارة المزدهرة التي كانت لسكان هذه الجمهورية القدامى ، أما متحفها الوطني أي متحف التاريخ الوطني فقد شيد فعلاً فوق البيت القديم الذي كان يعيش فيه عام ١٨٢٠ – ١٨٢٢، السنيور جوزيف سان مارتين والسنيور بوليفار عام ١٨٢٢ – ١٨٢٦، وهما محررا هذه الجمهورية من

الحكم الإسباني. وفي هذا المتحف يقف الزائر على هذين البطلين من حيث: الحربية وألبستها وشجرة التين التي من غرس أيديهما وقد أحاطتها الحكومة وبنايتها، ويشاهد الزائر لهذا المتحف كذلك آثار بناء هذه الجمهورية قبل الفتح الإسباني وحضارتهم في الطب وجراحة الرأس والتخطيط وفي هذه المدينة أكبر جامعة للعلوم ويقال إن عهد تأسيسها يرجع إلى بطل عربي ما زالت هذه الجامعة تحمل اسمه مع تحريف بسيط يقال إنه جاء إلى الجمهورية من الأندلس يوم كانت تحكم من العرب وقام بتأسيس هذه الجامعة.

ويملك السادة زرزر ودبدوب وساحورية وسمعان ومخلوف وجحا مصانع النسيج وغزل الخيطان وتعتبر في طليعة المصانع الحديثة ولهذه المصانع أثرها الطيب في ازدهار البلد وعمرانه، وهي بالإضافة إلى مصانع عمل القمصان والجرابات وغيرها ذات أثر فعال في إنعاش الحركة العمرانية في تلك الجمهورية.

وبتاريخ ١٩٥٣/١١/٢٣ قابلت بمعية مدير الأمن العام الجنرال فلكس ديل بيلاغو فخامة رئيس الجمهورية وأخذت منه حديثا هاماً عن أثر الجالية في ازدهار جمهورية البيرو وكانت زيارة ذات أثر بالغ في نفسي نظراً لكلماته الممتازة عن الجالية الأردنية، والتي يكن لها شخصياً كل تقدير ومحبة نظراً لعطفه على قضايا العرب ولا سيما قضية عرب فلسطين.

وبتاريخ ١٩٥٣/١١/٢٤ كنت ضيف الحكومة وكان يرافقني في التجوال على مراكز الجيش والأمن العام ومرافق الحكومة الأخرى الجنرال فلكس ديل بيلاغو حيث لمست في جولتي هذه مدى سهر الحكومة على تقدم البلاد والاهتمام ببناء بيوت السكن الشعبية وغيرها من المرافق الأخرى، وفي معسكر الحرس الوطني خارج مدينة ليما أقام لي الكولونيل خوان مارينو حفلة غداء فاخرة حضرت بعدها حفلة سباق للخيول قام بها أفراد الحرس الوطني فكانت فعلا ممتعة نمّت عن مقدار عناية الحكومة بتدريب جيشها الوطني أحسن تدريب لا سيما فريق الفرسان منهم.

مشاهدات وخواطر مدير التحرير في جمهورية البيرو

بعد أن أنهيت أعمالي مع الجالية العربية الكريمة، فيما يتعلق بالمجلة وإلى أن يأتيني الإذن بالسفر إلى جمهورية كولومبيا، أخذت أفكر في زيارة رئيس الجمهورية والحصول منه على حديث صحفي للمهد. ولأقف على رأيه في الجالية العربية، مع غيره من رجال الحكومة، وقد وجدت في المواطن الكريم السيد عازر بولس من أبناء بيت جالا خير وسيلة لبلوغ هذه الغاية، نظراً لنفوذه الواسع في الأوساط الحكومية. وبتاريخ ٥٣/١١/٢٣ زرت بمعيته وبمرافقة المواطن الكريم ميخائيل غزاوي الجنرال فلكس ديل بيلاغو في مكتبه، وهو أحد رجال الأمن العام المسئولين، وثاني شخصية في البلاد بعد رئيس الجمهورية، وبعد أن قدمني السيد بولس إليه أخذت أتحدث إليه عن شعور الغبطة والسرور اللذين يخالجانني، مما شاهدت في جمهورية البيرو ولا سيما مدينة ليما، في شتى نواحي العمران والتقدم، وقد

حييته وحييت رجال الحكم وعلى رأسهم رئيس الجمهورية الجنرال منويل أودريا على الأعمال المجيدة التي يقومون بها في سبيل بناء وازدهار البيرو وعظمتها، كما شكرت الحكومة لسهرها الزائد على مصالح الشعب، وأبديت إعجابي بنظام حكمها الديمقراطي الصحيح الذي تسير عليه، الأمر الذي مكّن الجميع من العيش في ظله بأمان واطمئنان دون تمييز أو تحيّز، لا سيما الجالية العربية التي وجدت في هذه الجمهورية وطناً ثانياً تعيش فيه بأمان وحرية، وما كدت أنهي حديثي الذي كان ينقله إليه بالإسبانية السيد ميخائيل غزاوي حتى أخذ يحدثني بطلاقة وبلاغة وحماس فائق عن بلاده والمستقبل الزاهر الذي يريده لها رئيس جمهوريتها، وعن الجهود التي بذلت وما زالت تبذل في سبيل خير الشعب وازدهار البيرو وعن البرامج الاصلاحية من أجل نشر العلم، وتحسين حالة الموظف والعامل التي أخذت تعدها الحكومة للمستقبل وتعمل على تنفيذها، وكنت ألمس الإخلاص في قوله، والحماس لبلاده وحبه لها كلما كان يسترسل في الحديث عنها.

أما الجالية العربية فقد قال عنها، أنها جالية محترمة، أخلصت كثيراً للبلاد. وساهمت مساهمة فعلية في بناء نهضتها الصناعية والعمرانية واستحقت إعجاب الشعب وحبه، وتقدير الحكومة نفسها التي تعدها في طليعة الجاليات الأجنبية الأخرى التي تعمل من أجل خير البلاد وعزتها. أما حب أفرادها للنظام وإخلاصهم للحكم القائم وتفانيهم في المساهمة في كل المشاريع الحكومية والشعبية، والمتمثل في أوجه الخير والعمران والصحة العامة فحدث ولا حرج، وهنا اعترضته بقولي: إذا كان هذا هو رأي الحكومة في الجالية العربية فلماذا إذا لا تفتح أبواب الهجرة في وجه أبناء العرب الذين يرغبون في الهجرة إلى جمهورية البيرو، والبيرو ما زالت تفتقر إلى العاملين النافعين من الناس، أمثال هؤلاء العرب وتتسع للملايين الكثيرة وعندها قال: أنت تعلم أننا لا نرغب مطلقا في هجرة اليهودي والصيني والياباني إلى بلادنا لأنهم بعد الخبرة ثبت أنهم قوم يأتون البلاد من أجل الكسب، وإرسال الثروات التي يجمعونها إلى الخارج، ولا يمتزجون بنا مطلقا لأنهم يعيشون لأنفسهم وكذلك فهم لا يساهمون أبدا في بناء كيان البلاد ومشاريعها الكثيرة ويحرّم علينا نظام بلادنا الديمقراطي أن نقوم ضدهم بأي عمل ما، فوجدنا في نظام منع هجرتهم إلى بلادنا خير وسيلة لمقاومتهم والحد من نشاطهم، وأخيرا الخلاص منهم، ولما كان اليهودي في كثير من الأحيان يحمل اسما عربيا أو أنه من بلاد العرب نفسها، ولا نتمكن من تمييز العربي من اليهودي فقد سنت الحكومة هذا القانون لتحد من هجرة هؤلاء إلى بلادنا، ولم نجد طيلة هذه المدة التي تلت سنّ هذا القانون من الجالية العربية من اعترض عليه أو حاول إفهام الحكومة ضرورة استيعاب أبناء العرب الذين يودون الهجرة إلى بلادنا من أجل العمل والكسب وخير البلاد، كما وأن الجالية العربية هي غير ممثلة رسمياً وسياسياً في هذه البلاد ليقوم ممثلوها رسمياً بالمراجعات اللازمة لدى الحكومة بخصوص ما تسنّ من قوانين وقد تسيء إليهم في بعض الأحيان، واعتقد جازما أنه لو قامت الجالية العربية نفسها في هذه البلاد بإفهام الحكومة هذه الناحية الهامة في قانون الهجرة بالنسبة إليهم، لما توانت الحكومة عن استثناء العرب من قانون الهجرة وهي التي تلمس فائدتهم للبلاد.

وبعد أن طال حديثنا في شتى النواحي الكثيرة الهامة، أبديت له رغبتي في زيارة رئيس الجمهورية، وفي الحال أخذ الهاتف واتصل بالقصر الجمهوري وطلب المقابلة، وحددت في الساعة الخامسة من ذات اليوم، ثم ودعته شاكراً لما لقيت منه من أدب ولطف ومجاملة ودعوته لزيارة بلادنا للاطلاع على معالم شرقنا العظيم، وللتبرك من الأماكن المسيحية المقدسة التي يقوم الأردن بحمايتها ورعايتها.

وفي الساعة الخامسة كنت في القصر الجمهوري لزيارة الرئيس ونظراً لضيق الوقت لم نتمكن من المثول أمامه أكثر من خمس دقائق، غير أننا أمضينا ما يقارب النصف ساعة مع سكرتيره الخاص، الذي قدمتُ إليه بعض الأسئلة التي تتعلق ببلادنا ورغبت في جواب الرئيس عليها لأنقله إلى قراء المهد فوعدني خيراً ووعد أن يرسلها رأساً إلى المهد متى انتهى الرئيس من الرد عليها وتوقيعها وبعد أن قدم لي رسم الرئيس ونسخة عن خطابه في مجلس العموم شكرته وغادرت القصر مع رفاقي السادة عازر بولس وميخائيل الغزاوي مودعين بكل حفاوة ولطف.

وفي اليوم التالي ٥٣/١١/٢٤ دعاني المواطن الكريم عازر بولس إلى حفلة غداء في قصره الجميل حضرها الجنرال فلكس ديل بيلاغو والكولونيل خوان مارينو وبعض أفراد الجالية وبعد الغداء حملتني سيارته وأخذ يطوف بي في أحياء المدينة لأقف بنفسي على مقدار النشاط الذي تقوم به الحكومة في سبيل عمران المدينة وخير الشعب ورفاهيته فزرنا في تطوافنا أحياء السكن الحديثة التي تشيدها الحكومة للعمال والموظفين وهي كثيرة جداً وجميلة ومزودة بكل لوازم الصحة، وكثيرة هي العمارات التي تم العمل إنجازها وسكنها العمال والموظفون لقاء أجر زهيد تصبح مع الوقت ملك العامل أو الموظف وورثتهما، وكذلك زرنا الأحياء التي تنشىء فيها الحكومة المدارس على أنواعها. وملعب كرة القدم العصري الجميل الذي أقامته الحكومة وسط مدينة ليما وسلمت زمامه إلى هيئة رياضية من أبناء البلاد، وملعب كرة القدم الكبير الذي أشادته في جهة أخرى من المدينة لأبناء المدارس والجامعات خاصة، ثم بيت الجنرال نفسه لشرب بعض المنعشات، وعرجنا في تطوافنا على متحف يحوي آثار الهنود المتوحشين، ثم نادي الضباط الذي يقوم في أحدث عمارة أقامتها الحكومة لهذا الخصوص بعد أن جهزتها بكل ما يلزم من الأثاث الحديث وأمور التسلية والراحة، حيث شربنا فيه القهوة بدعوة من الجنرال، وفي حوالي الساعة السادسة والنصف وهو الموعد الذي على الجنرال أن يداوم فيه في مكتبه، ودعته مع رفاقي شاكراً لطفه وما لقيت منه من حفاوة وعناية.

وفي اليوم التالي ٥٣/١١/٢٥ بكرت مع رفيقي إلى مكتب الجنرال بناء على رغبته وبعد أن أخذ لنا مع حضرته وبعض القواد رسماً تذكارياً، وضع الكولونيل خوان مارينو نفسه وسيارته تحت تصرفنا بأمر من الجنرال لزيارة بعض ثكنات البوليس، فزرنا أولاً ثكنة بوليس ثم السواري حيث استقبلنا قائدها الكولونيل خوزي اورتياغو ديل سلفا وطاف بنا على أقسامها قسماً قسماً وشاهدت وسائل الصحة والراحة التي هيئتها الحكومة فيها لأفراد البوليس وأعجبت بها كثيراً ثم قادنا هذا الكولونيل إلى ميدان واسع لقفز الخيل، حيث شاهدنا بعض أعمال القفز التي قام بها بعض الضباط وهم على ظهور خيلهم، وبعد الانتهاء ذهبنا إلى مقصف الضباط، حيث قدم لي علم فرقته كتذكار لهذه الزيارة وهو مصنوع من الحرير فرددت عليه بالعربي بكلمة مناسبة نقلها المواطن ميخائيل غزاوي إلى الإسبانية، وكان لها أثر طيب في قلوبهم جميعا وبعد الانتهاء ودعنا الجميع شاكرين، لنذهب لزيارة ثكنة أخرى لأفراد البوليس في منطقة الكياوو، حيث قام القائد المسؤول فيها الكولونيل لارا كاريلو باستقبالنا وطاف بنا في أرجائها وأعجبنا بنظامها وبعد الطواف شربنا جميعا كاساً من المنعشات، وغادرنا الثكنة شاكرين لنعود إلى ليما بعد أن حان موعد الغداء مودعين بكل حفاوة. وهكذا عرفت جمهورية البيرو كيف تغري الزوار القادمين إليها لا سيما الصحفيين منهم لتقوم بالدعاية لنفسها، وقد أحسنت حكومة الجنرال منويل أدريا استغلال هذه الناحية الهامة، فيا حبذا لو حذت حكومة الأردن والحكومات العربية حذو هذه الحكومة الساهرة على مصالح بلادها والدعاية لها كلما جاء بلادنا

سائح من هذا النوع للكتابة ودراسة أوضاع بلاد العرب وحكوماتها، فتكون بذلك قد أدت خير خدمة للبلاد ومكنت العالم من أن يعرف ما لم يكن يعرفه عنا وعن بلادنا ونهضاتنا الحاضرة، التي ترمي إلى خير البلاد العربية واستقلالها وعزة العرب.

من البيرو إلى جمهورية بنما

وفي يوم الأربعاء الموافق ٥٣٣/١١/٢٥ وفي حوالي الساعة الحادية عشر ليلا غادرت مطار مدينة ليما الجميلة مودعا من رجالات الجالية العربية الكريمة، ووجهتي بنما، وفي حوالي الساعة السادسة والربع من صباح يوم ٥٣/١١/٢٦ هبطت بنا الطائرة في مطار بنما، فأخذت سيارة تاكسي إلى مدينة بنما نفسها، إلى فندق يقع في قلب المدينة لأكون فيه قريبا من الجهات القنصلية والحكومية للمراجعات اللازمة لمتابعة رحلتي ثم تجولت في المدينة لأمتع النظر في جمالها، وبقيت أتجول في شوارعها الجميلة تارة وبقرب شاطىء البحر طوراً آخر حتى الساعة السابعة مساء حيث عدت إلى الفندق.

وفي ٥٣/١١/٢٧ نهضت من النوم باكراً، وذهبت تواً إلى دائرة الهجرة للحصول على جواز سفري، بعد أن تكون هذه الدائرة قد أتمت إجراءاتها فيه، وبعد أن استلمته وكانت الساعة تقارب التاسعة صباحاً ذهبت في التو إلى قنصلية كولومبيا للحصول على تأشيرة بلادها، فحصلت عليها ونلت تأشيرتها بدون صعوبة. وفي حوالي الساعة الثانية والنصف ذهبت إلى مكتب شركة ال (K L M) للطيران أتفق على موعد السفر إلى كولومبيا، ولم أجد مجالاً لذلك إلا يوم الأحد الموافق ٥٣/١١/٢٩ فقبلت به موعدا للسفر، وفي الحال ذهبت إلى شركة التلغراف اللاسلكية لأرسل برقية إلى المواطن الكريم بشارة الجعار أعلمه وأعلم الجالية هناك عن قدومي إليهم بعد ظهر يوم الأحد، وبعد أن انتهيت من كل هذه الترتيبات اللازمة أخذت سيارة تاكسي للتفرج على منطقة القنال وهي منطقة هامة جديرة بأن يزورها كل إنسان وسكانها ١٠٠٪ من الأمريكان وتعتبر في الظروف الحاضرة منطقة عسكرية يصعب التجول فيها تماماً وأما عن استعداد الولايات المتحدة العسكري فيها فحدث ولا حرج.

وفي هذه المنطقة شاهدت هندسة القنال الفنية، وهي تعد بحق من عجائب القرن العشرين من المحيط الأطلانتيكي أو الباسيفيكي وهي عبارة عن سدود لا تزيد عن الثلاثة، ولها أبواب أتوماتيكية تملأ بالماء وتفرغ منه بعملية فنية لا يمكن للمرء في الوهلة الأولى أن يدركها وتستغرق عملية مرور الباخرة الواحدة من المحيط إلى المحيط ٨ ساعات بالضبط، أما مقدار ارتفاع المحيط الباسيفيكي عن المحيط الأطلانتيكي فهو ٢٢ متراً ومن هنا يمكن للقارىء الكريم أن يدرك البراعة الفنية في هندسة هذه القنال، للتغلب على الصعاب الناتجة عن هذا الارتفاع في عمل هذا القنال، ومنطقة القنال يحكمها الأمريكان ولها نظامها الخاص ولا دخل لحكومة بنما فيه، وتجارتها قائمة بذاتها، وكثيراً ما تسبب هذه التجارة بعض الصعوبات لتجارة بنما نفسها لأنها مصدر تهريب مستمر لشتى أنواع البضائع، وفي كثير من الأحيان تكون مصدر شكوى وتذمر التجار في بنما لأنها تضر

بمصالحهم التجارية، وهذا كله ما يجعل الصحافة في بنما تثور على هذه الناحية الهامة، وتطلب وضع حد لكل هذه المهازل التجارية التي تضر بمصالح البلاد وتجارها ولكن دون جدوى.

وفي يوم ٥٣/١١/٢٨ أمضيته في الطواف على شوارع المدينة وأحيائها فوجدتها حقاً مدينة جميلة رائعة بحدائقها الغناء وملاهيها الممتازة وعماراتها الفخمة وشوارعها الواسعة وسياراتها العديدة، ونظام سيرها البديع وكنائسها الكثيرة وشاطىء بحرها المنظم على أحدث الطرق وأحسنها فأصبح مجال نزهة ولهو لأهليها ولكل زائر.

وبنما معظم سكانها من العبيد، ومن كان غير ذلك فهو يشبههم في جسمه وتجاعيد وجهه، وتنسيق شعره وطول قامته، كالزميل الكريم شمس الدين الخطيب مراسل الزميلة فلسطين في عمان، فالذي يزور بنما ويعرف أهلها ويلتقي للمرة الأولى بالزميل الكريم يعتقد أنه من بنما أو أنه منحدر من إحدى سلالاتها والله أعلم. وبنما منطقة دولار وعملتها الدارجة هي الدولار الأمريكاني أو ما يشابهه من دولار بنما، والمعيشة فيها غالية جداً ولا يستطيع المرء أن يعيش فيها أكثر من ثلاثة إلى أربعة أيام لأن قيمة الدولار الشرائية في منطقة الدولار تعادل قيمة الريال التشيلاني أو البوليفياني أو البرواني، والنقليات فيها مرتفعة جداً بحيث يتقاضى منك السائق دولاراً واحداً عن كل رحلة داخل المدينة مهما كانت قصيرة، أما مستوى التعليم بين طبقات الشعب فهو عال جداً لكثرة مدارسها وكلياتها ومعظم سكانها يتكلمون الإنجليزية إلى جانب لغة البلاد الأصلية وهي الإسبانية، وشعبها ميال إلى المرح، لطيف مع الزوار الأجانب خدوم إذا ما طلب إليه القيام بأي خدمة، وفي يوم ٥٣/١١/٢٩ لزمت الفندق ولم أغادره إلا إلى المطار في الساعة الواحد والنصف لأستقلّ الطائرة KLM إلى برانكيا كولومبيا، أما الحرارة في بنما فهي شديدة ويكاد المطر فيها يتساقط كل يوم.

وهكذا في يوم ٥٣/١١/٢٩ غادرت مطار بنما في تمام الساعة الثانية والنصف إلى برنكيا كولومبيا على متن طائرة جبارة من طائرات KLM فكنت موضع عناية طياريها الأبطال وموظفيها رقيقي القلب وكان الجو صافياً، بحيث تمكنت من التمتع بمناظر المحيط الأطلانتيكي، والجبال والوديان النضرة التي تحاذي شواطىء هذا المحيط العظيم وبعد طيران ما يقارب الساعتين والنصف بدأت تلوح للناظر شواطىء جمهورية كولومبيا، وهي شواطىء جميلة تقع على جوانبها الجبال المليئة بالأحراج والسهول النضرة والقرى والمزارع الجميلة، وما هي إلا لحظات حتى كانت الطائرة فوق هذه الأراضي الجميلة وفي دقائق معدودات هبطت بنا رويداً رويداً في أرض مطار برنكيا وهو مطار جميل إلى أن استقرت فيه ونزل الركاب جميعاً. وأول ما وقع نظري عليه هو رجالات الجالية العربية الكريمة، الذين خفوا لاستقبالي، وبعد أن انتهيت من المعاملات الجمركية والبوليسية خرجت إلى حيث كانوا فصافحتهم بحرارة وبعد السلام والتحيات، نقلتنا جميعاً سياراتهم الفخمة وكانت الساعة تقارب السادسة مساء إلى بيت المواطن الكريم السيد يوسف دكرت وهنالك في بهو قصره الجميل جلسنا نتجاذب أطراف الحديث عن بلادنا وأحوالها وما وصلت إليه أحوال إخواننا اللاجئين، وكنت وأنا أتحدث إلى حضراتهم ألاحظ مدى تأثرهم لحالة إخوانهم ومواطنيهم في الوطن العزيز، وبعد هذه الأحاديث دُعينا لتناول طعام العشاء وبعده جلسنا نتحدث مرة ثانية عن واجبات الإخوان المهاجرين نحو أوطانهم، وعن الغاية من رحلتي إلى بنما وبقينا كذلك إلى ساعة متأخرة من الليل.

وفي يوم ٥٣/١١/٣٠، زرت السيد يوسف دكرت في مكتبه، وكان هو وإخوانه الكرام يشرفون بهمة ونشاط على أعمالهم التجارية بصورة تستدعي الإعجاب والتقدير، ومن هنالك نقلتني سيارته إلى مصنع لشيخ الجالية الكريم السيد بشارة الجعار. وكان جالساً وراء مكتبه يشرف على أعماله وأشغاله بهمة الشباب وروحه، وبعد أن حييته دعاني للجلوس وأخذنا نتحدث في شتى المواضيع الهامة ومن ثم قادني إلى مصنعه الكبير لصنع الخيطان والأقمشة، وأخذ يطوف بي على آلاتها الكثيرة، ويشرح لي عمل كل واحدة منها بحيث يدخلها القطن الخام، ويخرج منها أقمشة ممتازة تجد لها سوقاً رائجة. وبجانب هذا المصنع الكبير، كان هناك مصبغة عصرية على أحدث طراز لصبغ الأقمشة والخيطان بالألوان اللازمة وحسب الطلب، وفي هذا المعمل العظيم الذي يقع على مساحة من الأرض تزيد على (٢٠) دونماً يعمل فيه ما يقارب الأربعمائة عامل وعاملة من أبناء البلاد، بعد أن هيأ لهم السيد الجعار جميع وسائل الراحة والصحة، والتهوية نظراً لكون المناخ في هذه المدينة حاراً، وبعد أن انتهيت من الطواف، واستوعبت أعمال السيد بشارة الجعار العظيمة في تأسيس هذا المعمل، غادرته معجباً بجهوده معظّماً همته العالية وروحه المرحة وأخلاقه العالية. وفي تمام الساعة الثالثة بعد الظهر، زرت مكاتب السادة عفيف سمعان وإخوانه وهو من كرام البيتلحميين الذين بفضل جدهم وإخلاصهم واستقامتهم أصابوا نجاحاً في تجارتهم فأسسوا الصناعة، وابتاعوا العمارات الكبيرة التي تدر عليهم الربح، فألفيته شاباً مرحاً حلو الحديث والمعشر واسع الاطلاع، ثم زرت السيد جودة جاسر، وهو أحد أبناء عائلة جاسر المعروفة، وإذا به شعلة من الوطنية والأخلاق العالية، فكنت موضع حفاوته وتكريمه، وكان حضرته من كبار تجار هذه المدينة العرب المستوردين، ويدير تجارة بالجملة بطريقة ضمنت للأخ الكريم النجاح، ثم عدت إلى مكتب الأخ يوسف دكرت الذي وضع نفسه وسيارته تحت تصرفي وفي سبيل إنجاح مهمتي، وفي تمام الساعة السابعة مساء دعيت من قبله مرة ثانية لتناول طعام العشاء مع عدد من أبناء الجالية الكريمة بما عرف عنه من وطنية صادقة، وأخلاق عالية.

وفي اليوم الثاني ٥٣/١٢/١ زرت معمل قمصان الوجيه سليم إبراهيم جحا، للسلام عليه في مكتبه فألفيته رجلا من الرجال الوطنيين المخلصين الذين يعتز بهم الوطن لإخلاصهم وتفانيهم في سبيل خدمة المصالح العامة، وقد شملني هو الآخر برعايته، وكنت إبّان إقامتي في برنكيا موضع رعايته وعنايته ومرافقته في تنقلاتي في المدينة، وبالحق فقد شملني هذا الشيخ الجليل بحنانه، وطوق عنقي بمعروف لا أنساه، إذ وجدت فيه مع عائلته الكريمة العائلة البيتلحمية الأصيلة التي أشعرتني أنني بين أهلي ولم أشعر أنني في وحدة.

وفي ٥٣/١٢/٢ علمت صحف هذه المدينة بوجودي فزارني محرروها لتحيتي في موعد حدده لهم الأخ الكريم يوسف دكرت في بيته فحضروا وتحدثوا إلي باسم صحفهم وأخذوا مني الأحاديث عن بلادي ونشروها في اليوم الثاني. وفي مساء هذا اليوم، دعاني وجيه الجالية الكريم السيد بشارة الجعار إلى حفلة عشاء فاخرة في قصره الجميل مع عدد من أفراد الجالية الكريمة تجلى فيها كرمه، وبعد العشاء بقينا في حديث إلى ساعة متأخرة من الليل حيث استأذنته شاكراً.

وأما عن الحفلات الكبرى التي أقامها لي أفراد الجالية البيتلحمية فحدث ولا حرج، فهذه حفلة أرملة المرحوم ابن بيت لحم البار السيد ميخائيل دكرت وأنجالها الكرام، وكانت روعة في الكرم، وكذلك حفلة الأخ الكريم جودة جاسر والعدد الكبير من أبناء الجالية العربية

الذين دعوا إليها وطوق بها عنقي والتي سوف أذكرها ما حييت. وأما حفلة الشاب الأديب بطرس الياس المعلم من أبناء بيت لحم الكرام والسيدة عقيلته فقد تبدّى لي فيها كرم الداعيين ولطفهما وأخلاقهما العالية ووطنيتهما الصادقة، أما عن مآدب العشاء الكثيرة التي كان يقيمها المواطن الكريم السيد سليم جحا والسيدة عقيلته، فقد يعجز القلم واللسان عن وصفها، وكذلك حفلات السادة بشارة الصليبي ونقولا جقمان، وخليل جاسر والمواطن الكريم السيد فخري جاراللّه علوي بحيث أصبحت معها شاكراً للجميع لطفهم وأخوتهم وكرمهم.

وفي يوم الجمعة في ٥٣/١٢/٤ وجه مجلس نادي الحمراء العربي الدعوة في الصحف إلى عموم أفراد الجالية العربية لسماع الكلمة العربية التي سألقيها في النادي عن أوضاع بلادنا وتطورات الأمور السياسية فيها، وفي تمام الساعة التاسعة من مساء اليوم المذكور ألقيت كلمتي لعدد كبير من أبناء الجالية مع عقيلاتهم وقوبلت بالإعجاب والتقدير.

وفي يوم الثلاثاء الموافق ٥٣/١٢/٨ توجهت بصحبة المواطن الكريم السيد يوسف دكرت لزيارة الجالية العربية في مدينة كرتاخينة، وقد استقبلنا واحتفى بنا فيها الشاب الناهض السيد أوسكار داود وهو أحد أبناء بيت لحم الناهضين الذي أصبح بفضل جده واجتهاده واستقامته يشار إليه بالبنان سواء أكان من الناحية الاجتماعية أم التجارية وقد وضع سيارته تحت تصرفنا ليزور أفراد الجالية، والتعرف على معالم المدينة التاريخية ودعانا إلى بيته العامر، حيث أقام حفلة غداء فاخرة تجلى فيها كرمه العربي، ثم جلسنا نتحدث في شتى المواضيع إلى أن بلغت الساعة الثالثة بعد الظهر حيث نقلتنا سيارته إلى مكتب السفريات فركبنا سيارة تاكسي وعدنا إلى برنكيا ووصلناها في تمام الساعة السادسة. ونظراً لضيق الوقت، وقصر المدة التي أقمتها في برنكيا لم أتمكن من زيارة المدن الداخلية في البلاد، فعلى أية حال فقد وجدت أن جمهورية كولومبيا في تقدم مستمر في شتى نواحي الحياة العمرانية والثقافية والصحية، والحكومة العسكرية الآن ساهرة تماما على مصالح البلاد والرعية، وكولومبيا بلاد جميلة واسعة تزينها المروج النضرة والأحراج الكثيرة ويزيد عدد سكانها على ١١ مليون نسمة والمناخ فيها على نوعين حار في مناطق وبارد في مناطق أخرى وهي غنية بالإنتاج الزراعي ويزرع فيها القطن، أما القهوة التي تنتجها كولومبيا فهي من النوع الممتاز، وتنتج كذلك الذهب والبترول وغيرها من المعادن الأخرى وطرق مواصلاتها قليلة جداً اللهم الجوية والنهرية فقط، إذ أن نهر مكدالينا هو النهر الذي يصل الساحل بداخل البلاد ويقدر عدد أفراد الجالية العربية المنتشرين في مدنها وقراها ومزارعها بالأربعين ألف نسمة، يعيشون عيشة الحرية والهناء في ظل حكم البلاد الديمقراطي ولهذه الجالية أندية عربية في كل مدينة حلوا فيها.

أما برنكيا المدينة البحرية فهي في تقدم مضطرد ويد العمران فيها تعمل بهمة ونشاط وسوف لا يمضي وقت حتى تصبح في طليعة البلدان الأمريكية وجاليتها العربية كبيرة جداً ولها ناد عربي باسم نادي الحمراء العربي، يقوم في عمارة فخمة تخص الجالية يتردد عليه أبناء الجالية للتسلية واللهو وقد كان للسادة بشارة الجعار ويوسف دكرت وعفيف سمعان في قيامه الفضل الأكبر ليؤدي رسالته العربية بين أبناء العرب. والحقيقة التي يجب أن لا تغيب عن البال هي أن هذه الجالية تتمتع بمركز اجتماعي ومالي تحسد عليه ولها مكانتها المرموقة وكلمتها المسموعة في الأوساط الحكومية والشعبية. ولها كذلك إذاعة عربية أسبوعية يشرف عليها ويديرها المواطن منويل عبداللّه وهو وطني من الطراز الأول محب لبلاده ويتفانى في سبيل رفعتها.

ودعت يوم ٥٣/١٢/٢١ في مطار مناغوا – نيكاراغوا من قبل المواطنين السادة إبراهيم عبدالله رئيس جمعية الاتحاد العربية، ويعقوب فريج رئيس لجنة الدفاع عن فلسطين وسليم زروق مدير إذاعة الساعة العربية ثم ركبت الطائرة ووجهتي هندوراس ونظراً لكون الطقس جميلاً والجو صافيا فقد تمتعت من الجو بمناظره الطبيعية الجميلة، فهذه الأحراج الكثيفة والمروج النضرة والأنهار الكثيرة التي تنساب في أوديتها، وتروي تربتها والبحيرات الواسعة كانت جميعها تبدو فتنة للناظر. وما هي إلا ساعة على طيراننا وتحليقنا في الأجواء حتى يعلن لنا قرب هبوطنا في مطار عاصمة هندوراس تيغوسيغالبا وفي هذا المطار الذي ما زال العمران يجري مجراه فيه منذ زمن بعيد، لم أجد أحداً من أبناء الجالية ينتظرني، فاعتمدت فيه على نفسي، وبعد أن انتهت المعاملات الأولية اللازمة استقليت سيارة تاكسي إلى فندق في المدينة استريح فيه، وارتب امتعتي قبل مباشرة الاتصال بأفراد الجالية الكريمة وبعد أن أنهيت كل شيء من هذا اتصلت هاتفيا بالمواطن الكريم السيد سليم برهوم وأعلمته بوصولي العاصمة، ثم قابلت الوجيه عبدالله عصفورة في بيته، ونظراً لانشغال الجالية التجاري بموسم الأعياد فقد أشار علي هذان المواطنان أن أذهب في الحال إلى مدينة سان بدرو سولا لإنهاء مهمتي فيها ثم أعود إلى العاصمة بعد انتهاء مواسم الأعياد. فاذعنت لاشارتهما، وكان أن تعرفت في هذه الأثناء بابن عم لي هو السيد جورج مسلّم، ولم أكن أعرفه من قبل فسهّل هذا لي أمر الرحيل إلى سان بدرو سولا بعد أن أبرقت لأعلم الجالية فيها بمقدمي.

وفي عصر يوم ٥٣/١٢/٢٢ ركبت الطائرة ووجهتي سان بدرو سولا، وبعد طيران ما يقارب الساعة، فوق الجبال الشاهقة وأخرى فوق المروج النضرة هبطت بنا الطائرة في مطار سان بدرو فوجدت فيه عدداً كبيراً من أفراد الجالية في انتظاري أذكر منهم الوجهاء السادة جودة قنواتي وبشارة جحا وأخيه الياس والياس قطان ويعقوب أبوشايبه وابن العم الياس مسلّم وغيرهم، وبعد أن صافحتهم بحرارة نقلتنا السيارات إلى المدينة، ثم إلى بيت المواطن الكريم السيد جودة قنواتي وفيه التقيت بابنة العم الفاضلة هيلانة مسلّم أرملة المرحوم ميخائيل القنواتي وكريماتها المصونات فرحبت بمقدمي وأبقتني مع السيد جودة قنواتي وبقيت في ضيافتهما طيلة مدة إقامتي في سان بدرو سولا وكنت موضع حفاوتهما. وفي المساء حضر أفراد الجالية للسلام علي، وبقيت معهم في حديث عن بلادنا في شتى نواحي حياتها وعن مهمتي التي قدمت من أجلها إلى ساعة متأخرة من الليل، وفي اليوم الثالث من وصولي عقدت الجالية اجتماعا عاماً في بيت الوجيه يعقوب أبو شايبه الرحب وبعد أن تكلم فيه المحامي المعروف الأستاذ فرنسيس عبدربه مرحباً بي، وقفت وألقيت في جمعهم الكريم كلمة وطنية، تعرضت فيها لأوضاع بلادنا، وأثر نكبة فلسطين في الشعوب العربية وواجب المهاجرين نحو الوطن الأم، وأثرت حماسهم، وناشدت وطنيتهم الصادقة، أن يبقوا للوطن الجنود المخلصين يعملون من أجل رفعته وعزته، وأن يبقوا لمواطنيهم فيه خير النصير والمجير ورجوتهم كذلك المساهمة في بناء كيانه الاقتصادي بخبرتهم وبرؤوس أموالهم، وكان لها أكبر الأثر في قلوبهم ولدى الانتهاء منها أخذ لنا رسم تذكاري ثم جلسنا نتحدث في شتى الأمور العربية حتى ساعة متأخرة من الليل، وفي اليوم التالي من الاجتماع نشرت جريدة الديار يوكومرشيال صورتي مع حديث مستفيض.

وفي هذه المدينة وبفضل الجهود الوطنية الجبارة التي بذلها لي الإخوان يعقوب أبوشايبة والياس قطان وفرنسيس أبو فحيلة تمكنت من إنهاء مهمتي وإنجاحها، مما جعلني أغدوا شاكراً ممتناً وطنيتهم الصادقة وعنايتهم الفائقة لي، لا سيما أن بمساعيهم المحمودة كان

تشجيع مجلة المهد بين أفراد الجالية عظيماً لإيمانهم بأنها المجلة الوحيدة التي تؤدي رسالتها بين المهاجرين والوطن العزيز بصدق وإخلاص، وهكذا تضرب جالية مدينة «سان بدرو سولا» الرقم القياسي في أعمال الوطنية الصادقة كما هو شأنها في كل مرة.

وبعد أن أمضيت بين أفراد هذه الجالية الكريمة الأعياد الميلادية المقدسة ورأس السنة الجديدة، كنت خلالها موضع الحفاوة والتكريم لم أشعر فيها بوحدة أو غربة، وفي الحفلات التي أقامها لي السادة جودة قنواتي والياس سوادي وأنطون ميكيل وحنا سكافي والياس مسلّم وخيم عليها جو البهجة والسرور، وتبدى فيها كرم الداعين ولطفهم، كنت أشعر أني فيها بين أهلي وفي بلدي، وقدمت كل هذا بشكر هذه الجالية الكريمة مكبراً فيها روح الوطنية الصادقة العالية وهي الجالية التي تعد بحق رمز الإخلاص والوطنية الحقة.

وفي صباح ٥٣/١٢/٣٠ ركبت الطائرة، يرافقني المواطن الكريم يوسف قطان إلى مدينة بروغريسو، فوجدت في مطارها المواطنين السادة خليل مرزوقة، ميخائيل بندك، أنطون حنضل، والياس سعادة في انتظارنا وبعد أن سلمت على الجميع مصافحاً نقلتنا سياراتهم إلى بيت المواطن ميخائيل بندك حيث تناولنا طعام الغداء ومعنا المواطن أنطون أبو فحيلة الذي حضر من بلد مجاور وبعد الطعام والاستراحة خرجت مع السادة ميخائيل بندك، خليل مرزوقة ويوسف قطان وطفنا على أبناء الجالية للسلام والتعارف، وفي المساء وبعد تناول طعام العشاء في بيت السيد ميخائيل اسطفان البندك توجهت مع عدد من أفراد الجالية إلى قاعة الجمعية العربية، حيث كانت الجالية العربية من سيدات ورجال مجتمعة وقد افتتح الاجتماع السيد يوسف قطان رئيس الجمعية بكلمة رحب فيها بمقدمي وبين الغاية من رحلتي، ثم وقف بعده السيد رودلف قطان سكرتير الجمعية وألقى كلمة بالإسبانية عني وعن مهمتي بينهم، وعن مجلة المهد التي قال عنها: يجب أن تبقى الرابطة القومية التي تربط المهاجرين بوطنهم الأم، ولدى الانتهاء منها وقفت وألقيت كلمة عربية حماسية جامعة كان لها الأثر الحسن في القلوب ثم وقف بعد ذلك الصحافي الهندوراسي السيد مارتين بايدي غالينيدو وألقى كلمة بالإسبانية تعرض فيها للثقافة العربية في إسبانيا وأثرها في مدنيّة العالم لا سيما أمريكا اللاتينية، ولتاريخ العرف الحافل بالأمجاد والمكرمات، وتمنى للبلاد العربية العزة والمجد وبعد أن رحب بي - باسم الصحافة وشعب هندوراس- بكلمات تنم عن الصدق والإخلاص جلس بين عاصفة من التصفيق، وبعد ذلك أخذت لي مع الحضور رسوم تذكارية وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشر فانفض عقد الاجتماع. وفي اليوم التالي وبعد أن تناولت طعام الإفطار في بيت المواطن الكريم يوسف قطان ودّعت أفراد الجالية وعدت بالقطار إلى سان بدرو سولا وكان برفقتي المواطن خليل مرزوقة، فأمضينا الوقت في الحديث عن بلادنا إلى أن وصلنا ليما، وفي محطتها وجدت ابن العم الياس مسلّم في انتظاري فنقلني في سيارة إلى بيته حيث تناولت طعام الغداء معه ومع عائلته الكريمة وبعد الغداء ركبت سيارة تاكسي وعدت إلى سان بدرو سولا.

وفي مساء هذا اليوم ٥٣/١٢/٣١ بينما كان الناس يحتفلون بعيد رأس السنة الجديدة في الأندية والبيوت والشوارع وفي كل مكان أذعتُ من راديو سان بدرو كلمة وطنية على الجالية بمناسبة الأعياد ولدى الانتهاء منها قدمت المطربة شهناز لتحيي للجالية حفلة عربية غنائية أطربت فيها المستمعين بأنغامها الشجية وألحانها العذبة وصوتها الرخيم، وبقيت تغني الأغاني البلدية العربية إلى الساعة العاشرة ليلاً.

وبعد ظهر يوم ٥٤/١/١ توجهت بالقطار إلى مدينة بورتوكورتيز ومنها بالطائرة إلى مدينة تيلا، وسايبا، حيث زرت جواليها، وعقدت الاجتماعات وألقيت الخطب وأخذت لنا الرسوم التذكارية وكنت خلال زيارتي هذه موضع حفاوة الإخوان وتكريمهم لا سيما السادة بشارة سليم قنواتي، وجورج القسيس وميخائيل القواس وحنا نقولا قنواتي والياس مسلّم عدت يوم ٥٤/١/٥ إلى سان بدروسولا معجبا بالروح القومية العربية التي يتحلى بها أفراد هذه الجاليات العربية وعلى رأسهم المواطن الكريم السيد جورج القسيس المعروف بمواقفه الوطنية في الدفاع عن قضية فلسطين.

وبتاريخ ٥٤/١/٧ غادرت نهائيا مدينة سان بدروسولا بالطائرة إلى العاصمة تيغوسيغالبا بعد أن كان في وداعي في مطارها السادة: جودة قنواتي والياس السوادي وحنا سكافي وبشارة جحا وبعد طيران ما يقارب الساعة هبطت بنا الطائرة في أرض مطار العاصمة، ومنه استقللت سيارة تاكسي وتوجهت إلى فندق لنكولن ومنه باشرت اتصالي في الحال برجالات الجالية وقد وجدت في المواطن الكريم السيد سليم برهوم من مهّد طريقي للاجتماع بالجالية وإنجاح مهمتي، أكثر اللّه من أمثاله المخلصين.

وفي مساء ٥٤/١/٨ توجهت برفقة السيد سليم برهوم إلى دار النادي العربي، حيث كان أفراد الجالية مجتمعين، فقدمني للحضور المواطن شكري كافيه بكلمة رقيقة تنم عن روحه الوطنية العالية ومن ثم وقفت وألقيت كلمة وطنية تعرضت فيها لقضية فلسطين والأضرار التي اجتازتها وأثر السياسة الغاشمة في نكبة عرب فلسطين وتشريدهم من ديارهم لتقوم على أنقاضهم دولة إسرائيل وبيّنت الأثر الفعال الذي تركته هذ النكبة في الشعوب العربية التي أخذت تتوحد وتعد العدة لجولة ثانية تعيد معها الشرف المسلوب والوطن المنهوب، ورجوت المهاجرين وهم قوة الوطن الفعالة في المهجر أن لا يتوانوا عن القيام بالواجب المحتّم عليهم في سبيل النهوض بالوطن الأم بعد نكبته وبناء كيانه الاقتصادي بعد أن استولى الصهاينة على ثروته ومرافقه الحيوية، وقد قوبلت بالتصفيق والإعجاب ولدى الانتهاء وقف المواطن الكريم جريس يعقوب وألقى كلمة وطنية جامعة أبان فيها استعداد الجاليات العربية للتضحية في سبيل فلسطين إن أحسن قادة العرب وزعماؤهم القيادة وأخلصوا النية، وقرروا استراجاع فلسطين بالسلاح، لمحو العار الذي لحقهم في المهجر من جراء تخاذل الدول العربية في نصرة فلسطين، وقوبلت بعاصفة من التصفيق وقد وقف بعده الوطني المعروف السيد سليم برهوم وألقى كلمى أخرى حول فلسطين وتخاذل الدول العربية في إنقاذها، وبين مدى استعداد المهاجرين للبذل في سبيل فلسطين يوم يتولى المخلصون قيادة الشعوب العربية في سبيل القضاء على دولة إسرائيل التي قامت في وسط العالم العربي، وعلى آلام ومصائب عرب فلسطين كان لها أكبر الأثر في القلوب، وبعد ذلك وقف السيد شكري كافيه وشكر حضرات الخطباء وأعلن إنهاء الاجتماع، ثم جلسنا نتحدث عن أنجع الخطط والطرق التي على العرب أن ينتهجوها في سبيل إعادة مكانتهم تحت الشمس، وبقينا في مثل هذه الأحاديث الوطنية إلى ساعة متأخرة من الليل.

وفي اليوم الثاني حضرت حفلة الرقص الكبرى التي اقامتها سيدات الجالية واوانسها في قاعات النادي الرحبة، في سبيل تقوية مالية النادي العربي ليتمكن من متابعة تأدية رسالته العربية بين المهاجرين.

وفي الأيام القليلة التي أقمتها في العاصمة كنت موضع حفاوة أفراد الجالية الكريمة وتكريمها وفي الحفلات التي أقامها لي السادة: عيسى القطيمي وعبود قرنفل وعبداللّه عصفورة وجورج مسلّم وجورج الياس برهوم لأكبر دليل على روح الإخاء العربية التي تربط المهاجرين بإخوانهم العرب المقيمين لأنها روح عربية عالية لم تتمكن الأيام والغربة وملاهي الحياة في ديار الهجرة من إضعافها وهكذا بعد أن أنهيت مهمتي في هذه المدينة أخذت أعدّ العدة للرحيل عنها إلى جمهورية السلفادور.

وجمهورية هندوراس بلاد واسعة تكثر فيها الأحراج، ومعظم أرضها غير مستغلة زراعياً والمياه فيها كثيرة، وتكاد تكون أرضها مستنقع من كثرة مياهها ومناظرها الطبيعية تفوق الوصف وأشهر مدنها وأكبرها هما مدينة تيغوسيغالبا العاصمة، وسان بدروسولا، ولكن يد العمران ما زالت ممتدة إليهما لتصبحا من المدن العصرية، خصوصاً والشوارع في مدينة سان بدوسولا وفي غيرها من المدن ما زالت غير معبدة، وهي عرضة للأوحال في أيام الشتاء، وللغبار في أيام الحر الشديد، وطرق المواصلات البرية في هذه الجمهورية معدومة كلياً غير أن الحكومة الحاضرة جادة في فتحها وتمتاز بطرق مواصلاتها الجوية، وهنالك ثلاثة قطارات لشركة الفواكه الأميركية خاصة بنقل الموز والركاب وليس من قطار منها يصل العاصمة وكثيراً ما تستخدم البغال وعربات الثيران في النقل إلى الأماكن العالية التي لا خط طيران يصلها.

ويقدر عدد سكانها بما يقرب من المليون والنصف مليون نسمة ومستوى المعيشة بينهم دون ما هو عليه الأمر في جمهوريات أمريكا اللاتينية والفقر ظاهر بينهم، ولكنهم يفرطون في تعاطي المسكرات وليس لهذه الجمهورية جيش أو قوة أمن عام نظامية ولكنها تملك قوة جوية لا يستهان بها والتعليم الابتدائي فيها إجباري ومجاني وتعتمد ثروة هندوراس على زراعة الموز وجوز الهند وتنتج كذلك القهوة والقطن والأرز والسكر وفيها مناجم الفضة والذهب. ويقتصر دخل الحكومة على واردات الجمارك وما تدفعه شركة الفواكه إذ لا ضرائب يدفعها السكان، وفي هذه الجمهورية حزبان، الحزب الأحمر وشعاره اللون الأحمر وحزب المحافظين وشعاره اللون الأزرق. وهذا الحزب هو الذي يحكم البلاد الآن منذ عام ١٩٣٣، غير أن البوادر تدل على أن معركة الانتخابات لرئاسة الحكومة في شهر تشرين الأول من هذا العام ستكون شديدة الوطأة بين الزرق والحمر.

والجالية العربية الفلسطينية في هذه الجمهورية يقدر عدد أفرادها بما يزيد على الثلاثة آلاف نسمة يشتغل معظمهم في التجارة ولهم صناعة ناجحة، ومنهم من يشتغل بالزراعة ولهذه الجالية في كل بلد حلت فيه ناد عربي، ولها مكانة مرموقة وتسيطر سيطرة كلية على حياة البلاد التجارية والصناعية ولولا هذه الجالية لما كان في هندوراس تجارة أو صناعة، والحكومة في كل أمورها تحسب حساب هذه الجالية وتخشى بأسها، وهنالك شركة الفواكه الأمريكية التي منحت امتياز زراعة الموز في البلاد، تعد بجانب الجالية العربية قوة هائلة تحسب لها الحكومة ألف حساب، ونفوذها في تأليف الحكومة وانتخابات رئاسة الجمهورية ظاهر للعيان، وكثيراً ما يقال أن هذه الشركة هي حكومة الهندوراس ومن خالف لها أمراً من رجال الحكم لا يلبث أن يصبح في خبر كان، وأكثر العمارات الجميلة في مدن الهندوراس هي ملك الجالية العربية، ولو جردت المدن من هذه العمارات لما كان فيها عمران يذكر. وروح الجالية العربية الوطنية عالية جداً وأما مواقفها في الدفاع عنها فحدث ولا حرج.

عودة الزميل مدير تحرير هذه المجلة

يسرنا أن نزف إلى قارئ هذه المجلة الكرام، نبأ عودة الزميل الأستاذ أيوب مسلّم مدير تحرير هذه المجلة وأحد أصحابها من رحلته إلى الديار الأميركية التي استغرقت تسعة أشهر طاف خلالها جمهوريات أمريكا الجنوبية والوسطى والشمالية حيث استطلع وضعية الجاليات العربية وتفقد شئون هذه المجلة وقد طالع القراء مشاهداته في أعداد المجلة السابقة وسيتحف القراء في الأعداد القادمة بمطالعاته عن هذه الرحلة التي قام بها بواسطة شركة الطيران الهولندية ال K L M وكان في استقباله يوم وصوله في مطار القدس لفيف من أصدقائه وإخوانه وأفراد عائلته فنرحب بالزميل العزيز ونهنئه بسلامة العودة.

مجلة المهد والشتات الفلسطيني في أمريكا اللاتينية
(١٩٥٣ – ١٩٥٤)

د. عدنان ايوب مسلّم

تدور هذ الدراسة حول الشتات الفلسطيني في أميركا اللاتينية كما يرى في صفحات مجلة المهد البيتلحمية وفي كتابات صاحبها ورئيس تحريرها أيوب مسلّم يعقوب مسلّم، ١٩٥١ - ١٩٥٦. وثمة قضية مركزية واجهها أعضاء الشتات الفلسطيني في أميركا اللاتينية كانت قانون الأردن ١٩٤٩/٥٦ الذي منعهم من حيازة المواطنة وجوازات السفر الأردنية لأنهم لم يسكنوا عملياً في الأردن في عام ١٩٤٩.

قاد الصحفي أيوب مسلّم ومجلة المهد الحملة لإلغاء هذا القانون الظالم. ومحاولة منه لكسب التأييد لإلغاء هذا القانون والحصول على مشتركين جدد لمجلة المهد في الشتات، قام أيوب مسلّم برحلة في منتصف عام ١٩٥٣ حتى أوائل عام ١٩٥٤ إلى الشتات الأميركي اللاتيني في البرازيل والتشيلي وبوليفيا وبيرو وكولومبيا وهندوراس والسلفادور والمكسيك وأيضاً إلى الشتات في الولايات المتحدة. وفي النهاية تم الغاء قانون ١٩٤٩/٥٦ وتم الإعلان عن قانون المواطنة الجديد في أوائل عام ١٩٥٤.

ولكي أقدم دراستي بطريقة منطقية، فقد ركزت على السياق التاريخي... نكبة ١٩٤٨ – ١٩٤٩، خط هدنة رودوس عام ١٩٤٩ وأيضاً خرائط النزاع العربي – الإسرائيلي ١٩٤٧ – ١٩٤٩، وبيت لحم تحت حكم الأردن ١٩٤٩ – ١٩٦٧. وقدمت أيضاً نظرة تاريخية موجزة للشتات الفلسطيني في أميركا اللاتينية. ولكن التركيز الرئيسي في التقديم كان على أيوب مسلّم ومجلة المهد والشتات الفلسطيني في أميركا اللاتينية، ١٩٥٣ – ١٩٥٤.

النكبة
(١٩٤٨ – ١٩٤٩)

لم تنجُ منطقة بيت لحم من قلاقل عام ١٩٤٨ التي أعقبت تقسيم الأمم المتحدة لفلسطين، ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ (قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١). في ١١ آذار عام ١٩٤٨ تم الاعتقاد بأن أنطون داود، عضو المقاومة السرية العربية الفلسطينية من بيت لحم،

وسائق القنصل الأميركي العام روبرت ب. ماكاتي، وضع المتفجرات التي نسفت مقر الوكالة اليهودية في القدس. إن هذا العمل، الذي كان رد فعل على تفجيرات عدة بنايات قامت بها الحركة السرية اليهودية منذ عام ١٩٤٦، نتج عنه مقتل أحد عشر شخصاً على الأقل وجرح ستة وثمانين شخصاً آخرين. وفي ٢٧ آذار عام ١٩٤٨ تم نصب كمين لتسع وخمسين سيارة مصفحة وشاحنة وباص لقافلة يهودية في طريقها من كفار عصيون إلى القدس عن طريق ضاحية الدهيشة في بيت لحم. وتم تدمير اثنتين وعشرين عربة واستولى عرب المنطقة على ست عربات. وفي هذه المواجهة العربية – اليهودية التي استمرت ثلاثون ساعة، قتل خمسة وعشرون مستوطناً يهودياً وجرح أربعة وعشرون بينما سلّم ١٤٩ من الناجين أسلحتهم وعرباتهم وتمت مرافقتهم حيث الأمان من قبل قوة بريطانية. كان هذا آخر انتصار عربي في المواجهة الفلسطينية – الإسرائيلية عام ١٩٤٨ – ١٩٤٩.

ولكن سقوط قرية القسطل الإستراتيجية في منطقة القدس وموت القائد العسكري الفلسطيني عبد القادر الحسيني في ٨ نيسان ١٩٤٨ وأيضاً مجزرة دير ياسين، ٩ نيسان ١٩٤٨، كل ذلك مهّد للنكبة الفلسطينية وتأسيس دولة إسرائيل في ١٤ أيار، ١٩٤٨. وكان ذلك علامة للانتقال الإجباري لآلاف الفلسطينيين العرب من القدس والمناطق الساحلية لفلسطين. وحسب التقديرات تبين أن ٥٠,٠٠٠ لاجئ من منطقة القدس وصلوا إلى منطقة بيت لحم في الأيام الأولى للنكبة. ولكن بحلول أيلول ١٩٤٨ وجد إحصاء رسمي أظهر أن ٢١,٠٣٠ لاجئاً موزعين كالتالي: بيت لحم (٩٣٠٥)، بيت جالا (٤٣٦٠)، بيت ساحور (١٧٤٥)، وفي مناطق أخرى من المحافظة (٥٧٢٠). كان الصليب الأحمر يتولى تقديم الضروريات الأساسية لهؤلاء اللاجئين، أي قبل تدخل وكالة الأمم لإغاثة وتشغيل اللاجئين (الأونروا) لتتولى عمل الإغاثة ومن ضمن ذلك دعم مخيمات اللاجئين الثلاثة التي أنشئت (الدهيشة، العزة، وعايدة) بحلول أيار ١٩٥٠.

كان للزيادة غير المسبوقة في عدد سكان بيت لحم نتيجة تدفق اللاجئين والحرب المستمرة في فلسطين، ١٩٤٨ – ١٩٤٩ تأثيرات كارثية على بيت لحم. فقد توقفت الحياة التجارية ومن ضمنها السياحة وأصبح الفقر منتشراً على نطاق واسع.

خط هدنة رودوس
تجزئة فلسطين
(١٩٤٩)

في أعقاب «إعلان استقلال» إسرائيل من قبل ديفيد بن غوريون في ١٤ أيار ١٩٤٨، حركت عدة دول عربية قواتها إلى فلسطين: لبنان، سوريا، شرق الأردن، مصر والعراق. ولكن هذه الدول كانت منقسمة حول قضية فلسطين حيث سعى الأردن إلى ضم الضفة الغربية، بينما عملت مصر على ضم جنوب فلسطين. كانت الحرب كارثية على الفلسطينيين والدول العربية، وفي نهايتها في عام ١٩٤٩، كانت إسرائيل قد وسعت ممتلكاتها إلى ٧٧,٤٪ من فلسطين الانتدابية وعانى ٧٥٠,٠٠٠ فلسطيني تشرداً واسعاً وفقدوا بيوتهم ومساحات كبيرة من الأراضي الزراعية – فيما أصبح يعرف بالنكبة.

وبحلول كانون الثاني ١٩٤٩ كانت إسرائيل قد ربحت الحرب وتم الإعلان عن اتفاقية هدنة رودوس بين الدول العربية وإسرائيل بين شباط وحزيران ١٩٤٩. أعطى التقسيم الجديد على طول خط الهدنة عام ١٩٤٩ ما تبقى من فلسطين خارج السيطرة الإسرائيلية إلى الأردن ومصر. ومن ناحية إدارية، فقد أصبح للفلسطينيين مكانة اللاجئين في وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأوسط (الأونروا)، أو تم استيعابهم في الاقتصاد الأردني والاقتصاد العربي. وبحول عام ١٩٥٠، كانت الأونروا قد سجلت ٩١٤,٢٣١ لاجئاً وأظهرت حرب ١٩٤٨ – ١٩٤٩ نجاحاً واضحاً للإسرائيليين.

خرائط النزاع العربي – الإسرائيلي، ١٩٤٧ – ١٩٤٩

الخريطة الأولى:
خطة الأمم المتحدة للتقسيم – قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١

الخريطة الثانية:
خط هدنة رودوس، ١٩٤٩

الخريطة الثالثة:
القدس والجسم المنفصل المقترحة عام ١٩٤٧.

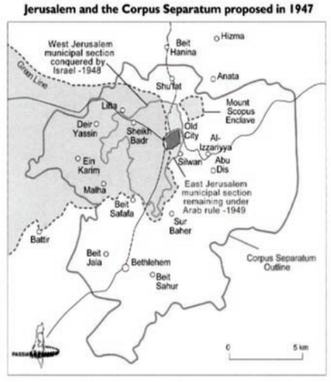

بيت لحم تحت حكم الأردن
(٣ نيسان ١٩٤٩ – ٤ حزيران ١٩٦٧)

إن اتفاقية الهدنة بين إسرائيل والأردن في ٣ نيسان ١٩٤٩ تركت الأردن يسيطر على الضفة الغربية. وفي عام ١٩٥٠ أعيد تسمية الأردن فأصبح يعرف بالمملكة الأردنية الهاشمية التي تضم المناطق الفلسطينية (الضفة الغربية) التي تم إلحاقها.

تأثرت بيت لحم كثيراً بمشكلة اللاجئين الفلسطينيين، ١٩٤٨ – ١٩٤٩. في تعداد السكان الرسمي الأول عام ١٩٢٢، كان إجمالي عدد السكان في بيت لحم ٦٦٥٨ نسمة وأغلبية مكونة من ٥٥٨٨ نسمة كانوا مسيحيين. وبحلول عام ١٩٤٦ كان إجمالي عدد السكان ٩١٤٠ وأغلبية مكونة من ٦٤٩٠ نسمة كانوا مسيحيين. ولكن مع اقتلاع اللاجئين الفلسطينيين عام ١٩٤٨ – ١٩٤٩، أصبحت بيت لحم تستضيف ثلاثة مخيمات للاجئين (الدهيشة، عايدة والعزة) ولاجئين آخرين من المنطقة الساحلية. وبحلول عام ١٩٥٢ تم تقدير العدد الإجمالي للسكان في بيت لحم ١٩,١٥٥ ومن ضمنهم فقط ٥٧٨٥ نسمة كانوا مسيحيين. وفي تعداد السكان الأردني الرسمي لعام ١٩٦١، من مجموع ٢٢,٤٥٣ نسمة في بيت لحم كان ٦٧٧٩ نسمة مسيحيين. إن معدلات الخصوبة المتدنية والزيادة المستمرة في الهجرة من منطقة بيت لحم: بيت لحم، بيت جالا وبيت ساحور ما زالت مستمرة حتى هذه الدقيقة.

الشتات الفلسطيني في أميركا اللاتينية

ليس ضمن نطاق هذا البحث أن نفحص بعمق الخلفية التاريخية لظاهرة الهجرة والاستقرار الفلسطيني في أميركا اللاتينية. ونكتفي بالقول أن البحث الذي قمت به عن «المراحل التكوينية للهجرة العربية الفلسطينية إلى أميركا اللاتينية وسعي المهاجرين للعودة والحصول على المواطنة الفلسطينية في أوائل العشرينات من القرن العشرين» يتناول الخلفية التاريخية للهجرة الفلسطينية من بيت لحم وبيت جالا.

يركز البحث على الهجرة المبكرة من الدولة العثمانية وفلسطين العثمانية. وتصاعدت الهجرة في القرن التاسع عشر مع انفتاح فلسطين (جزء من سوريا الكبرى / بلاد الشام) على التأثيرات الغربية والابتكارات التكنولوجية ومن ضمنها الثورة الصناعية. وهذا أدخل الإقليم في الشبكة الاقتصادية الغربية وما رافقها من حركات استعمارية أوروبية في المنطقة. ونتيجة لذلك، لم تكن المنتجات المصنوعة يدوياً قادرة على المنافسة مع البضائع الأوروبية المنتجة بكميات هائلة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن وجود الأماكن المقدسة في فلسطين وانتشار المؤسسات الدينية الأجنبية وجماهير الزوار والحجاج الذين أتوا إلى الأرض المقدسة ومن ضمنها الناصرة وبيت لحم والقدس

زادت من الوعي المحلي بالخارج. وفي هذه العملية اختلط السياح بالمترجمين العرب المسيحيين وبائعي الهدايا التذكارية الذين تكلموا لغات أجنبية. أدى كل ذلك إلى وعي بأوروبا والعالم الجديد من قبل السكان المحليين الذين بدأوا يفكرون بطرق للوصول إلى هذه الأماكن المسحورة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن المعارض الدولية في الولايات المتحدة: معرض فيلادلفيا عام ١٨٧٦، معرض شيكاغو عام ١٨٩٣ ومعرض سانت لويس عام ١٩٠٤ لعبت دوراً رائداً في جذب التجار من بيت لحم الذين حملوا معهم منتجات تذكارية للأرض المقدسة مثل الصدف وخشب الزيتون ومنحوتات النبي موسى لكي يعرضوها ويبيعوها للمؤمنين. واستقر العديد من أفراد عائلات بيت لحم في الولايات المتحدة والمكسيك وغواتيمالا. وفي النهاية، فإن سقوط الدولة العثمانية والحرب العالمية الأولى والتجنيد العسكري الإجباري، كل ذلك قاد الكثيرين إلى البحث عن الخلاص من خلال الهجرة «من يافا إلى مرسيليا في فرنسا بواسطة وكيل سفر هناك بدون أن يكون لهم فكرة عن قصدهم النهائي».

وبينما الأوضاع السياسية والاقتصادية تتدهور في العهد البريطاني ١٩١٧ – ١٩٤٨ بسبب النزاع العربي – الصهيوني، كانت الهجرة قد استمرت دون توقف. ومجموعات كبيرة من المهاجرين تبعت بعضها البعض وتشجعت من قبل الأقارب الذين أصبحوا من سكان التشيلي وكولومبيا وبيرو وهندوراس والسلفادور والمكسيك. وفي نفس الوقت بدأت أسماء عائلات معينة في بيت لحم في الاختفاء من السجلات المحلية لتعاود الظهور في بلدان أميركا اللاتينية.

ولكن مسألة عودة المهاجرين من أميركا اللاتينية وحقوقهم في المواطنة الفلسطينية أصبحت بارزة. ونصت المادة ٣٤ من معاهدة لوزان بين تركيا والحلفاء عام ١٩٢٣ على أن هؤلاء الأشخاص كان لديهم سنتان للتقدم بطلب المواطنة الفلسطينية. ولكن هذه القوانين الجديدة لم يتم نشرها في الوقت المناسب وخسر المهاجرون الفرصة لتقديم طلب المواطنة. ونتيجة لذلك، تبنى أعيان بيت لحم وبيت جالا القضية وأسسوا «اللجنة للدفاع عن حقوق المهاجرين في المواطنة الفلسطينية.» وقد أثار عيسى البندك، رئيس بلدية بيت لحم قضية المهاجرين هذه مع لجنة اللورد بيل الملكية التي قدمت إلى فلسطين في ١٩٣٦ – ١٩٣٧ لاستقصاء سبب عدم الاستقرار في فلسطين. وأوصت اللجنة بأن هؤلاء المهاجرين ذوي النوايا الحقيقية والذين حافظوا على اتصال شخصي مستمر مع فلسطين يجب أن يحصلوا على المواطنة. ونتيجة للسياسة البريطانية هذه فقد تمت الموافقة على ١٠٠ (مائة) فقط من الذين قدموا طلب الحصول على المواطنة من بين ما مجموعه ٩٠٠٠ مهاجر قدموا الطلب.

إن عدم قدرة المهاجرين في الحصول على المواطنة الفلسطينية في الفترة البريطانية تشبه إلى حد ما قانون المواطنة الأردني ١٩٤٩/٥٦ الذي منع فلسطينيي الشتات من أميركا اللاتينية من الحصول عليها كما يظهر لاحقاً في هذا البحث.

مجلة المهد
(١٩٥١ – ١٩٥٦)

في عام ١٩٥١ بدأ عضو فاعل سابق في الحزب العربي في العهد البريطاني، والذي ترأسه القائد الفلسطيني التاريخي الحاج أمين الحسيني وصحافي في جريدة الحزب اللواء وجريدة الأوقات العربية، في إرساء الأساس لمجلة المهد وهي نشرة أسبوعية في بيت لحم ظهرت في أواخر ١٩٥١. درس أيوب مسلّم يعقوب مسلّم في عدة مدارس في مناطق بيت لحم والقدس ومن ضمنها المعهد اللاهوتي اللاتيني في بيت جالا حيث درس استعداداً لدرجة الكهنوت. ولكن تغيراً في الخطط قاده إلى الحياة غير الإكليركية. ومن عام ١٩٣٠ إلى عام ١٩٣٥ درّس في المدارس الراعوية الكاثوليكية في بيت ساحور ورام اللّه وعابود وبرقين وبيت لحم. وفي عام ١٩٣٤ أصبح قائداً لكشافة المهد في المدرسة الراعوية الفرنسيسكانية (الآن تراسنطا) وخدم كمحرر لمجلة الكشاف في عام ١٩٣٤ – ١٩٣٥. وأثناء الاضرابات العامة وعدم الاستقرار العربي عام ١٩٣٦ – ١٩٣٧ سجن أيوب مسلّم في معسكرات الاعتقال في صرفند وعتليت وأبوغوش.

وفي أثناء سنوات الحرب (١٩٣٩ - ١٩٤٥) وحتى نهاية الانتداب البريطاني، استمر في نشاطه في الحزب العربي وكان يعمل كذلك مديراً لشركة «سبيني» للأغذية في البلدة القديمة في القدس والتي مقرها الرئيسي في بريطانيا.

في الفترة بين ١٩٥١ وبين ١٩٥٧ تم تخفيف قانون الصحافة في ظل الحكم الأردني. وفي عام ١٩٥٧ تم الغاء الدستور الأردني في أعقاب سقوط حكومة سليمان النابلسي المؤيدة للعروبة ولعبد الناصر. وهكذا كانت مجلة المهد الأسبوعية فاعلة في السنوات التحررية للفترة الدستورية، ١٩٥١ إلى ١٩٥٦. وبشكل عام عكست الصحافة قلق أجيال النكبة الفلسطينية، ١٩٤٨ – ١٩٤٩. وانتقلت الصحف الكبرى في الفترة البريطانية كالصحف اليومية (فلسطين والدفاع) من يافا التي تسيطر عليها إسرائيل إلى القدس أو إلى عمان.

محتويات المهد
(١٩٥١ – ١٩٥٣)

في الثالث والعشرين من كانون الأول ١٩٥١، ظهر العدد الأول من المهد بشكل مجلة من ١٨ صفحة وكان صاحبها ومحررها أيوب مسلّم والمحرران المشاركان نبيل شحادة الخوري (١٩٥١ – ١٩٥٢) والأستاذ خضر زهران (١٩٥٥ – ١٩٥٦). وتضمنت إدارة المجلة الأسبوعية سابا الخوري باسيل البندك وميخائيل سليم قنواتي وفي السنة الأخيرة ١٩٥٥ – ١٩٥٦، جليل عيسى السايح.

على سبيل المثال تضمن العدد الرابع يوم الأحد بتاريخ ١٣ شباط ١٩٥٢ التالي: كان على الغلاف الأمامي صورة بالأسود والأبيض لداخل المسجد الأقصى. وتضمنت المحتويات مقالاً افتتاحياً عن: مصر، والاتجاهات الأدبية والشعرية، والتباس الألقاب في الأردن، ورسالة إلى وزير المالية، وفقرات تسلية، وانتقاد للهلال الأحمر / فرع النساء في القدس، وروح السياسة وقيمة المعاهدات، وما هو مصير اللاجئين؟ ودين العروبة، وراديو الأردن: انتقاد وتحليل لوكالة الأمم المتحدة للغوث وتشغيل اللاجئين ونظرة لجمعية الصليب المقدس الخيرية في بيت لحم وباب الفن وباب المرأة ورواية قصيرة بقلم المحرر المشارك نبيل خوري وأخبار محلية وأخبار المهاجرين، والمهاجرين العائدين، وموت أحد الأعيان، ونظرة لمدرسة تراسنطا في بيت لحم، وبنود متنوعة أخرى.

كان العدد الصادر من مجلة المهد بتاريخ ١٣ شباط ١٩٥٢ من الغلاف إلى الغلاف، مثل الأعداد الأخرى، مليئاً بالإعلانات التجارية من القدس وبيت لحم ورام اللّه. وبشكل متزايد بدأت المهد في التركيز على علاقاتها بالمهاجرين الفلسطينيين في الشتات وانتقاد قانون المواطنة الأردني ١٩٤٩/٥٦ الذي منع فلسطينيي الشتات من الحصول على المواطنة الأردنية، وذلك لعدم وجودهم في البلاد في عام ١٩٤٩.

لذلك قادت مجلة المهد الحملة ضد هذا القانون الذي منع أيضاً الحكومة الأردنية من إعطاء المساعدة المالية إلى المهد كما فعلت الحكومة مع الصحف والمجلات الأخرى في المملكة. ونشرت الصحيفة أيضاً رسائل من الفلسطينيين في الشتات يطالبون الحكومة الأردنية أن تعين قناصل أردنيين في جمهوريات أميركا اللاتينية الذين يرعون مصلحة مهاجري الأردن وحتى يمنحوهم جوازات سفر أردنية كذلك. وقدم رئيس تحرير المهد السيد أيوب مسلّم، الذي أصبح الآن السكرتير التنفيذي لغرفة تجارة بيت لحم مذكرة إلى مؤتمر غرف التجارة الأردنية في القدس في ٩ تشرين الأول ١٩٥٢ بخصوص قانون المواطنة الأردني ١٩٤٩/٥٦. وبدورها قدمت غرفة تجارة عمان رسالة إلى رئيس الوزراء الأردني وفيها توصي بقوة أن تمنح الحكومة الأردنية فلسطينيي الشتات المواطنة الأردنية.

بدأ محتوى المهد يخصص مساحة أكثر لأخبار الشتات الفلسطيني في أميركا اللاتينية كما يشاهد في مقال من صفحتين صدر في سنتياغو، التشيلي والذي كتبه أحد الأهالي هناك، ولاحقاً كتبه أحد سكان بيت جالا، السيد ماريو جبرا خميس الذي وصف فيه بالتفصيل نشاطات الشتات الفلسطيني في القطاعات التجارية والخيرية والرياضية في التشيلي. وكتب نفس المؤلف تقريراً ناقداً عن دعم الشتات لبلدهم الأصلي فلسطين. وقد أثار مقال افتتاحي كتبه رئيس التحرير أيوب مسلّم مشكلة إصدار جوازات السفر الأردنية لأعضاء الشتات بالرغم من المعيقات الكثيرة التي خلفها عدم وجود جوازات سفر في تحركهم ونشاطاتهم. وأضاف مسلم أن الحكومة الأردنية استمرت في تجاهل هذه المطالب. وأورد مسلّم مثالاً على عضو الشتات في هندوراس «جورج قسيس عساف» الذي انتشرت مقالاته الناقدة باللغة الإنجليزية للتقرير السلبي الصادر عن الهيئة العامة للأمم المتحدة حول اللاجئين العرب الفلسطينيين، على نطاق واسع. إن هذا الشخص والكثيرين من أمثاله في الشتات يستحقون المواطنة الأردنية.

استمرت المهد في تغطية شؤون الشتات الفلسطيني في أمريكا اللاتينية في أعدادها المختلفة. وفي العدد ٢٩ (الأحد ١٨ كانون الثاني ١٩٥٣) كانت هنالك تغطية لعرب التشيلي، حول بدايتهم المتواضعة وصناعاتهم المزدهرة كما يشاهد في نجاح الأخوة أبو جارور،

حنا ونيقولا وسابا، في صناعة النسيج. وقدر عدد العرب الذين عاشوا في التشيلي أنذاك حوالي ٢٠,٠٠٠ عربي. كان عرب شتات التشيلي فاعلين في الشؤون الثقافية كجمعية أصدقاء الثقافة العربية. وقد وُصفت زيارة الأب لويس اسبينوزا إلى بيت جالا والى أقارب الفلسطينيين في التشيلي في مجلة المهد من قبل فيليب قيسية من بيت جالا. كان الأب لويس مغرماً باللغة العربية وأراد أن يتعلمها. وفي العدد ٣١ من المهد كتب عيسى صليبا جحا من ليما – البيرو عن تردد الأردن في إصدار الجنسيات إلى الشتات في أميركا اللاتينية. وأبدى لبنان استعداده لتقديم المواطنة اللبنانية إلى الأردنيين / الفلسطينيين ولكن هؤلاء رفضوا ذلك، لأنهم أرادوا فقط المواطنة الأردنية. وقد أشار موسى نصري طرزي من السلفادور أن هناك كانت حاجة ماسة لوجود قنصل أردني يعتني بمصلحة الشتات. وقد تم إرسال رسالتين إلى رئيس الوزراء الأردني، السيد توفيق أبو الهدى، بخصوص تعيين قنصل للشتات في السلفادور، ولكن لم يتم الرد على هاتين الرسالتين.

في نفس العدد من المهد تم نشر رسالة شكر كتبها عبداللّه الياس إندونية من بيت لحم حيث شكر فيها إندونية المحسنين في المكسيك وهايتي والسلفادور وهندوراس ونيكاراغوا وفنزويلا وبيرو بوليفيا والتشيلي والأرجنتين والبرازيل لدعمهم المالي الكريم لجمعية الصليب المقدس الخيرية في بيت لحم.

وفي عدد آخر من المهد، تم إرسال مذكرة المكتب الفلسطيني لمساعدة اللاجئين العرب في القاهرة إلى رئيس الوزراء الأردني يلتمس منه أن يعطي المواطنة للاجئين الفلسطينيين وإلى فلسطينيي الشتات. وتمت كتابة رسالة شكر أخرى إلى المهد لموقفها الصلب والثابت من مشكلة المواطنة الأردنية، وقد كتب هذه الرسالة زعيم الشتات الفلسطيني في المكسيك خليل عبداللّه مرقص. وانتقدت هذه الرسالة الأردن لتردده في منح المواطنة الأردنية للشتات.

وفي الغلاف الداخلي للمهد، عدد ٣٤، تم وضع قائمة بأسماء أعضاء الشتات الفلسطيني في التشيلي مع مساهماتهم المالية للجمعية الخيرية الأرثوذكسية للمرضى والمعاقين في بيت جالا ومستشفى سيدتنا مريم للأمومة في بيت جالا. وكانت هناك أخبار عن المغتربين الذين قاموا بزيارة منطقة بيت لحم في العدد ٣٥.

وكرر أنطون الياس خضر الساحوري بيانات سابقة في المهد بخصوص تردد الأردن في منح المواطنة الأردنية للشتات الفلسطيني وأورد مثال إبراهيم عيسى سابا من بورتو برنس في هايتي الذي أراد استبدال جواز سفره بجواز سفر أردني. وكتبت له السفارة الأردنية في واشنطن بأن الأردن لا يستطيع أن يقدّم له جواز سفر لأنه لم يكن في الأردن في عام ١٩٤٩.

خريطتان لأميركا الشمالية وأميركا الجنوبية وأميركا الوسطى:

الصحفي أيوب مسلّم والمهد مع الشتات الفلسطيني في أميركا اللاتينية (١٩٥٣- ١٩٥٤)

ظهرت في المهد زيارة أيوب مسلّم المخطّط لها للشتات الفلسطيني في أميركا اللاتينية والتي استغرقت ستة أشهر يحاول من خلالها كسب التأييد ضد القانون الأردني ١٩٤٩/٥٦ الذي منع الشتات من الحصول على المواطنة الأردنية وكذلك لإيجاد مشتركين جدد لمجلة المهد.

أحد أعيان بيت لحم وعضو في البرلمان الأردني، توفيق قطان، أصدر رسالة للشتات بمناسبة زيارة أيوب مسلّم ومجلته المهد إلى اميركا اللاتينية. وتضمنت رسالة قطان توصيات بخصوص أيوب مسلم والمهد ومهمته وذكّر الشتات بموقفه في البرلمان الأردني فيما يتعلق بمصلحة الشتات والحاجة إلى تغيير قانون المواطنة الاردني.

وفي طريقه إلى أميركا اللاتينية، توقف الصحافي أيوب مسلّم في مدريد، إسبانيا حيث الاجتماع الذي ضم رئيس البعثة الأردنية في اسبانيا ، برئيس بلدية بيت لحم السابق عيسى باسيل البندك. ويقول البندك، بأن ملك الأردن الراحل عبدالله كان يؤيد تمتين الصلات ومنح المواطنة لكل واحد في الشتات. وتم منح الكثير من جوازات السفر في ذلك الوقت. ولكن عندما توفي الملك عبدالله، تم تغيير قانون المواطنة لجعل الحصول على المواطنة مهمة صعبة. وأضاف البندك بأن رئيس الوزراء أكد له بأنه سيتم إيلاء عناية خاصة بالشتات. وتم نشر تقرير مفصل عن زيارة مسلّم لمدريد ولرئيس البعثة الأردنية، عيسى باسيل البندك. وكان ترحيب وضيافة البندك لمسلّم في مدريد مميزة كما يظهر في تقرير مسلّم.

وفي العدد ٤٠ من مجلة المهد، تم إجراء مقابلة مع الصحافي أيوب مسلّم في ريسيف، البرازيل من قبل جريدة يومية في ١٨ حزيران ١٩٥٣ بحضور عضوين من الشتات البيتلحمي حنا زرزر وعيسى مسلّم. وأشار الصحافي مسلّم إلى النواحي المثيرة للانطباع في البرازيل. وأجاب عن أسئلة حول الصراع العربي – الإسرائيلي. وأضاف أنه كان بوسع الأمم المتحدة حل الصراع ولكنها لم تفعل. وفي إجابته عن سؤال قال: بأنه يمكن أن تزدهر الأفكار الشيوعية بسهولة كبيرة بين الناس الذين عاشوا في الكهوف وخيام اللاجئين وكانوا جوعى، الخ.

وبعد توقف قصير في ريو دي جانيرو، تابع مسلّم رحلة طيرانه إلى العاصمة الأرجنتينية ليتوقف في الليل هناك. وفي الصباح التالي في ٢٠ حزيران ١٩٥٣ أقلته رحلة طيران إلى سانتياغو، التشيلي حيث رحب به كبار أعضاء الشتات في التشيلي ومن ضمنهم أعضاء عائلة مسلّم يتزعمهم نائب برلمان التشيلي يوسف مسلّم.

وفي اليوم التالي وجّه الصحافي مسلّم رسالة إلى الشتات الفلسطيني في التشيلي من خلال «راديو العالم العربي» الذي يترأسه أحد أهالي بيت جالا جريس أبو صبّاح وهو عضو بارز في الشتات في التشيلي. وفي الرسالة قال مسلّم أنه لم يأتي إلى الشتات من أجل المتعة ولكن ليدرس وضع الشتات لكي يكتب عنه. وأضاف أنه أتى لكي يرى كيف أثر قانون المواطنة الأردني ١٩٤٩/٥٦ على الشتات. لم يكن الأردن منصفاً مع الشتات من خلال هذا القانون... وكانت هناك حاجة ماسة للحفاظ على صلات وثيقة بين الشتات ومواطنيهم في الوطن على ضوء النكبة التي حلت بهم.

وفي العدد ٤٢ من المهد كان هناك الكثير ليقوله مسلّم حول مكانة الشتات في التشيلي. ومرة ثانية كرر الموقف حيال قانون المواطنة الأردني ١٩٤٩/٥٦، ولكنه أسهب في الحديث عن الدور البارز للشتات التشيلاني في القطاعات الاجتماعية والصناعية والتجارية والثقافية.

وفي نفس العدد أجرى مسلّم مقابلة مع الصناعي البارز في الشتات التشيلاني وأحد أهالي بيت لحم، نيقولا أبو جارور. ووصف شخصية «أبو جارور» البارزة وتاريخ هجرته إلى بوليفيا ومن ثم إلى التشيلي في عام ١٩١٢. وطلبت منه جامعة الدول العربية الدفاع عن الحقوق العربية. وبالإضافة لذلك، عبّر أبو جارور عن خيبة أمله من قانون المواطنة الأردني.

وفي ١٠ تموز ١٩٥٣ زار الصحافي مسلّم مصنع الإطارات الذي يملكه دكرت وحريزي وعواد من شتات منطقة بيت لحم. أخذ الياس حريزي مسلّم في جولة في المصنع الذي وظّف ٢٨٠ عاملاً. وامتلك الشتات الفلسطيني في التشيلي أكثر من ٣٠٠ مصنعاً. كما قابل الصحافي مسلّم وأجرى مقابلة مع الصناعي إميل هلسه الذي هاجر من مأدبا، شرق الأردن عام ١٩٢٧. كان يملك مصنع نسيج. وأجرى مقابلة أيضاً مع موسى عيسى مصلح الذي هاجر من بيت جالا عام ١٩٢٠. كان مصلح يملك مصنعان: مصنع للجوارب وآخر للمنسوجات.

وقام مسلّم بجولة في السيارة في سانتياغو، وأبدى انطباعه الجيد لما شاهد عدة دكاكين أنيقة ومصانع كان يملكها أعضاء الشتات العربي في سانتياغو. وأضاف مسلّم أنه من العار على هؤلاء الاشخاص الذين كانوا يؤثرون في اقتصاد التشيلي بشكل إيجابي لم يتمكنوا أن يفعلوا نفس الشيء لبلدهم الأصلي بسبب قانون المواطنة الأردني الظالم. واستطاع المرء أن يرى هنا بين الشتات أدباء ومحامين ومهندسين وأطباء وموظفين وساسة وأعضاء في البرلمان ووزراء وخطباء.

وأجرى الصحافي مسلّم مقابلة مع وزير الزراعة في التشيلي الكساندر هالاس (اسكندر هلسه) الذي كان أفراد أسرته في الأصل من مأدبا في شرق الأردن. وتمت المقابلة في ٢٢ حزيران ١٩٥٣. وقد رافق مسلّم أشخاص بارزون في الشتات. وأكد الوزير بأن حضور الشتات في التشيلي كان مهماً جداً. وقد اندمج أعضاء الشتات بسرعة وهم يحبون بلدهم التشيلي. وهؤلاء القليلون الذين عملوا في الزراعة كانوا ناجحين. وكان للوزير انطباع جيد عن أعضاء الشتات.

وفي العدد ٤٥، نشرت رسالة مفتوحة للرأي العام في الأردن من قبل أعضاء بارزين في شتات التشيلي والذين هم من أهالي بيت جالا وبيرزيت وبيت لحم وبيت ساحور ودير جرير الأصليين الذين تكلموا عن السياسات الظالمة للحكومة الأردنية فيما يتعلق بسياسات المواطنة في القانون ١٩٤٩/٥٦. وطالبوا الحكومة أن تلغي هذا القانون وأن تعين سفراء وقناصل في الجمهوريات الأميركية.

نشر مؤلّف تشيلاني معروف (رونولبي) في صحيفته عن المهد وعن رئيس تحريرها أيوب مسلّم بمناسبة زيارتهم إلى التشيلي والى صحيفته تحديداً. وكتب المؤلف التشيلاني عنهما كلمات لطيفة جداً، جعلت زيارتهما تبرز بشكل يفهمها العالم بشكل أفضل. وأضاف، لأننا جميعاً ننشد الحرية والديموقراطية.

وفي التشيلي أجرى الصحافي مسلّم مقابلة مع حنا بشارة السايح في ٣٠ آب ١٩٥٣. وكان السايح زعيم حزب الفلاحين والعمال في التشيلي. وغالباً دافع هذا الحزب عن القضية العربية وكان الكثير من الأعضاء من الشتات في هذا الحزب. وكان السايح كذلك مسؤولاً في إدارة البنك الحكومي ومستشاراً قانونياً له. وكان رئيساً لبلدية (تالكا، التشيلي) لمدة ٣ سنوات.

ومنذ عام ١٩٥٢ قادت المهد الحملة ضد قانون المواطنة الأردني ١٩٤٩/٥٦ لأن هذا القانون ترك الشتات في أنحاء العالم بدون أية حماية. ولكنّ لجنة تضم وزير الخارجية الأردني حسين فخري الخالدي ووزير الداخلية بهجت التلهوني ووزير العدل شفيق ارشيدات، تم تشكيلها لدراسة القانون ١٩٤٩/٥٦ ولتقديم التوصيات لتغييره بطريقة تحمي حقوق الفلسطينيين والشتات. ونشرت الصحيفة اليومية الجهاد الأردنية القانون الجديد المقترح. وهكذا فإن حملة الصحافة لتغيير القانون ستكون قريبة جداً من الوصول إلى نتيجة ناجحة. وعندما يتم الموافقة على هذا القانون الجديد، عندئذ يستطيع كل عضو في الشتات أن يقدم طلباً للمواطنة.

وفي العدد ٤٧ من المهد، ركز الصحافي مسلّم على عضوين بارزين في الشتات في التشيلي: الشاب حبيب حنا أبو جارور والنائب الشاب في البرلمان يوسف مسلّم. كان أبو جارور يتولى مصانع النسيج وكان رئيس النادي الرياضي الفلسطيني المشهور الذي تأسس عام ١٩٢٨. وكان النائب في البرلمان مسلّم رئيس الحزب المسيحي الوطني في التشيلي. وأشار إلى أن الحزب حاول أن يرفع مستوى العمال والفلاحين. وكان هناك عدة وزراء في الحكومات من هذا الحزب، وكان الكثير من أعضاء الحزب من الشتات العربي في التشيلي. كان الشتات الفلسطيني في التشيلي يلعب دوراً بارزاً في الكثير من قطاعات التشيلي.

أمضى الصحافي مسلّم ثلاثة أشهر في التشيلي. وكان أعضاء الشتات في التشيلي لطيفين جداً وكرماء معه أثناء إقامته. وكرر مسلّم ما قاله غالباً بأن أعضاء الشتات العربي والفلسطيني كانوا يلعبون دوراً هاماً في جميع قطاعات مجتمع التشيلي. وأحب رئيس جمهورية التشيلي الجنرال كارلوس ايفانز الشتات العربي ووضع الكثير من الأمل فيهم.

وفي ختام زيارته إلى التشيلي، خاطب الصحافي مسلّم الشتات من خلال راديو «العالم العربي» لصاحبه جريس أبو صبّاح وشكرهم على حسن ضيافتهم واعداً إياهم بنشر كل ما قد رآه في المهد. ونادى مسلّم بالوحدة ومحبة الواحد للآخر. وقدم شكراً خاصاً لصاحب الراديو جريس أبو صباح.

استمر الصحافي مسلّم والمهد في زيارته للشتات البوليفي ابتداءً من ٤ تشرين الأول ١٩٥٣ وانتهاء بـ ٣٠ تشرين الأول عام ١٩٥٣ ووصل في هذا التاريخ الأخير إلى بيرو حيث تمت استضافة مسلّم والمهد من قبل أعضاء الشتات البيروفي. وقابل رئيس جمهورية البيرو الجنرال مانويل أ. أودريا وأجرى مقابلة معه لمجلة المهد.

إن أعضاء شتات البيرو ومسؤولي الاتحاد العربي في ليما، البيرو وجميع أهالي بيت لحم الأصليين: أنطون إلياس سمعان وإلياس صليبا جحا وعيسى صليبا جحا أرسلوا رسالة شكر إلى رئيس وزراء الأردن لتغيير بعض بنود قانون المواطنة ١٩٤٩/٥٦ لكي يتمكن أعضاء الشتات من الحصول على مواطنة الأردن. وطلب أعضاء شتات ليما من رئيس الوزراء الإسراع في تعيين سفراء وقناصل وإصدار جوازات السفر الاردنية.

وكان التوقف القصير التالي في بنما في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٥٣ حيث شاهد مسلّم قناة بنما وأعطى وصفاً موجزاً لها. وطار هو والمهد إلى برانكيا، كولمبيا في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥٣ حيث كان أعضاء الشتات الكولومبياني ينتظرون ويقودهم العضو البارز الصناعي وابن بيت لحم يوسف دكرت.

كان كرم الضيافة من قبل الشتات الكولومبي عميقاً. وتم نشر وصف سيرة ذاتية موجزة لشخصيات الشتات من كولومبيا: بشارة الجعار، وسليم إبراهيم جحا، ويوسف دكرت، وعفيف سمعان، وأوسكار داود، وجودة سليم جاسر، وفكتور دكرت وسولومون مسلّم خمشتا – في المهد.

وبعد توقف قصير في ماناغوا، نيكاراغوا في ٢١ كانون الأول ١٩٥٣، طار مسلّم إلى عاصمة هندوراس، تيغوسيكالبا وفي ٢٢ من كانون الأول ١٩٥٣ ومن هناك طار إلى المدينة الرئيسية في هندوراس، سان بيدرو سولا حيث كان الكثير من أعضاء الشتات والأقارب ينتظرون.

كانت الضيافة في سان بيدرو مثيرة للانطباع جداً والدعم للمهد وشيكاً من قبل الشتات. أمضى مسلّم عيد الميلاد ورأس السنة الجديدة مع الأصدقاء والأقارب في سان بيدرو وفي أمسية رأس السنة الجديدة، خاطب مسلّم الشتات من راديو سان بيدرو متمنياً لكل واحد سنة جديدة سعيدة للعام ١٩٥٤.

وتم نشر لمحات من السيرة الذاتية لستة عشرة عضواً من شتات هندوراس في المهد. وتم نشر قانون المواطنة الأردني الجديد في الجريدة الرسمية في ١٦ شباط ١٩٥٤.

إن عودة الصحافي أيوب مسلّم إلى بيت لحم من رحلته إلى شتات أميركا اللاتينية تم التنويه إليها في المهد. واستمر الصحافي مسلّم في الكتابة عن رحلته مع المهد إلى أميركا اللاتينية.

في الرابع عشر من كانون الثاني ١٩٥٤ غادر مسلّم هندوراس عن طريق الجو إلى سان سلفادور حيث أمضى عدة أيام في زيارة أعضاء الشتات من المجتمع السلفادوري. كانت قوانين الحكومة السلفادورية قاسية جداً على الشتات العربي. وكان ثمة حاجة ماسة **في الأردن لتعيين قنصل لحماية مصلحة الشتات**. وتم عرض لمحات عن السيرة الذاتية لخمسة أعضاء بارزين من شتات السلفادور في المهد. وركز المقال الافتتاحي على الصفحة الأولى بقلم مسلّم على الشتات العربي آخذاً بالاعتبار زيارته مع المهد إلى أعضاء شتات أميركا اللاتينية الذين كانوا نشيطين جداً وحجر زاوية في مجتمعاتهم ولكنهم كانوا متعلقين بوطنهم الأم أيضاً. إن العرب، حكومات وشعوب، بحاجة إلى استغلال الإمكانيات الكثيرة للشتات. وكان أعضاء الشتات مستعدين للمساعدة والتضحية إذا عرفوا أننا كنا مخلصين وممتلئين بالمحبة وموّحدين.

شكر رئيس تحرير المهد جميع الذين رحبوا به في مطار القدس أو الذين زاروه في البيت لتحيته. ولكن مسلّم استمر في الكتابة عن مغامراته وزياراته للشتات في مونتري، المكسيك. وبالإضافة إلى ذلك، فقد نشر مقابلة مفصلة مع عضو شتات بارز في أميركا اللاتينية أحد أهالي بيت لحم الأصليين، عبدالله عصفورة.

تركت زيارة أيوب مسلّم إلى الشتات انطباعاً طيباً لدى عضو شتات في التشيلي بحيث دعا إلى وليمة غداء على شرف مسلّم. وحضر الغداء عدد كبير من المدعوين من الشتات واستمعوا إلى كلمات مسلّم أثناء الغداء،حيث قال : «أنا فقط جندي في خدمة أمته ولا أحتاج إلى ثناء أو مكافأة» لفتت انتباه كلمته أعضاء الشتات الذين حضروا هذا التكريم الأمر الذي كتبت عنه الصحيفة التشيلانية «البرنسا».

استمر الصحافي مسلّم في الكتابة في المهد عن سفرياته في الولايات المتحدة ابتداءً من ١٧ شباط ١٩٥٤. وفي أثناء ذلك التقى بأقاربه وأصدقائه في سان أنطونيو، تكساس. ومن هناك ذهب جواً إلى واشنطن، د.س. ولاحقاً إلى مدينة نيويورك. وفي جميع سفرياته التقى بأعضاء الشتات الفلسطيني، وفي ١ آذار ١٩٥٤ رجع مسلّم إلى الوطن عن طريق أمستردام وبيروت والقدس.

استمرت المهد في تكريس صفحاتها الكثيرة لشخصيات الشتات وأخبارها. ومن العدد ٦٠ والأعداد الأخرى اللاحقة بدأت المهد بتكريس صفحة كاملة باللغة الإسبانية لإعلام المشتركين في أميركا اللاتينية عن آخر الأخبار فيما يتعلق بالشتات والوطن الأم. وبدأت الإعلانات التجارية تظهر باللغة الإسبانية أيضاً.

وقام أيوب مسلّم يعقوب مسلّم، رئيس بلدية بيت لحم سابقاً، بتجميع كل ما كتبه عن رحلته إلى الأمريكيتين في مقالة عنوانها: «ظاهرة الهجرة وجريدة المهد البيتلحمية: مذكرات رحلاتي إلى الأمريكيتين، ١٩٥٣ – ١٩٥٤.»

عيسى باسيل البندك رئيس البعثة الأردنية في تشيلي ابتداءً من (أيلول ١٩٥٤)

إن محاولة كسب التأييد التي قام بها الصحفي مسلّم والمهد لإلغاء قانون المواطنة الأردني ١٩٤٩/٥٦ تم تحقيقها عندما استبدل في أوائل عام ١٩٥٤ بقانون جديد، مع الدعم الكامل من المهد وشتات أميركا اللاتينية. إن مطلب الشتات بأن يتم تعيين قناصل وبعثات أردنية حسب روح القانون الجديد لعام ١٩٥٤ قد تم تحقيقه في التشيلي. إن عيسى باسيل البندك، الرئيس السابق للبعثة الأردنية في مدريد، أصبح الآن رئيس البعثة الأردنية في سانتياغو، التشيلي مع مرتبة الوزير. ووصل إلى سانتياغو في ٢١ ايلول ١٩٥٤ حيث رحب به وبزوجته الأعضاء البارزون في الشتات التشيلاني يقودهم مواطنو بيت لحم الأصليين نيقولا أبو جارور وقسطه زعرور. وفي الثامن والعشرين من أيلول عام ١٩٥٤ قدم الوزير البندك أوراق اعتماده وأوراقه الرسمية كرئيس للبعثة الأردنية إلى رئيس جمهورية التشيلي الجنرال كارلوس إيفانز.

المهد

مجلة اسبوعية سياسية ادبية جامعة

AL-MAHD

A WEEKLY MAGAZINE

BETHLEHEM, THE HASHEMITE KINGDOM OF JORDAN

BETHLEHEM, SUNDAY, MARCH 20, 1955

خط الآمال ، ومعقد الرجاء

حظي الاردن في الأسبوع الماضي بمناسبتين سعيدتين ، مناسبة عودة جلالة مليكه المفدى من زيارته الباكستان ، ومناسبة زيارة حضرة صاحبة السمو الأميرة دينا لهذا البلد المجاهد ، تلك الزيارة التي كان يتطلع اليها الأردن فرحاً ، جذلا ، حالماً ، لأنه يعقد عليها آمال المستقبل السعيد.

«والمهد» ترحب بمقدم سموها وترجو لها إقامة طيبة بين ظهرانينا ، وفي كنف جلالة مليكنا الشاب المفدى ، فأهلا وسهلا ، وعلى الرحب والسعة.

Asegurese..!

A LOS EMIGRANTES ARABES EN EL EXTRANJERO

KLM

La K.L.M., Compania Royal aérea Holandesa, es la que pone a usted en contacto con sus parientes en su patria. No se demore en comunicarse con ellos...!

Ya sea para enviar sus regalos...!!!

encomendar sus transportes...!!!

La K.L.M. esta siempre presta de ofrecer sus servicios, asegurandole satisfaccion porque cuenta con expertos aviadores y con potentes y modernos aviones.

يعقوب مسلّم يعقوب مسلّم الملقب بالعقاب (الصقر)
سيرة حياته واستشهاده
(١٩١٦ – ١٩٤٩)

بقلم أخيه أيوب مسلّم

ما كاد المرحوم ابن بيت لحم الذي كان يعمل مقاول بناء في الكرك مسلّم يعقوب مسلّم يفجع بموت ولده البكر يعقوب بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩١٦، حتى عطف اللّه سبحانه وتعالى على هذا الوالد، وشاء أن يعزيه بما أصابه ويفرج كربته إذ منّ اللّه عليه بتاريخ ٣ أيار ١٩١٦ بمولود جديد أسماه «يعقوب»، إحياءً لاسم أخيه الراحل، ولأن ولادته تمت في يوم عيد القديس يعقوب وهو اليوم الذي ولد فيه حسب العرف المسيحي المتبع.

وبهذا المولود انفرجت أسارير هذه العائلة، فانكب الوالدان يسهران على سلامة الرضيع ويحوطانه مع إخوانه بالمحبة والرعاية. إلا أن القدر كان لهذه العائلة بالمرصاد، إذ ما كاد الطفل الرضيع يبلغ من العمر السنة وبضعة أشهر، حتى فجعت العائلة بتاريخ ٢ آب ١٩١٧ بموت رب العائلة مسلمّ معيلها الوحيد وسندها في هذه الحياة، الأمر الذي ترك حمل هذه العائلة بأطفالها الأربعة غطاس وأيوب وجريس ويعقوب، على كاهل الوالدة ابنة بيت جالا، روزة عيسى سالم العلم، فكانت مسؤوليتها جسيمة وعظيمة ولا سيما إبّان الحرب العالمية الأولى الطاحنة، حيث تعسرت لقمة العيش خلالها حتى على العائلات الموسرة إبان هذه الحرب.

إلا أن هذه الوالدة لم تقنط من رحمة ربها، إذ شمرت عن ساعد الجد ونزلت إلى ميدان العمل، تعمل لتكسب عيشها وعيش أطفالها بالإضافة إلى متابعة سهرها كأم

على سلامة رضيعها وإحاطته بحنانها وحبها، وما زالت كذلك إلى أن بلغ طفلها هذا السابعة من عمره، فأرسلته إلى المدرسة ليتعلم وينشأ نافعاً لنفسه ولها ولأخوته. فانكب هذا الحدث على الدراسة وكان فيها من المجتهدين.

إلا أنه خلال هذه المدة وقعت ظروف ما بعد الحرب العالمية القاسية فقد اضطرت هذه الأم أن تدخل اثنين من أولادها هما جريس ويعقوب إلى مدرسة للأيتام في بيت جمال، حيث انكب جريس على الدراسة والتخصص في الحقل الزراعي، فبرز فيه وحصل على شهادة زراعية خولته بعد التخرج أن يعمل مدرساً في إحدى مدارس مدينة القدس مدة سنتين، اضطر بعدها إلى أن يهاجر إلى الديار الأمريكية فهاجر أولا إلى جمهورية البيرو ومنها انتقل إلى جمهورية التشيلي حيث يقيم أشقاء والدته، ومعظم أقاربه من عائلة مسلّم وفيها استقر وتزوج ويدير فيها الآن تجارة ناجحة.

أما يعقوب فلم ترق له هذه المدرسة ولم تستهويه انعزاليتها وحياتها الساكنة اللهم إلا من صلاة ودرس، فراح لهذا يفكر طوال مدة إقامته فيها في طريقه للهرب منها والعودة إلى بيت لحم.

وفيما كان مع الطلاب في دورة دراسية في حقول المدرسة الواسعة، تمكن عند عودة الطلاب إلى الدير بعد الدرس مباشرة من أن يختفي. وما كاد التلاميذ يدخلون الدير حتى خرج من مخبئه هارباً وعائداً إلى بيت لحم.

وما أن رأته أمه وعلمت بهربه حتى كادت أن تفقد وعيها وهدوءها، وأن تصرخ في وجهه مؤنبة، إلا أنها تجلدت وتصبّرت وتحلّت بالهدوء وقابلته بالبشاشة قائلة: «كيف يجوز لك يا ولدي أن تترك المدرسة وتهرب وأنت تعلم ما نقاسيه أنا وإخوتك من ضنك العيش وبؤس الحال.» إلا أنها تجلّدت وتحلّت بالصبر وراحت تسعى سرا لإدخاله مرة ثانية في مدرسة الآباء السالزيان الصناعية في بيت لحم وقد نجحت في مساعيها وأدخل ولدها يعقوب المدرسة ليدرس ويتعلم فيها كذلك مهنة صناعية، فاختار مهنة صناعة الأحذية، فأصاب فيها نجاحاً وتفوقاً، ولدى تخرجه رحب به كثيرون من أصحاب مصانع الأحذية ليعمل عندهم كعامل فني، وبهذا العمل وما يكسبه من أموال تمكن من مساعدة والدته وأخواته.

في هذه الأثناء استهوته الرياضة البدنية فانخرط في عضوية أنديتها وفرقها الرياضية في كرة القدم، وقد تجلت في هذا الميدان مواهبه الرياضية لا سيما لعبة كرة القدم، فأصبح من هواتها وأبطالها. وراحت هذه الفرق تتجاذبه كل واحدة منها إلى عضويتها، وفي عام ١٩٣٩، عندما تلبد جو البلاد بغيوم الحرب بين دول الحلفاء من جهة وبين دولتي ألمانيا وإيطاليا من جهة أخرى، حيث راح كل فريق يعد للحرب ويدعو للتجنّد في صفوف قواته، فما كان من يعقوب إلا أن استهوته الفكرة، وتطوع للفور في القوات البريطانية التي كانت تدعو وتحث أبناء البلاد على التطوع في قواتها، وبعد تدريب مرير أمضاه يعقوب في معسكرات الجيش البريطاني، خاض مع قواته معارك كر وفر في مرسى مطروح والبلاد الواقعة على شواطئ القارة الإفريقية الغربية، وما زال يبذل بسالة مع قوات الحلفاء في مقاتلة القوات النازية والفاشية، إلى أن وقعَ أسيراً في أيدي القوات الإيطالية الفاشية حيث أرسلته هذه القوات إلى أحد معتقلاتها

في إيطاليا، وما هي إلا فترة وجيزة قضاها في المعتقل في إيطاليا، ونظراً لإتقانه اللغة الإيطالية، تمكن من الهرب والعودة إلى بيت لحم وكان هروبه ببطولة نادرة.

ولدى عودته بعد نهاية الحرب، كان جو البلاد مشحوناً بالثورة والنقمة على الغزوة الصهيونية لبلاد فلسطين، بتشجيع من سياسة حكومة الانتداب البريطاني لها بتسهيل كافة الإمكانيات في البلاد التي تمكن الصهاينة من إحكام قبضتهم على البلاد.وما أن رأى يعقوب الظلم اللاحق بأمته الفلسطينية من الغزوة الصهيونية بتشجيع من قوات الانتداب البريطانية حتى أخذ يجمع حوله الشباب في منطقة بيت لحم ويعمل على تدريبهم عسكرياً في موقع عايدة في بيت لحم ويزودهم بالسلاح الذي كانت تمدهم به الجهات الوطنية في البلاد والتي أخذت على عاتقها نشر الثورة في كل بلد وفي كل منطقة.

وما زال يعقوب يقوم بعملية تدريب الشبان، في ذلك المعسكر في عايدة إلى أن إصابته قنبلة مولوتوف بطريقة الخطأ أثناء عملية تدريب المناضلين على استعمالها، نقل على إثرها إلى المستشفى لمدة شهر كامل. وبعد هذه المدة تعافى وعاد إلى معسكره يتابع تدريب الشباب ويُعدّهم لأساليب الحرب والقتال ولدى الانتهاء من التدريب ، رابطَ مع المدربين من الشباب في موقع الطنطور في بيت لحم ومنه راح مع إخوانه المناضلين يناوشون اليهود في ميكور حاييم ورامات راحيل وغيرها.

وفي أحد الأيام أعدّ مع إخوانه المناضلين خطة لمهاجمة مستعمرة رمات راحيل وقبل أن يباشر بالهجوم طلب من القوات العربية المرابطة قرب جرون الحمص ومار الياس أن يغطوا هجومه على المستعمرة بالمدفعية وقد تم له ذلك ودخل المستعمرة مع قواته إلا أنهم لم يستطيعوا البقاء فيها طويلاً بعد أن كفّت مدفعية القوات العربية عن تغطية الهجوم لمدة أطول.

وبعد الهجوم الشرس الذي شنه على هذه المستعمرة راح إخوانه ينادونه «عقاب» (نوع من الصقور)، لأنه كان أثناء المعركة ينقض على تجمعات اليهود كالصقر فيبدد شملها ويلحق بها الأذى.

وبعد هجومه على مستعمرة رمات راحيل دون أن يصاب أحد من إخوانه بأي أذى انضم إليه فريق كامل من أبناء مدينة بيت جالا الذين كانوا يرابطون في موقع الراس ورابط بهم وبمن معه في موقع الراس، وأراضي كريمزان. ومن هذه المواقع راح يناوش اليهود ومستعمراتهم المقابلة في ميكور حاييم وغيرها وكذلك جبال «مس كرى» المحيطة بمدينة عين كارم.

ومن هذه المواقع فكّر وأعدّ هجوماً على مستعمرة «ميكور حاييم» ومرتفعات «مس كرى» ولما كان الجيش العربي مرابطاً في مواقع «كريمزان» طلب من قيادته أن تغطي هجومه على منطقة مس كرى لأنه يريد أن يحتلها، وفعلاً قبلت قيادة الجيش الأردني بذلك ووعدت بالتغطية بالمدفعية.

وبتاريخ ٣ أيار ١٩٤٩ وفيما كان يسير في سيارة جيب مع جاويش من الجيش الأردني، وذلك لدراسة مواقع حقول الألغام ودون أن ينتبه سائق السيارة إلى موقع حقل الألغام الذي زرعه يعقوب بنفسه بالاشتراك مع مناضليه وبإشراف الجيش الأردني، فقد مرت السيارة فوق أحد هذه الألغام فانفجرت وأودى الانفجار بحياة الثلاثة الذين كانوا في السيارة، فأسرع المناضلون ونقلوا المصابين إلى الدير لإسعافهم ولكن دون جدوى لأن الثلاثة قضوا نحبهم وهكذا مات يعقوب شهيداً عن ٣٣ عاماً قضاها من أجل حرية بلاده فوق ثراها الطهور.
وهكذا راح إخوانه يبكونه بمرارة ويصيحون وهم ينقلون جثمانه الطاهر إلى بيت لحم إلى بيت أخيه أيوب «خسارتنا بك عظيمة يا عقاب، إنها خسارة لا تعوض، فنم هانئا مطمئنا يا عقاب (أي الصقر) وسوف نثأر لك وسوف لا ندع دمك يضيع هدراً. سوف نحي ذكراك ما حيينا، فإلى جنات الخلد يا عقاب ولتكن الجنة مثواك.»

وفي بيت أخيه سجي نعشه حتى الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الخامس من شهر أيار سنة ١٩٤٩ حيث أخذت الوفود تتوافد لإلقاء نظرة أخيرة على جثمانه.

وفي تمام الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم ٥ ايار سنة ١٩٤٩ حمله المناضلون بالاشتراك مع قوات الجيش العربي الأردني مرفوعاً على الأكف إلى الكنيسة ومن ثم إلى داره الأخيرة حيث ووري التراب بعد أن أطلق أفراد الجيش العربي الأردني وفريق من المناضلين المسلحين طلقات نارية إكراما للشهيد.

وقد أقام له أهله ميتماً مدة ثلاثة أيام كانت الوفود تتوافد على بيت شقيقه لتقديم التعازي.

فرحمة اللّه عليك يا شهيدنا وشهيد الأمة الفلسطينية وسوف تبقى ذكراك خالدة عطرة بين ظهرانينا.

التطورات التي مرّ بها تاريخ تأليف المجالس المحلية والبلدية في بيت لحم (١٨٧٦ - ١٩٩٠)

فصل من كتاب «بيت لحم في بطون التاريخ وعلى السنة الرحالة والمؤرخين»

بقلم: أ. أيوب مسلّم يعقوب مسلّم
رئيس بلدية بيت لحم سابقا

لم يكن في بيت لحم قديماً أية هيئة بلدية رسمية تدير أمورها، وتقدم الخدمات لسكانها اللهم إلا من هيئة مخاتير المدينة السبعة، الذين كانوا يمثلون حارات المدينة السبعة، وكانت الحكومة من خلالهم تدير أمور المدينة، وكان واجب هؤلاء المخاتير أن يرفعوا للسلطات المحلية أولا بأول كافة الأمور التي تجري في المدينة لا سيما المخالفات التي يرتكبها الأفراد، حيث تتولى الحكومة مخالفتهم وفرض العقوبات الرادعة لهم، أو تغريمهم بدفع غرامات عالية، وعن طريق هؤلاء المخاتير كانت الحكومة تشغّل عمالاً يتولون تنظيف المدينة، وتدفع لهم أجورهم، كما ذكر ذلك المرحوم خليل إبراهيم قزاقيا وأكده قبل وفاته بعدة أشهر أي في ١٩٣٥/٨/٢١.

وفي الوقت ذاته، كما يذكر ذلك الخلف عن السلف، كانت تقوم في المدينة آنذاك ساحات لكل حارة أو حمولة، يجتمع فيها الأهلون، لبحث شؤونهم الخاصة ومشاكلهم العامة لمعالجتها وفض الخلافات، وإجراء المصالحة بين المتخاصمين، للحيلولة دون وصول هذه الأمور للسلطات المحلية.

ومن ناحية أخرى روى لنا كثيرون من السلف الذين منهم من مات، ومنهم من ما زال حياً أمدّ اللّه في أعمارهم، قالوا: إن حياة المدينة العامة كان يسهر عليها شيوخ الحارات السبعة، حيث يجتمعون بين الفينة والأخرى في إحدى الساحات كلما دعت الحاجة لذلك، لبحث أمر خطير وقع أو قد يقع في المدينة، أو أي حيف قد يلم بسكانها، كالحيف الذي وقع على المدينة وسكانها من قبل عشيرة الكعابنة

وزعيمها حماد القمري حيث أظهر أبناء بيت لحم، أمام هذا الضيم الذي لحق بهم، وحدة وبطولة خارقة في مقاومة ظلم الشيخ حماد القمري وغطرسة أفراد قبيلته من الكعابنة، فقتلوه في معركة حامية دارت في أراضي بيت لحم الجنوبية بمحاذاة خلة حمد، وطردوا كل من سلم من أفراد عشيرته في كافة أراضي بيت لحم كما ذكر الأستاذ الياس جرجس شمعون محرر مجلة بيت لحم التي كان يصدرها الأب أنطون بلوني.

في ساحات المدينة هذه، وتجمعات الأهلين فيها، كانت تتجسد الرجولة وتتم اللألفة فيما بينهم، وتتوحد كلمتهم حول كل ما يبعد الضيم عن بيت لحم وسكانها. وفي إحدى هذه الساحات التي كان يتم فيها اجتماعات زعماء الحارات مع أرباب الرأي والمشورة من أبناء بيت لحم، كانت الاتفاقيات تبرم مع الأصدقاء وسكان الجوار، والهادفة إلى حفظ مصالح المدينة وسلامتها، وفيها كذلك تقض الاتفاقيات المعقودة مع كل من يسيء التصرف مع الأهالي، ويعبث بأمنهم وسلامتهم، كنقض الاتفاق المعقود مع قبيلة الخمسة، بعد المعركة التي قتل فيها الشيخ حماد القمري، وطردت على إثرها عشيرته من بيت لحم لغطرستهم، واتباعهم أسلوب النهب والسلب مع الأهالي. وكانت معركة بيت لحم مع هؤلاء قد سجلها تاريخ بيت لحم بمداد من ذهب وفَخار، اشترك فيها أبناء بيت لم من مسيحيين ومسلمين من أبناء عشيرة الفواغرة. وقد روى هذه الأحداث المرحوم يعقوب إبراهيم الأعمى وسردها لي نجله المرحوم أنطون يعقوب الأعمى الذي كان أحد أعضاء مجلس بلدية بيت لحم في عهد الانتداب البريطاني.

و بعد هذه الأحداث التي جرت مع الشيخ القمري وقبيلته، ومع قبيلة الخمسة وشيخيها جابر وعودة، أخذ الاستقرار يستتب في المدينة رويدا رويدا، وأخذ النمو السكاني يتزايد، وأدرك الجميع أهمية العناية بمدينتهم، وتنمية صناعاتهم، وتقوية تجارتهم مع قوافل السياح والحجاج الذين أخذوا يتوافدون على المدينة للزيارة والتعبد في أماكنها المقدسة، وأخذ اقتصادها ينمو ويزدهر.

في هذا الوقت بالذات، وعلى أثر تذمر شعوب الأقاليم من فوضى الحكم التركي فيها، وعدم انتظامه، راحت الحكومة التركية- كما روت عدة شخصيات بيتلحميه نقلا عن المرحوم إبراهيم قزاقيا والد المرحوم خليل إبراهيم قزاقيا - تتشاور مع ممثليها في الأقاليم، وكبار موظفيها حول أنجح الطرق التي تعيد لسكان الأقاليم استقرارهم، والى الدوائر الحكومية نظامها وفاعليتها. وتلقت النصح والإرشاد في ذلك حول أضمن السبل لتوطيد حكمها على كافة الأقاليم.

وفي عام ١٨٧٦م، أصدرت الحكومة التركية في الآستانة، بزعامة مدحت باشا، أول دستور للبلاد الواقعة تحت حكمها، بحيث أصبح بموجب هذا الدستور وبموجب المادة ١٠٨ منه الحق في أن يؤلف الشعب في كل مدينة وناحية حكومات محلية أي مجالس بلدية ومحلية وقروية، وفق نصوص الدستور. كما نص الدستور على قيام حكم لامركزي في كل إقليم.

وقد قسم هذا الدستور البلاد الواقعة تحت الحكم التركي إلى ولايات، وأقاليم، وسناجق وألوية، وأقضية، ونواح، وخولت المادتان ١٠٩ و ١١٠ من هذا الدستور الحق لكل إقليم بتأليف مجلس برلمان «مبعوثين» يجتمع سنوياً لبحث شؤون الإقليم. أما المادة ١١١ من هذا

الدستور، فقد منحت الحق لكل طائفة دينية في الأقاليم بتأليف مجالس طائفية تكون مسؤولة عن كافة شؤون طائفتها الدينية. وفي هذا العام بالذات، أي عام ١٨٧٦م، اجتمع رؤساء حارات بيت لحم السبعة مع أرباب الرأي والمشورة في المدينة، خلال يوم كامل، تم الاتفاق فيه على تأليف مجلس محلي في بيت لحم كما نص على ذلك الدستور كون بيت لحم كانت تعتبر قرية آنذاك، على أن يتألف هذا المجلس المحلي من سبعة أشخاص بمن فيهم الرئيس ليمثلوا حارات المدينة السبعة. ووقع اختيارهم على السيد «ميخائيل أبو سعادة» كرئيس لهذا المجلس، ورفعوا ذلك إلى الحكومة التي وافقت على هذا الاختيار، ثم باشر هذا المجلس المحلي تنظيم أموره، وتقديم خدماته للمدينة.

وقد درج ممثلو حارات بيت لحم على عقد اجتماع لهم كل أربع سنوات، أي مدة المجلس القانونية، يبحثون خلاله تأليف هيئة جديدة للمجلس، ويرفعون ما تم الاتفاق عليه إلى الحكومة للمصادقة عليه، وهكذا وبهذه الطريقة تم انتخاب أعضاء خمسة مجالس محلية برئاسة السادة التالية أسماؤهم:

الرؤساء:	نوّابهم:
١. السيد ميخائيل أبو سعادة	* جريس فقوسة
٢. السيد يعقوب خليل جقمان	* عبدالله أندوني
٣. السيد سليمان جاسر	* خليل شاهين
٤. السيد عيسى عبدالله مرقص	
٥. السيد يعقوب خليل الياس	

وفي عام ١٨٩٤م، لما رأت الحكومة التركية أن مدينة بيت لحم تسير نحو النمو والازدهار بسبب رواج صناعاتها من التحف الدينية التي أخذت تلاقي رواجاً عظيما بسبب إقبال الأعداد الكبيرة من السياح والحجاج على شرائها، الأمر الذي جعل بيت لحم تزدهر تجارياً نتيجة تدفق الزوار إليها، فقد أعلنت الحكومة عن تجاوزها عن بعض تعليمات الدستور والإرادة السنية التي صدرت وأصبحت موضع التنفيذ في اسطنبول وذلك بالسماح لمدينة بيت لحم بإنشاء مجلس بلدي فيها بدل المجلس المحلي، بسبب أهميتها من الناحية الدينية والتاريخية وبصفتها رأس قصبة، فصدرت بذلك إرادة سنية خاصة، لتأليف مجلس بلدي في بيت لحم بدل المجلس المحلي، وما أن انتشر أمر هذه الإرادة السنية حتى عمت الفرحة بين السكان، وتداعوا جميعاً إلى ضرورة تحقيق هذا الحلم، فعقدوا لذلك اجتماعات، وراحوا يمهدون لإجراء الانتخابات لقيام مجلس بلدي يخدم مصالحهم وشؤون مدينتهم، ويحقق لهم سبل التقدم والازدهار.

وبتاريخ ١٨٩٥/٣/١٣ تم في بيت لحم انتخاب سبعة أعضاء لهذا المجلس يمثلون حارات بيت لحم السبعة، وفاز من بينهم بمنصب الرئاسة السيد حنا منصور كما ذكر ذلك الأب يوحنا النحاس في كتابه عن تاريخ حياة الأب أنطون بلوني، كما وتم الاتفاق بين رجالات المدينة، وهم يعقدون الاجتماعات لأغراض قيام المجلس، على ما يلي:

إذا تم فوز رئيس البلدية من أبناء طائفة اللاتين فنائبه يجب أن يكون أرثوذكسيا من أبناء طائفة الروم، والعكس بالعكس. ومنذ ذلك الوقت وبيت لحم تسير بموجب هذا الاتفاق ولا تحيد عنه.

وفيما يلي أسماء رؤساء بلدية بيت لحم وهم:

١. السيد حنا منصور: وقد شغل كرسي الرئاسة حتى عام ١٩١٥. وحنا منصور هذا هو شاب مثقف من حارة التراجمة، كان يعمل قبل انتخابه رئيساً للبلدية مديراً لمخازن الأب أنطون بلوني في بيت لحم للتحف الدينية، ويتولى تصديرها باسم ميتم الأب بلوني إلى الجهات المحسنة لهذا الميتم في أوروبا، والأب أنطون بلوني هو قانوني القبر المقدس ومؤسس مدارس الأيتام السالسية في فلسطين. وفور تولي السيد حنا منصور رئاسة المجلس البلدي علق ستين مصباحاً في أحياء المدينة لتنويرها في الليل، وعين حراساً لحراسة المدينة ومتاجرها ليلاً، وأصلح طرق المدينة، وأنشأ فيها المجاري التي ما زال أثرها قائماً حتى يومنا هذا. ثم تلاه في الرئاسة

٢. السيد سليم عيسى بطارسه: لمدة سنة إبان الحرب العالمية الأولى.

٣. السيد صالح جريس جقمان: وقد عين من قبل الحاكم العسكري الإنجليزي عام ١٩١٨

٤. السيد موسى قطان.

٥. السيد حنا إبراهيم ميلاده

٦. السيد نقولا عطاالله شاهين: وقد تم في عهده إنشاء سوق بلدية بيت لحم للخضار والفواكه. وقد دشن برعاية حاكم القدس الإنجليزي باحتفال مهيب.

٧. الأستاذ عيسى الخوري باسيل البندك: من عام ١٩٣٤ إلى عام ١٩٣٨ ومن عام ١٩٤٦ حتى عام ١٩٥١، عين سفيراً بعدها لحكومة الأردن في إسبانيا ومن ثم في جمهورية التشيلي، حيث توفاه الله ودفن فيها.

٨. السيد حنا الياس قواس: من عام ١٩٣٨ حتى ١٩٤٦/٥/٢٧.

٩. السيد الياس عيسى البندك: مدة ثلاث دورات من عام ١٩٥١ حتى ١٩٥٢/١١/١٦، ومن ١٩٥٣/٧/٨ حتى عام ١٩٥٧، ومن ١٩٦٢/١٢/٢٢ حتى ١٩٦٣/١٠/٢١ ومن ١٩٦٣/١٠/٢٦ حتى ١٩٧٢/٥/١٧. وقد ساهم في تعريب شركة كهرباء محافظة القدس وشيد عمارة الأقواس في ساحة المهد باسم المركز التجاري. كما انتدب من قبل منظمة التحرير ليكون أحد أعضاء الوفد الفلسطيني الذي يزور المغتربين في الأمريكيتين لتجنيدهم لدعم القضية الفلسطينية.

١٠. السيد عفيف سليم بطارسه: للفترة بين ١٩٥٢/١١/٢٦ حتى ١٩٥٣/٧/٨، وانتخب بعد ذلك نائباً عن منطقة بيت لحم في مجلس النواب الأردني.

١١. الأستاذ أيوب مسلم: مدة دورتين. وتم في عهده تنفيذ مشروع المياه باسم مشروع مياه بلديات منطقة بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور، وبناء عمارتين في سوق بلدية بيت لحم للخضار والفواكه، وتوسيع شارع المهد إلى عرض ستة عشر متراً كما هو عليه الان. وقد انتخب بعدها نائباً في البرلمان الأردني عن منطقة بيت لحم، ثم وزيراً للإنشاء والتعمير في مجلس وزراء الأردن، كما مثل الأردن كرئيس بلدية عام ١٩٦١ في مؤتمر رؤساء الحكومات المحلية المنعقد في واشنطن.

١٢. السيد الياس متري فريج: مدة ثلاث دورات. وقد انشأ عمارة البلدية الحالية في ساحة المهد. سافر كثيراً إلى بلاد أوروبا، حيث قابل رؤساء حكوماتها، وقداسة البابا وبحث معهم أوضاع البلاد بعد نكبة فلسطين، ودعا الدول الأوروبية إلى تحقيق السلام في أرض السلام. كما شرح للجميع أوضاع بيت لحم وحاجتها للدعم المادي بصفتها العاصمة الروحية لكافة المسيحيين في العالم. وقد أنشأ كذلك سوق الخضار المركزي، وعمارة دائرة المياه الحالية، وما زال في مركز الرئاسة حتى يومنا هذا يعمل في خدمة مدينته.

وفي عام ١٩٥٢ أصبح عدد هذا المجلس تسعة أعضاء ليمثل العضو التاسع حارة السريان. والحارات السبعة هي: الفرحية، والنجاجرة، والتراجمة، والعناترة، والحريزات، والقواوسة، والفواغرة. وكان هناك كرسي ثامن إضافي يتم بالتناوب بين أكبر حارتين وهما: الفرحية والنجاجرة.

وفي ذات العام، قررت الحكومة الأردنية أن تعين عضوين جديدين لمجلس بلدية بيت لحم ليمثلا اللاجئين إلى بيت لحم، وأبناء عشائر التعامرة القاطنين في المدينة، بحيث يصبح بهذا عدد أعضاء المجلس أحد عشر عضواً.

أما في عهد الاحتلال الإسرائيلي لكافة بلاد فلسطين عام ١٩٦٧، فقد أصدرت سلطات الاحتلال أمرها بضرورة أن يتم انتخاب هذين العضوين كباقي أعضاء المجلس.

وهكذا تسير مسيرة هذا المجلس في السهر على مصالح المدينة وخدمة سكانها، وسوف تستمر إلى أن تصل بيت لحم المكانة التي تليق بها كمدينة تاريخية، تحوي مقدسات العالم المسيحي بأسره، ومن لدنه تعالى نستمد لمجلسها البلدي كل توفيق في خدمة سكانها ورفعة شأنها.

كذلك أنظر: الأستاذ خليل شوكة، نشأة وتطور بلدية بيت لحم ١٨٨٠-١٩٦٧، بيت لحم ٢٠١٢.

أيوب مسلّم يعقوب مسلّم
رئيس بلدية بيت لحم
١٩٥٨ - ١٩٦٢

بيت لحم
والرحالة كلير برايس (Clair Price)
(١٩١٧ – ١٩٢٠)

من كتاب «بيت لحم في بطون التاريخ وعلى ألسنة الرحالة والمؤرخين»

بقلم: أيوب مسلّم يعقوب مسلّم

في عام ١٩١٩م زارت بيت لحم الرحالة كلير برايس البريطانية ونشرت مقالاً عن بلادنا لا سيما عن بيت لحم في مجلتين بريطانيتين هما «مجلة العصر الراهن» و «مجلة الأرض والماء». قالت هذه الرحالة: لقد احتلت القوات البريطانية بيت لحم في أواخر عام ١٩١٧م وبقيت هذه المدينة محتلة عسكرياً حتى عام ١٩٢٠م.

وبعد أن تقرر مصير البلاد الفلسطينية من قبل الحلفاء في سان ريمو (نيسان ١٩٢٠) بعد تصفية الإمبراطورية العثمانية فقد عينت بريطانيا التي انتدبت على فلسطين حاكماً مدنياً إدارياً بريطانياً لإدارة دفة شؤون البلاد وهو السير هربرت صموئيل.

لم يكن لفلسطين قبل الحرب العالمية الأولى أية أهمية استراتيجية تذكر إلا أنها أصبحت كذلك بعد حدثين هامين بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة. هذان الحدثان هما:
أولاً: مد خط سكة الحديد العسكرية من مصر حتى مدينة حيفا، وقامت بمدها وإصلاحها القوات العسكرية البريطانية.
ثانياً: إنهاء مد خط سكة الحديد الذي يصل المانيا ببغداد والعراق فور الانتهاء من إكمال نفق جبال طورس الذي تمر منه سكة الحديد هذه.

وهكذا بعد هذين الحدثين أصبح لفلسطين أهمية استراتيجية عسكرية لأن الطريق المؤدي من فرنسا إلى بيت لحم كان طوله ٣٥٠٠ ميل أي من الهافر في فرنسا إلى بيت لحم إلا أن مد خطي سكة الحديد من ألمانيا إلى بغداد ومن مصر إلى حيفا فقد قلصا المسافة إلى ٢١٠٠ ميل بين بيت لحم وباريس.

والذي يزور بيت لحم في أعقاب هذه الحرب العالمية الأولى فإنه يرى آثار الأتراك واضحة في بؤس الآهلين، ويشاهد الخنادق الطويلة الملتوية التي حفرها الأتراك في مختلف جهات بيت لحم لا سيما في جهات واد الراهب وذلك للدفاع عن أنفسهم ضد الإنكليز بعد أن سخّروا الآهلين في بيت لحم لحفرها.

ورغم البؤس الظاهر على وجوه أهالي بيت لحم فإن الزائر في تلك الآونة لا يرى سوى الأعداد الكبيرة من الجنود والضباط الإنكليز، ويشاهد كذلك ثلاثة مطاعم أقيمت في بيت لحم لإطعام الجنود وخدمتهم.

بيت لحم مدينة يسكنها سبعة آلاف مسيحي وخمسمائة مسلم وطبيب يهودي واحد يعمل في خدمة الحكم العسكري.

وفي عام ١٨٣٤م طرد إبراهيم باشا الفواغرة من بيت لحم ودمر حيّهم ذلك لأنهم قتلوا في قرية أرطاس قائداً عسكرياً من قواده مع عدد من الجنود إبان ثورتهم على إبراهيم باشا وكان هذا القائد عزيزاً جداً على إبراهيم باشا.

مدينة بيت لحم عبارة عن خلية صناعية وزراعية وكان أهلها يعملون بنشاط من أجل الربح والكسب إذ كانوا يزرعون الحبوب على أنواعها ويغرسون شجر الزيتون والكرمة والفواكه وينتجون النبيد المشهور قبل أن تعرف الأسواق نبيد مصانع ريشون ليزيون.

والبيتلحميون من طبيعتهم ميكانيكيون ونجارون وبناؤون ونقاشون ويتقنون كذلك صناعة النسيج حيث تراهم في كل يوم يبكرون بالذهاب إلى القدس مشياً على الأقدام لبيع إنتاجهم في أسواق القدس ثم يعودون في المساء إلى بيت لحم مشياً على الأقدام كذلك، وشهرة بيت لحم الخاصة منذ القدم كونها كانت تعرف «ببيت الخبز».

مئات من أبناء بيت لحم يهاجرون في كل شهر إلى أمريكا اللاتينية عن طريق يافا – مرسيليا بالبحر دون أن يعرفوا الجهة المسافرين إليها ويهاجرون كذلك كفلاحين بألبستهم التقليدية والطربوش على رؤوسهم، وهكذا تراهم في كافة أقطار تلك البلاد الأمريكية وهم يحملون السلال على أكتافهم ملأى بالبضائع متجولين رغم قلة ذات يدهم، ولكنهم بعد فترة من الكد والتعب يصبحون أصحاب أرصدة في البنوك ويملكون أحسن المتاجر وأوسعها وأجملها وبعد حين أي بعد عشر سنوات أو أكثر يعود بعضهم إلى بيت لحم بألبسة أوروبية مع برنيطة على رؤوسهم الأمر الذي يدفع الأقارب والجيران أن يخفوا للسلام عليهم واستقراض النقود منهم.

أما نساء بيت لحم فلا يضعن حجاباً على وجوههن ويلبسن الثياب المطرزة بالقصب والحرير ويضعن على رؤوسهن نوعاً من الطربوش «الشطوة» التي أخذ عنها الصليبيون في القرون الوسطى كما تقول كلير.

قبل الحرب كانت هذه الشطوة تزين بالنقود الذهبية الفرنسية التي كانت تعرف بالنابليون وإبان الحرب فقد اختفت هذه النقود عن الشطوة لأنها بيعت وصرفت في سبيل الحصول على لقمة العيش التي كانت نادرة آنذاك، وكان منظر سيارة مرسيدس بنس تقف أمام سرايا الحكومة شيء حضاري غريب راح السكان يقفون للتفرج عليها باندهاش.

قالت الرحالة كلير بأن الحاكم العسكري قال لها: إن الحكم في البلاد هو حكم عسكري وسوف يبقى كذلك إلى أن يصدر الحلفاء مصير فلسطين والإمبراطورية العثمانية وقد تم احتلال بيت لحم في شهر كانون الأول عام ١٩١٧م وعند دخول قواتنا العسكرية بيت لحم كانت شوارعها خالية كلياً من السكان وذلك لأن الأتراك حذروا الناس من الظهور في شوارع المدينة ومنعوهم كذلك من الاتصال بالإنكليز وهددوهم بالإعدام إن هم خالفوا تعليماتهم هذه.

ولكن ما هي إلا فترة وجيزة حتى تشجع الناس في بيت لحم وأخذوا يخرجون إلى الشوارع وكان عدد سكان بيت لحم قليلاً جداً بسبب من قتل منهم في الحرب ومن مات منهم جوعاً ومن فتكت بهم الأمراض كالتيوفوس والأمراض الأخرى وكان الجراد الذي قضى على مزروعاتهم أكبر نكبة حلت بهم.

ونتيجة للحالة السيئة التي وصل إليها أهالي بيت لحم وتسربت أخبارها إلى أبنائهم في المهاجر أخذ هؤلاء الأبناء يرسلون النقود بسخاء إلى ذويهم حتى وصل مجموع ما كانوا يرسلون شهرياً إلى ١٢,٥٠٠ دولاراً. ولاستغلال هذه المبالغ التي أخذت ترد إلى بيت لحم شهرياً فقد سمح الحاكم العسكري للأهالي بتاريخ ٤ آذار ١٩١٨م بأن يؤلفوا لجنة منهم باسم «لجنة الإحسان والإغاثة» برئاسة السيد خليل دكرت وقامت هذه اللجنة بشراء الأطعمة والأدوية وتوزيعها على الآهلين كل حسب حاجته. وبعد ذلك سمحت إدارة الحكم العسكري بإعادة تنظيم البلدية برئاسة السيد صالح أفندي جقمان وهو أحد أبناء بيت لحم الذي كان مغترباً ثم عاد إلى مدينته وراح السكان يتقدمون بطلبات من أجل الحصول على رخص بناء وترميم، غير أن الحاكم العسكري كان حذراً في الموافقة على إصدار مثل هذه الرخص لكي لا يتعارض البناء مع التنظيم الهيكلي أو التاريخي لمدينة بيت لحم مشترطاً عليهم عدم استعمال الطوب الأحمر في البناء أو البناء على الطراز الغربي.

تاريخ بني الحارث أمس وعشائر التعامرة اليوم
للسيد نوفيل قنصل فرنسا العام
في القدس سابقاً

أيوب مسلّم يعقوب مسلّم

خلال الثلاثينيات من القرن العشرين، وفي حياة الشيخ حسن الزير، رحمه اللّه، قام السيد نوفيل، قنصل فرنسا العام في القدس بكتابة تاريخ بني الحارث أي عشائر التعامرة، في منطقة بيت لحم، معتمداً في ذلك على أحد أبناء عشيرة الحجاحجة المشهود له آنذاك بسعة الاطلاع على حياة هذه العشائر، ومعرفته الصادقة بموطنها الأصلي الذي خرجت منه عام ١٥٧٢ وقد نشر سرد هذا التاريخ في مجلة التوراة الفرنسية في عددها رقم ٨٠ الصادر في شهر تموز عام ١٩٧٨م وإليك أيها القارئ سرد هذا التحرك القبلي، كما ذكره القنصل المذكور في بحثه قائلاً:

> «أفراد هذه العشائر هم من البدو الرحل إلا أنهم الآن في طريقهم نحو التحضر، غير أن أهمية ما أرويه عن هذه العشائر لا يكمن في اللغة الدارجة التي روى لي بها أحدهم تاريخها إنما تكمن الأهمية في سرد حقائقها وأهميتها في تاريخ هذه العشائر الحديث، لكونها تراث شعبي يضع أمامنا وأمام الأجيال الصاعدة حقائق هامة عن تحركات هذه العشائر لأنها تظهر للمرة الأولى كتراث غير مكتوب يعود إلى ٤٠٠ سنة أو أكثر بقليل.»

إن هذا السرد الذي أنشره عن تحركات هذه العشائر من موطنها الأصلي في مدائن صالح في الحجاز يشابه في كثير من الأحيان تحركات قبائل مماثلة جاء ذكرها في التوراة، إلا أني لا ادري، قال القنصل، إلى أي مدى يمكن الاستناد إلى حقيقة نصوص هذا السرد، لأن تحركات هذه العشيرة من موطنها الأصلي في الجزيرة العربية جاء نتيجة تأثرها بالغزو أو القلاقل التي تعرضت لها أحيانا وركود الحالة في أيام السلم أحيانا أخرى. وكان سلاحها آنذاك خلال الغزو والقلاقل هو السيف والقوس، والمقلاع والبارودة قاذفة الحجارة في أوائل الحكم التركي، إلا أن حقيقة تحركها من موطنها الأصلي ما زال غامضاً، أما من حيث الأماكن الجغرافية التي مرّت بها هذه العشيرة أثناء تحركها فهي أماكن حقيقية.

تاريخ بني حارث والتعامرة

بعد جهد كبير في البحث والتدقيق، ومقابلة أرباب الخبرة في هذا السبيل من أفراد هذه العشائر، استطعت أن أثبت المراحل الرئيسية والحقيقية التي تُثبت نسب هذه العشائر في التاريخ وهي كما يلي:

تنحدر هذه العشائر - وكانت في الأصل عشيرة واحدة- من بني حارث في مدن صالح أي مدائن النبي صالح وآثارها ظاهرة حتى اليوم في منطقة «الهجر» التي تقع على خط السكة الحديدية دمشق / المدينة المنورة، وكان يسكنها الثموديون، الذين بعث اللّه اليهم النبي صالح كي يدخلوا في الإسلام، وعندما لم يرضخوا لأوامر هذا النبي يقال أن زلزالاً قد حل ببلادهم فأبادهم.

وفي عام ٦٣٠م رفض الرسول (صلعم) السماح لرجاله وهو في طريقه إلى بلاد الشام الاقتراب من مكانهم أو الشرب من ينابيعهم، بعد هذا ابتعد بنو الحارث عن مدائن صالح وتوجهوا إلى منطقة «تبوك» في الحجاز وتقع على حدود الأردن الغربية وعلى أثر قحط أصاب هذه المنطقة، رحلوا إلى منطقة «معان» إحدى محطات القطار وهي مركز إداري وتجاري لهذه المنطقة الأردنية.

وفيما كان أفراد هذه العشيرة في الأردن، نشبت حرب بين أهالي وادي موسى وأهالي مدينة معان انتصر فيها أهالي معان على أهالي وادي موسى، فما كان من عشيرة الحوارث هذه أي التعامرة إلا أن رحلوا من معان، واحتلوا وادي موسى وسكنوه. وفي وادي موسى حلت به موجة من القحط اضطرت عشيرة الحوارث هذه على الرحيل والانتشار في المناطق المجاورة سعياً وراء الكلأ والماء لقطعانهم.

في هذه الأثناء توجهت سبع عائلات من الحوارث بحلالها صوب فلسطين واستقر أفرادها في خربة تدعى بيت عامر نسبة إلى الخليفة عمر بن الخطاب وذلك على بعد ستة كيلو مترات شرقي بيت لحم، وبيت عامر هذه، منهم من قال أنها بيت تعامر أو بيت امر، وأقامت هذه العائلات سكنها فيها مع ست عائلات أخرى كانت تسكن الخربة قبل مجيء هذه العائلات، وكان لكل واحد من هذه العائلات كنية خاصة، وبهذا يصبح سكان هذه الخربة بعد وصول بني الحارث اليها ثلاث عشرة عائلة. وكانت كافة الأراضي حول هذه الخربة خالية من السكان حتى حدود بيت لحم، حيث أخذ سكان هذه الخربة باستغلالها، تم تداخلت هذه العائلات فيما بينها فتزاوجوا وأخذوا يحرثون الأراضي حول القرية فيما بينهم، وراحوا رويدا رويدا ينتشرون فوق تلك الأراضي، وكانت هذه الخربة مؤلفة من ثلاثة عشر بيتاً مبنياً من الحجارة، وكانت ساحتها الملتصقة بمسجد هذه الخربة، تدعى ساحة بني عمر باسم عمر بن الخطاب، وكانت كافة الأراضي والأملاك المجاورة لمسجد عمر بن الخطاب وقفاً لذلك.

ودلالة على السكن في خربة «بيت عامر» أطلق على أفراد بني حارث هؤلاء- أي العائلات السبعة التي استقرت في هذ الخربة واختلطت واندمجت في السكن مع هذه الخربة - اسم أهالي بيت عامر ومع الوقت حرف الفريقان الاسم إلى «تعامرة» وقد لازمتهم الكنية

حتى أيامنا الحاضرة هذه أي منذ ٣٨٩ سنة وعندما استقرت بهم الأمور وراحوا يمتلكون القطعان أخذوا يستعملون الخيام ويتنقلون بقطعانهم في تلك النواحي، ويزرعون أراضيها بالحبوب على أنواعها وغير ذلك من الخضروات. وعند وصول أبناء الحوارث إلى هذه الجهات، كان في هذه النواحي أربع عائلات تعرف باسم عائلة فاطمة وعائلة وداد وكانت تسكن خربة خريطون الذي يعود اسمها إلى القديس شاريتون الذي أسس كنيسة في هذا المكان عام ٣٤٥ - ٣٥٠م وكانت هذه العائلات ترعى قطعانها في وعر خريطون الذي يعلو ٩٠٠ متر عن الوادي الذي يقع شمالي خربة خريطون. أخذ بنو حارث التعامرة يستفزون هذه العائلات ويستولون على قطعانهم وفي إحدى الليالي هاجموا كهف راعي عائلة وداد وسمي هذا الموقع بـ «كهف الراعي» نظراً للحادث التالي:

هجم التعامرة فجأة على هذا الكهف بينما كان الراعي يحرس ماشيته، وحاولوا أخذ الماشية إلا أن الراعي طلب منهم مهلة إلى أن يعزف لهم أغنية على شبابته، فقبلوا بهذا وراح الراعي يعزف أغنية يا وداد قتلوا كبش الغنم واحرقوا السداد، والسداد قطعة خشب كان يستعملها الراعي لاغلاق باب الكهف ليمنع خروج القطيع منه، وكان منزل عائلة وداد يقع مقابل الكهف تماماً، وعندما سمعت عائلة وداد صوت الشبابة فهمت بالحال ما يود الراعي أن يقوله، أي أنه يطلب النجدة، فبعثت عائلة وداد بالحال تطلب نجدة الراعي إلا أن النجدة حال وصولها إلى موقع الكهف وجدت الراعي مقتولاً والقطيع مسروقاً ولهذا أطلق على هذا الكهف اسم «كهف الراعي».

صراع قيس ويمن

وبعد هذا الحادث بدأت الحروب ضد التعامرة، وقد شن الحرب الأولى عليهم قبائل (القيسية) والقيسيون هم قبائل تقيم في جبل الخليل،، وكانت قبائل «اليمنية» تقيم في جبال نابلس، وفي الحرب الأولى التي شنها القيسيون على التعامرة وكان حزب القيسيين مؤلف من قرى محافظة الخليل وقد انتصروا فيها على التعامرة لكثرتهم وقلة عدد التعامرة آنذاك، وقد كان هجوم القيسيين ليلاً ونهاراً والهدف من ذلك هو إبعادهم عن الأرض التي يسكنون فيها الأمر الذي اضطر معه التعامرة إلى الهرب إلى واد «القصير» غربي البحر الميت وإلى الفشخة والفارعة والبقيعة، ومع الزمن أصبحوا ينعمون فيها بحقوق حتى أيامنا هذه، وأخذت أعدادهم تزداد في هذه المناطق، كما أخذت أعداد سكان بيت لحم وبيت ساحور وأبوديس بالازدياد كذلك.

في هذه الأثناء أرسل مشايخ التعامرة بعض المستطلعين من رجالهم وذلك للكشف على الأراضي الواقعة شرقي بيت لحم وجوارها التي كانوا يقيمون فيها قبل طردهم منها من قبل القيسيين. للتأكد من قوة اليمنيين في تلك المناطق. ومن ثم لمشاورتهم فيما إذا كان بإمكانهم الحضور والسكن في تلك الأراضي التي كانوا يمتلكونها قبل ٤٠ سنة فأجابهم يمنيو المنطقة: «إذا أردتم الرجوع إلى هذه الأراضي لتحاربوا في صفوفنا فسوف تكون الأرض أرضكم».

وما أن سمع المستطلعون ذلك حتى رجعوا في الحال إلى ذويهم وأخبروهم بما سمعوا. واتفق بعدها التعامرة فيما بينهم على الرحيل إلى موقعهم الأصلي والانضمام إلى الحزب اليمني ولم يبق منهم إلا عائلة واحدة استقرت فيما بعد في واد الحوارث التي هم من أصلها.

عاد التعامرة إلى منطقتهم واستقروا ثانية في خربة بيت تعمر أو «بيتامر» وقد ساد الوفاق صفوفهم كما ساد الوفاق كذلك بينهم وبين أهالي الحزب اليمني*، وراحت قطعانهم ترعى في نفس المراعي وأخذوا يتنقلون ويلهون ويتسامرون سوية.

ولما علم بنو قيس بعودة التعامرة إلى ديارهم راحوا يضايقونهم ورداً على هذه المضايقات اتفق التعامرة مع حلفائهم اليمنيين على إشارة فيما بينهم تقضي هذه الإشارة بإشعال النار على رؤوس الجبال كلما ضايقهم القيسيون ليهبّ حلفاؤهم اليمنيون لنجدتهم.

وقبل أن يرجع التعامرة إلى منطقتهم الأصلية شرقي بيت لحم تزوجت إحدى بناتهم من رجل من سعير، وعندما استقر التعامرة في قريتهم أخذ القيسيون يشنون عليهم هجمات متكررة كانت سبباً في إزعاجهم.

وقد حدث في هذه الأثناء أن أحد أبناء هذه المرأة التعمرية كان جالساً في ساحة سعير حيث كان مجلس حربي معقوداً فيها، وفهم هذا الابن هناك أن القيسيين قرروا بالإجماع شن حملة على التعامرة والقضاء عليهم جميعاً والانتهاء من أمرهم في هذه النواحي إلا أن ذلك الولد الذي أدرك نوايا أهله، توجه فوراً إلى والدته وأخبرها بحقيقة ما تم الاتفاق عليه بين أهله، قالت له أمه: اذهب يا ولدي وأخبر أخوالك بما سمعت، فسألها الولد وكيف أذهب يا أماه، فأجابته: ارتدي ملابسي في الحال، واحمل جرة الماء واذهب إليهم وأنت بزي النساء كي لا ينكشف أمرك وهكذا تم الأمر. فذهب الولد فوراً وهو بزي النساء، وجرة الماء على كتفه إلى أخواله وأخبرهم بما سمع من رجال قبيلته فاعترف أخواله له بنبل أصله وشهامته. اتصل مشايخ أخواله بإخوانهم في الحزب اليمني وأطلعوهم على ما قرره رجالات الحزب القيسي من الغدر بهم والقضاء عليهم فاستعدوا للأمر وتوجه التعامرة مرة أخرى إلى شمال بلدة بيت ساحور إلا أن عائلة واحدة من عشيرة العبيات لم ترحل معهم لأنها لم تكن قد علمت بما تم الاتفاق عليه بين عشيرتها، وبقيت في مكانها، وعندما توجه رجال الحزب القيسي نحو بيت عامر ولم يجدوا أحداً من التعامرة توجهوا إلى الشمال حيث التقوا بالتعامرة في (واد حلوة) فحدثت بينهم معركة عنيفة قتل خلالها كثيرون من رجال الفريقين، فكان النصر في هذ المعركة حليف التعامرة انهزم بعدها القيسيون وراح التعامرة يلاحقون فلولهم المنهزمة حتى قرية سعير، وكانت خسائر القيسيين جسيمة جداً، إلا أن الحزب القيسي لم يتورع عن شن حروب جديدة على التعامرة، وقد حدث أثناء تقهقر الحزب القيسي أمام التعامرة، أن هاجموا التعامرة الذين بقوا في الخربة من عائلة العبيات، فنهبوا ماشيتهم وقتلوا معظم أفرادها إلا القليل منهم بقي على قيد الحياة.

* صراع يمن (أو عرب الجنوب) وقيس (عرب الشمال) يعود بجذوره إلى (صراعات قبلية في الجزيرة العربية) قبل الإسلام. وعند التوسعات والفتوحات انتشرت هذه الظاهرة في المناطق المفتوحة في بلاد الشام وشمال إفريقيا الخ... واستمرت الصراعات القبلية هذه إلى المرحلة العثمانية وتفاقمت عند انهيار السلطة المركزية العثمانية. أهالي بيت لحم من الحزب اليمني وكذلك أهالي القدس.

توطيد علاقة الصداقة بين التعامرة ومسيحي بيت لحم

حكم الخمسة

كان في بيت لحم آنذاك قبيلة من المسلمين تدعى «الخمسة» وقد أطلق عليها هذا الاسم لأنها تنحدر من خمسة أخوة جاءوا بيت لحم من «السويداء» في جبل الدروز وسكنوا في دير اليونان كعمال، وفي بيت لحم تكاثرت سلالتهم، وجرت العادة آنذاك أن يقدم لهم بطريرك دير اليونان في يوم عيد الميلاد مبلغاً من المال كهدية في العيد ومساعدة لهم في آن واحد. ومع الوقت اعتبر الخمسة هذه الهدية «خاوة» أو «خوة» من المسيحيين تستحق لهم وقد حدث في عيد الميلاد عام ١١٥١هـ أي ١٧٣٨ م أن أرسل البطريرك المذكور كما هي العادة «قفة» مليئة بالريالات التركية الفضية إلى رئيسهم المدعو «الديري» لأنه يسكن في دير الأرمن، لكي يقوم رئيسهم الديري بتوزيع هذه الأموال على أفراد قبيلته، إلا أن الديري هذا - بدافع من كبريائه ووقاحته - رفس القفة برجله فتبعثرت الريالات وقد حدث هذا بحضور «قواس» السفير الروسي آنذاك، ولما أخبر القواس السفير الروسي بما حدث أمامه وذلك فور عودته إلى دار السفارة في القدس، غضب السفير من هذا الحادث غضباً شديداً وطلب بعد ذلك من البطريرك التوقف عن هذه العادة.

ومنذ ذلك التاريخ أخذ الخمسة هؤلاء يعتدون على أملاك وأراضي ومواشي مسيحيي بيت لحم وعلى أثر هذه الاعتداءات المتكررة، أجتمع رجالات بيت لحم وقرروا القضاء على الخمسة وطردهم من المدينة، فقتلوا أولا رئيسهم، وأعدموا كثيرين منهم، ثم هرب من بقي منهم إلى بيت فجار واتخذوها منطلقاً لغزواتهم على بيت لحم.

أمام هذه الوقائع اتفق أهالي بيت لحم مع رؤساء عشائر التعامرة على ضرورة القضاء على الغزاة الخمسة والحد من غزواتهم المتتالية على بيت لحم، وقد نجح هذا الاتفاق وتم خلاله التغلب على هؤلاء الغزاة وهكذا توقفت غزواتهم نهائياً، وفي مقابل هذا الاتفاق فقد وهب أهالي بيت لحم أملاك الخمسة في بيت لحم وجوارها إلى التعامرة.

وبعد هذه الأحداث مع الخمسة بالتعاون مع التعامرة، راح وجهاء ومشايخ التعامرة يمتطون أفراسهم ويصحبون أبناء بيت لحم لاستقبال بطريرك دير اليونان، عند دير مار الياس على طريق القدس ومواكبته إلى بيت لحم قبل عيد الميلاد بيوم، ويعرف بيوم دخلة البطريرك إلى بيت لحم للاحتفال بعيد الميلاد المجيد، وبهذه المشاركة توطدت أواصر الأخوة والصداقة بين الفريقين: بيت لحم والتعامرة، حتى أيامنا الحاضرة هذه.

ملاحظة: قصة الخمسة هذه تختلف كثيراً عن قصة البرقي والخمسة في بيت لحم كما هي مكتوبة ومسجلة في سجلات دير اللاتين في بيت لحم.

طريقة الحياة واللبس والطحن

ترتدي نساء التعامرة البسة سوداء من صنع الشام، أما أحذية الرجال فإنها تصنع من جلد الجمال وتنسج عبيّهم من أصواف قطعانهم وبعض الرجال كان يضع العمامة على رأسه «الكفية» والبعض الأخر كان يرتدي الحطة والعقال حتى أيامنا هذه، إلا أنه مع مرور الزمن فقد أهمل كلياً لبس العمامة واستبدلوها بالحطة والعقال. أما ما يختص بطريقة طحن الحبوب ففي بادى الأمر كانوا يسحقون الحبوب على الصخور، واستخدموا فيما بعد مطاحن الحجارة اليدوية، وكانوا يديرونها بأنفسهم، ومع اقترابهم من المدن اكتشفوا الطواحين الحجرية التي تديرها الحمير، والبغال، ونمط هذه الطواحين ما زال يشاهد حتى الآن في البلاد.

امتهن التعامرة تجارة الملح بالإضافة إلى الزراعة، وكانوا يأتون بالملح من بركة «إبراهيم الخليل» التي باركها اللّه، وتقع هذه البركة قرب البحر الميت حيث يعلو الماء فيها أيام الشتاء عن مستوى البحر الميت فتمتلىء بالماء، وعندما تجف المياه فيها أيام الصيف تتحول الرواسب إلى ملح فينقله التعامرة إلى الأردن وإلى جبل عجلون وقراه ويقايضونه بالقمح ويذهبون به كذلك إلى مرج بن عامر في الناصرة وقراها ويقايضونه مع أهلها. ولما علم بدو المنطقة الجنوبية في الاردن بمرور قوافل التعامرة محمّلة بالملح راحوا يهاجمونها ويتبادل الفريقان الهجوم والقتال، بحيث ترتفع أعداد القتلى بين الطرفين بعد انتهاء المعركة بصورة كبيرة، وتبقى ملقاة في ساحة القتال غذاء للطيور والوحوش، أما الأسلحة التي كانوا يستخدمونها في تلك الأيام هي البنادق قاذفة الحجارة والمسدس النواف التي يعتمد على حجر الصوان في إشعاله وذلك بدل الكبسولة، والسيف والشبرية والمقلاع في عهد الحكم التركي.

شجرة نسب التعامرة وعائلاتهم المختلفة

يشمل اسم التعامرة العائلات الست التي كانت تسكن في خربة بيت تعامر قبل مجيء العائلات السبع المنحدرة من سلالة بني حارث في الحجاز وانضمامها إلى العائلات الست المذكورة والسكن معها في خربة بيت تعامر.

هذه هي أفخاذهم:
أحمد خلّف علي، علي خلّف محمد، محمد خلّف سليم، سليم خلّف خمسة اولاد وهم: سليمان، محمد، سلامة، سويلم، صباح، وأحمد الجد
هو أحد رجال العائلات السبعة من بني الحارث وكل واحد من أبناء هؤلاء الخمسة أسس عشيرة، واستقرت كلها فوق أراضي تقوع وخريطون جنوبي بيت عامر.

سليمان بن سليم خلّف ثلاثة أولاد أحدهم هو «مغنم» الذي شُنق في مدينة عكا إبان الحكم التركي إثر قتله لممثل الحكومة العثمانية قرة عين حمدة في «واد الغول» ويقع قرب خربة خريطون ويدعى الموقع الآن وادي خريطون، وقد أعدم مع مغنم في مدينة عكا صافي مصطفى الذي شارك مغنم في جريمة القتل وقد دفن الاثنان في عكا وقبراهما فيها مشهوران، ولم ينقلوا جثمانيهما إلى بيت عامر بسبب طول الطريق ووعورتها آنذاك.

مغنم خلّف غنائم وهذا خلّف مغنم ومغنم خلّف سليم وسليم خلّف مغنم وينحدر كل هؤلاء من سلالة أحد مؤسسي العائلات السبعة. صلاح الدين خلّف عبد النبي وهذا خلّف محمد ومسلم وسلامة ومغنم وعبد الرحمن وكل هؤلاء هم من سلالة عبد النبي وقد أسس كل واحد منهم عشيرة تسكن كلها في خربة أبو نجيم جنوبي بيت لحم، ومنهم من تسكن في وادي خريطون وهم يعيشون تارة في خيام وطوراً في بيوت مبنية من حجر.

عسكر خلّف محمد وهذا خلّف ثلاثة أولاد: الأول عيسى والثاني عوض اللّه والثالث معطي ومعطي خلّف أربعة أولاد من بينهم عوض اللّه الذي خلّف معطي ومعطي خلّف أربعة أولاد منهم عوض اللّه وعوض اللّه خلّف معطي ومعطي خلّف سعيد وسعيد خلّف محمد وسكن كل هؤلاء مع عائلاتهم جنوبي بيت تعامر ويعيشون في الخيام. وفي عام ١٩٤١ بدأوا يسكنون في بيوت مبنية من حجارة وتدعى عشيرتهم اليوم «فرحات» أو «أم النتشة» واسم هذه العشيرة «العساكرة» وعدد أفرادها انذاك ٣٤٢ نسمة وقد هاجر كثيرون منهم إلى أمريكا حيث يتواجدون الآن في جمهورية التشيلي.

حسين خلّف ستة أبناء هم: محمد، سلطان، حمدان، أبو غلفيف، صبح، محسن. ومحمد خلّف عبد الهادي وهذا خلّف عبد المحسن وهو شيخ عشيرة العبيات وتسكن هذه العشيرة في «وادي اعبيات» و «وادي حساسة» ويجاورهم من الجنوب عرب الرشايدة والقيسيين سكان قرية سعير.

محارب خلّف سلمان وحمدان وإبراهيم، وسلمان خلّف حمدان وحمدان خلّف سلمان وسلمان خلّف سليم الوحش هو حاليا شيخ عشيرته ويقيم أفرادها في أراضي بيت عامر في خيام وبيوت من الحجارة ولقب الشيخ سليم هذا بالوحش نسبة إلى جده «حمدان» الذي كان مولعاً بصيد الوحوش وكان يطاردها حتى عرينها ولهذا لقب بالوحش ولا يزال هذا اللقب يلازم سلالته حتى يومنا هذا.

سليم خلّف حمدان، وحمدان خلّف إسماعيل واسماعيل خلّف سليمان وسليمان خلّف سلامة وكان شيخ عشيرة «الشواورة» وأحد أعضاء المشايخ الذين يذهبون مع أبناء بيت لحم لملاقاة بطريرك اليونان عند دير مار الياس ويتمتع هذا الشيخ باعتبار خاص ومهيب في منطقة بيت لحم وتقيم عشيرته في وادي التعامرة وأم الطلع جنوبي دير ابن عبيد شرقي بيت ساحور وجنوبي صور باهر.

عبد الرحمن خلّف الشيخ والشيخ خلّف ثلاثة أولاد هم: محمد، وأحمد والزير، والزير خلّف مصطفى ومصطفى خلّف سالمي وقد شنق في عكا مع مغنم انتقاماً لمقتل جابي ضرائب الإدارة العثمانية وسالمي خلّف محمد ومحمد خلّف حسن وحسن هو شيخ عشيرة «الحجاجحة»

وقد لقب بالزير، وهذه العشيرة كان يشتهر وجهاؤها باتخاذ القرارات الحكمية وإمعانهم في قوانين العشيرة وقوة حجتهم فيها، وحسن هذا هو شيخ العشيرة التي كان الأخوة الثلاثة أحمد وصلاح الدين وعسكر من أسلافها، وقد اجتمع الأخوة الثلاثة في الماضي وأقاموا مع عائلاتهم إلى جوار بعضهم، ودافعوا عن أنفسهم ضد الأعداء وظلت مجموعتهم متحدة يسودها الوفاق والمودة وقد اختاروا من بينهم من يمثلهم جميعا ويحكم بالعدل في خلافاتهم.

وقد أجمع أبناء عشيرته على اختيار سليم شيخاً عليهم نظراً لما يتمتع به من هيبة ووقار وصدق في القول والعمل خصوصاً وأنه كان عضوًا في وفد وجهاء التعامرة الذي يذهب في كل عام لملاقاة البطاركة في أعياد الميلاد، وقد اشتهر هذا الشيخ بعدل أحكامه الأمر الذي كان يدفع الوفود إلى التدفق على بيته من كل مكان. وقد وصل الشيخ حسن الزير إلى رتبة المشيخة نظراً لقوة عشيرته والوفاق السائد بين أبنائها ولهذا السبب «لقب بالزير» وقد أنعمت عليه الحكومة الفرنسية بعدة ميداليات ذهبية ونياشين فرنسية لخدماته الكثيرة في سبيل الصالح العام ولمحافظته على أرواح وأفراد البعثات الفرنسية التي كانت تأتي إلى تلك النواحي للقيام بحفريات علمية وأثرية في تلك المنطقة. وقد زاره في بيته عدة قناصل لدولة فرنسا بالإضافة إلى الوفود الأجنبية التي كانت تحل ضيوفاً في بيته لمناقشته حول معلومات تتعلق بتلك المنطقة.

ويسكن أبناء هذه العشيرة في بيوت من حجر بدل الخيام، وذلك في أول «واد خريطون» والذي يدعى الآن «خربة حرملة» وفي عين حمده، ويسكن بعض أفراد هذ العشيرة في موقع «دويحة» شرقي «أم قطافة» ويشتهر كهف أم قطافة بالآثارات القديمة ويتكون من حجر الصوان.

العائلات الستة التي كانت تقيم في بيت عامر قبل أن يقدم إليها بنو الحارث والذي ينحدر منها بعض التعامرة الآن هذه هي أفخادهم: عمر خلّف عمرو وعمرو خلّف محمد ومحمد خلّف رزق وعمرو خلّف رزق ورزق خلّف ديب وديب خلّف إبراهيم الذي يقيم أهله في أراضي خربة بيت عامر.

محمد خلّف عطاللّه وعطاللّه خلّف عوض اللّه وعوض اللّه خلّف محمد ويقيم أهل هؤلاء في موقع «حرملة» في بيوت من حجر.
أبو هنية خلّف خليل وخليل خلّف إبراهيم وإبراهيم خلّف علي وعلي خلّف خليل وخليل خلّف خميس ومن هؤلاء من هاجر إلى مادبا وراء نهر الأردن ومنهم من يسكن الآن حول مدينة بيت لحم.

أبو الحور خلّف عزت وعزت خلّف موسى وموسى خلّف علي وعلي خلّف حمدان وحمدان خلّف عوده ويقيمون في ضواحي بيت لحم.
أبو فريحة خلّف إبراهيم و إبراهيم خلّف خليل وخليل خلّف موسى وموسى خلّف ثلاثة أولاد هم خليل ومحمد و إبراهيم و إبراهيم خلّف خليل وخليل خلّف عوض وعوض خلّف محمود ويقيمون في ضواحي بيت لحم ومنهم من يعيش في شرقي الأردن.

شمس الدين خلّف يوسف، يوسف خلّف محمد ومحمد خلّف سليمان وسليمان خلّف يوسف وهذا انقرضت سلالته ولم يبق منها أحد وقد اندمجت العائلات الخمسة بعشائر التعامرة المنحدرين من بني حارث وكل عائلة منها ترجع أصلها إلى العشيرة التي انضمت اليها. وبهذا نرى ان مجموع التعامرة الحوارث قد انقسموا إلى ثلاث مجموعات راحت تعرف بالأسماء التالية: عشيرة الشواورة ومن ارتبط بها، وتفرع منها الشرايعة، والمساعدة، والمحاربة، ومخاتيرها الآن هم المشايخ التالية: محمد أبو عامرية، وعودة الأطرش ومحمد سلامة السماعين وعلي إبراهيم الوحش.

عشيرة الحجاجحة وتفرع منها الصلاحات، سليمان، العساكرة، ومخاتيرهم هم الشيخ عبد خليل عطوه، والشيخ أحمد إبراهيم والشيخ علي حسن صبح وعيد الحاج كامل.

عشيرة العبيات وتفرع منها الحسينات، النواورة، النباهين، ومخاتيرها الآن هم المشايخ التالية يونس أبوديه، موسى الدخل اللّه، حسن موسى حمد مختار النواورة في بيت لحم وموسى محمد صبح. هذه هي النتيجة التي توصلنا إليها في معرفة كافية لشجرة نسب التعامرة خلفاء بني حارث وغيرهم من العائلات الثلاث عشرة التي استقرت في فلسطين.

الانقسام
حزب الشمال وحزب الجنوب

سبق وذكرنا أن التعامرة والقيسيين قد اصطدموا في عدة معارك وكان النصر خلالها حليف التعامرة، بينما تبعثر القيسيون وضعفت قواهم إلا أن القيسيين رغم كل هذا ظلوا يضمرون الشر للتعامرة، بعد أن أدخلوا تعديلا على طريقة مواجهة التعامرة، وكانت خطتهم الجديدة هي بث روح التفرقة، وإثارة الكراهية بين صفوف التعامرة، وقد نجح القيسيون في خطتهم هذه وراحت روح الكراهية والحقد تنتشر بين التعامرة بحيث راحوا يغزون بعضهم بعضا، ومع ازدياد هذه الخلافات فيما بينهم شدة وعنفاً فقد انشق التعامرة الى حزبين، الحزب الجنوبي والحزب الشمالي، فألفت الحجاجحة والعبيات والمحاربة حزب الجنوب وألف الشواورة والمساعدة والكسابة حزب الشمال.

وقد التقى رجال الحزبين في معركة قرب جبل «مذيوبس» شرقي بيت تعامر استخدم فيها رجال الحزبين السيف والرمح والشبرية والمقلاع والبنادق التي تقذف الحجارة وكلها من نوع الأسلحة التي كان يستعملها رجال إبراهيم باشا، بالإضافة إلى الزرد والهراوة وكان كل فريق منهم يمتطي الأفراس، وقد رافقت النسوة رجال الحزبين إلى ساحات القتال وساعدن حسب التقاليد القديمة في تأمين حجارة المقاليع والمياه وشجعن المتحاربين بالأغاني والزغاريد وفيما كانت المعركة في أوجها تقدم الشماليون وتمكنوا من الصعود إلى قمة جبل مذيوبس بغية الاستيلاء على الأراضي المجاورة وتحدي الحزب الجنوبي إلّا أن الجنوبيين وقفوا له وقفة أبطال

في مواجهة وقد أبلى الطرفان في هذه المعركة، وتغلب فيها الحزب الجنوبي وأجبر الشماليين على التقهقر وراحوا يطاردونهم حتى مشارف دير ابن عبيد.

اعترف بعدها الشماليون بالهزيمة على يد الجنوبيين وناشدوا رجال الحزب اليمني في المنطقة المجاورة أن يهبوا لمساعدتهم وعلى أثر ذلك هب الحزب اليمني والسلطات التركية وفرضوا هدنة على رجال الحزبين، ونتيجة لمساعيهم الخيرة في هذا السبيل توصلوا إلى النتيجة التالية.

يعود كل فريق أو عشيرة من المتحاربين إلى حيث كان يقطن قبل المعركة، وكأن شيئاً لم يكن بين المتحاربين فصالحوهم وأصلحوا فيما بينهم وقسموا بني تعمر إلى «ثلاثة قبائل» كما هم الآن، وقسموا أراضي التعامرة التي كانت أساس الخلافات والحرب ووزعت هذه الأراضي حسب نسبة عدد رجال العشيرة، حتى إذا مات أحدهم ولا وريث له فإن حقه في الأرض يموت معه أما في حالة وجود وريث له من الذكور فتصبح الأرض له وملكاً لورثته من بعده ويدعى هذا التقسيم «المعاريد».

وقد حددت السلطات العثمانية هذه الأراضي وفرضوا عليها الضرائب وبقي هذا القانون ساري المفعول بين عشائر التعامرة حتى نهاية عام ١٩٣٧ عندما ألغاه الانتداب البريطاني على فلسطين ووزع هذه الأراضي على عدد الأشخاص في كل عشيرة وأخضع هذا التوزيع المتعلق بالملكية العقارية على غرار ما عملته حكومة الانتداب في باقي أراضي فلسطين.

مدافن موتى التعامرة

قديما كان التعامرة يدفنون موتاهم في المدن المجاورة وفي مقبرة راحيل وهي القبلة الإسلامية وتقع شمالي بيت لحم وتبعد مسافة سبعة كيلومترات ونصف عن القدس حيث شيدت هذه المقبرة التذكارية لزوجة يعقوب المفضلة راحيل.

وعندما كثرت سلالات التعامرة فقد أخذ ثلثهم الحجاجة يدفنون موتاهم في «وادي عليا» أي في المكان الذي يدعى اليوم «قبور الدواعده» وكذلك في أراضي بيت تعامر بالقرب من مسجد عمر بن الخطاب والمقبرة في «وادي معلق» الواقعة في الجنوب فإنها تدعى مقبرة «الفناهة».

أما الثلث الثاني من هذه العشائر وهم «المحاربة» فإنهم يدفنون موتاهم في خربة بيت تعامر في «المعصرة» وفي «وادي اعبيات» جنوبي غربي أبوغنيم.

أما الشواورة الثلث الأخير فإنهم يدفنون موتاهم في موقع «الشيخ غنام» قرب أم الطلع جنوبي دير ابن عبيد وبعضهم يدفن في أراضي «حجار الفصيح» وبيت عامر إلا أنه لا أثر في هذا الموقع لمدافن، أما التعامرة المقيمين في بيت لحم فانهم يدفنون موتاهم في مقبرة راحيل.

أما ضريح الحاج محمد الزير فإنه يقع قرب مسجد عمر بن الخطاب في بيت عامر. أما رجال التعامرة الذين أعلنوا الجهاد على حكومة الانتداب البريطاني على فلسطين تضامنا مع شعب فلسطين الذي أعلن ثورته على الصهيونية الغازية بعد إصدار بريطانيا لهم «وعد بلفور» القاضي بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين على أنقاض شعبها العربي.

وهم السيد أحمد سالم من عشيرة المحاربة مع فصيل من أبناء العشيرة التعمرية، ودخل هذا بفصيله في عدة معارك مع الجيش البريطاني وقد أبلى في قتال الجنود البريطانيين سواء أكان في منطقة بيت لحم أم في أريحا.

أما الحاج أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي في القدس والقائد الأعلى للثورة الفلسطينية فقد عين السيد عيسى حسين أبو قدوم قائدا للثورة في منطقة بيت لحم والخليل وأريحا وقد قام هذا بأعمال خارقة مع رجاله الأشاوس ضد الإنجليز وهو الذي قام بحرق عمارة الحكومة الواقعة في ساحة المهد في بيت لحم.

وقد استشهد هذا القائد المغوار المرحوم عيسى حسين أبو قدوم في معركة بني نعيم ضد الجيش البريطاني وقواته الجوية وقد دفن المرحوم عيسى حسين أبو قدوم في وادي عبيان عام ١٩٣٧ باحتفال مهيب رحمه اللّه.

وفي العهد الأردني تم انتخاب الشيخ محمد سالم الذويب عضواً في مجلس النواب الأردني عدة مرات عن منطقة بيت لحم وبعد وفاته رحمه اللّه تم انتخاب ابن أخيه محمد أحمد الذويب عضواً في مجلس النواب الأردني عن منطقة بيت لحم وما زال كذلك حتى يومنا هذه.

الإحصاء العام لعشائر التعامرة عام ١٩٤٨ ميلادية

١) عشيرة المحاربة وكان شيخها آنذاك سليم الوحش وعددهم	٢٨٩٠ نسمة
٢) عشيرة الحجاجة وكان شيخها آنذاك حسن الزير وعددها	٢٠٢٤ نسمة
٣) عشيرة الشواورة وكان شيخها آنذاك سلامة السليمان إسماعيل وعددها	٢٧٠١ نسمة
٤) التعامرة المقيمين في بيت لحم وعددها	٧٢٦ نسمة
المجموع	٨٣٤١ نسمة

أسماء أصحاب الأملاك والأراضي البيتلحمية
التي شيد في مكانها ميتم الأب أنطون بلوني
أو دير الأباء السالسيين حالياً كما رواها الأب يوحنا النحاس السالسي
في كتابه حياة الأب أنطون بلوني
(من عام ١٨٦٣ وحتى عام ١٩٠٤)

بقلم: أيوب مسلّم يعقوب مسلّم

قبل مائة وسبعة وعشرين عاماً من تاريخنا الحالي كانت الأملاك التي نذكرها فيما يلي. أملاكاً بيتلحمية قد باعها أصحابها إلى الأب أنطون بلوني وأقام في مكانها ميتمه المعروف بميتم الأب بلوني وأخيراً دير الآباء السالزيان نذكرها بمواقعها مع ذكر أصحابها من بيت لحم والأسعار التي بيعت بها وذلك للذكرى فقط.

أولاً: الكرم الذي يعرف الآن بكرم دير السالزيان

يقع هذا الكرم في شمالي بيت لحم قرب مستشفى كاريتاس للأطفال، قد ابتاع أراضيه الأب أنطون بلوني من السادة إبراهيم ويعقوب نصار وابن أخيهما متري نصار بمبلغ خمسمائة غرش. وابتاع قطعة أرض مجاورة من السيد جريس إبراهيم نصار بمبلغ سبعمائة غرش وابتاع أرضاً ثالثة من السادة حمدان سالم وسليمان عوض بمبلغ مائتي غرش ويقع هذا الكرم في خلة المراعشة.

ثانياً: مخازن دير السالزيان الجنوبية الواقعة مقابل دير الألمان اللوثري

كان موقع هذه المخازن، كرماً مغروساً بشجر التين والرمان والكرمة وقد ابتاعه الأب بلوني من السيد إبراهيم حزبون بمبلغ سبعمائة غرش.

ثالثاً: موقع الميتم من جهة الشرق

لقد ابتاع الأب بلوني هذا الموقع من السادة داود حنا بطو وموسى نقولا بطو بمبلغ مائة وتسعة وثمانين ليره.

رابعاً: موقع الكنيسة الحالي

لقد ابتاع الأب بلوني هذا الموقع عام ١٨٧٤ من السادة يعقوب وإبراهيم قسطندي فرح بنايوت بمبلغ سبعة آلاف غرش واشترى كذلك قطعة أرض ملاصقة من السيد جريس الخوري بنايوت بمبلغ مائة غرش.

خامساً: موقع دير راهبات السالزيان

كان هذا الموقع مزبلة يلقي فيها المجاورون نفاياتهم، وقد اشتراه الأب بلوني من عدة أشخاص مجاورين للموقع ادعوا ملكية هذه المزبلة بمبلغ أربعة عشر الفاً ومائتين وسبعة وثمانين غرشاً.

سادساً: موقع الدير من جهة الغرب

ابتاع الأب بلوني هذه الأرض من السادة يوسف ومبارك سلامة عيسى البطارسة بمبلغ أربعة آلاف غرش.

سابعاً: موقع الدرج المؤدي إلى شارع النجمة

لقد اشترى هذ الأرض الأب بلوني من السيد موسى بطو بمبلغ ست عشرة ليرة وأقام فوقها الدرج المؤدي إلى شارع النجمة.

ثامناً: أرض الطريق المارة من أمام الدير وتؤدي شمالاً إلى شارع النجمة

لقد اشترى الأب بلوني هذه الأرض من السيد داود حنا بطو بمبلغ مائة ليرة وذلك عام ١٨٧٤ وفتح فيها الطريق المؤدي شمالاً إلى شارع النجمة.

تاسعاً: اسطبل الحيوانات المحاذي للدرج

كان موقع هذا الاسطبل كرماً مغروساً بشجر تين. اشتراه الأب بلوني بمبلغ تسعة وثمانين ليره عام ١٨٧٤ من السيد موسى نقولا بطو.

عاشراً: دار عيسى البطارسة

اشترى الأب بلوني موقع هذه الدار وضمها لأراضي الميتم من السيد عيسى البطارسة بمبلغ ستة عشر وستمائة ألف فرنك.

حادي عشر: دار مريم أرملة منصور يعقوب البطارسة

اشترى الأب بلوني موقع هذه الدار بمبلغ ثمانية الاف وثلاثمائة واربعين فرنكاً من السيدة مريم التي كانت أكبر عون للأب بلوني في إنجاح ميتمه.

ثاني عشر: تاريخ تأسيس ميتم الأب بلوني

أسس الأب بلوني ميتمه في بيت لحم عام ١٨٦٣ في عمارة مستأجرة تخص المواطن يعقوب حنا قرب قوس الزرارة. تأسس دير راهبات ماريوسف قوس الزرارة في عمارة السيد يعقوب حنا بعد أن أخلاها الأب بلوني. وفي عام ١٨٧١ باع السيد عبدالله شحاده أرضه في موقع الباطن إلى راهبات ماريوسف الباطن بمبلغ ثمانين غرشاً وأقمن فوقها ديرهن.

عام ١٨٨١ زار الغرندوق فرديننند دي توسكان بيت لحم وأماكنها المقدسة. وبتاريخ ١٨٨٢/٥/٣٠ زار بيت لحم أربعمائة زائر زاروا كنيسة المهد ومغارتها ونصبوا تمثال العذراء في مغارة الحليب مع باقة من الزهور الاصطناعية. عام ١٨٦٦ سيم الأب منصور الحيحي كاهناً لمساعدة الأب بلوني. وفي عام ١٨٨٧ سيم المواطن جريس سلامة كاهناً لمساعدة الأب بلوني.

بيت لحم تشارك الفاتيكان بيوبيل ذهبي كهنوتي ديني

ما كادت دوائر الفاتيكان في روما تعلن عزمها الاحتفال بإحياء ذكرى اليوبيل الكهنوتي لقداسة البابا لاون الثالث عشر وحددت لذلك الاحتفال شهر تشرين الأول من عام ١٨٨٧م. وما أن انتشر الخبر ووصل إلى أسماع طلاب ميتم الأب أنطون بلوني في بيت لحم، حتى قرروا المشاركة في إحياء هذه الذكرى، وسرعان ما وقع اختيارهم على قطعة خشب من الزيتون جعلوا منها إطاراً حفروا فيه رسم قداسة البابا محاطاً بأزهار الأراضي المقدسة. فجاء هذا الإطار بهندسة وزخرف رائعين، وبعثوا به إلى قداسة البابا مع تهانيهم باليوبيل.

وما أن استلم قداسة البابا هذه التحفة حتى أعجب بها وحاشيته البابوية أيما إعجاب، وقرر قداسته بعد ذلك أن تكون هذه التحفة من جملة زخارف الفاتيكان، ومنح هؤلاء الطلاب بركته الرسولية.

وفي كتابه بتاريخ ١٨٨٧/١١/٢٥ صادر عن كاتم أسرار المتحف الفاتيكاني في روما إلى الأب أنطون بلوني رئيس الميتم في بيت لحم، يعرب فيه عن عواطف قداسته الرقيقة وقال لقد عدّ إطاركم المزخرف بأزهار بيت لحم والقدس من جملة زخارف المتحف الفاتيكاني الشائق.

شذرات

من كتاب «بيت لحم في بطون التاريخ وعلى ألسنة الرحالة والمؤرخين»

بقلم: أيوب مسلّم يعقوب مسلّم

دبابير كنيسة المهد

عندما أمر السلطان بيبرس جنوده أن يذهبوا إلى الكنيسة لسلب نفائسها ثم هدمها، وعندما دخل الجنود الكنيسة وحاولوا سلبها وهدمها، خرجت عليهم أعداد كبيرة من الدبابير كما يذكر الخلف عن السلف. وكان خروج هذه الدبابير من ثقوب في بعض أعمد الكنيسة فلحقت هذه الدبابير بالجند وهاجمتهم بصورة شرسة وأمعنت في لسعهم، الأمر الذي اضطرهم إلى الهرب من وجهها، غير أن هذه الدبابير لاحقتهم حتى قوس الزرّارة المعروف حتى يومنا هذا فحشرتهم الدبابير في هذا الموقع وضاعفت من لسعهم حتى أنهم وبكل جهد تمكنوا من متابعة الهرب والدبابير في إثرهم إلى أن وصلوا محلة رأس إفطيس المعروفة حتى يومنا هذا بذات الاسم وهنا في هذا الموقع كما يذكر الخلف عن السلف، فطس -أي مات- كثير من الجنود نتيجة لسع هذه الدبابير، وقد تولى الأهلون دفن جثثهم في الموقع المعروف اليوم بالكركفة وكلمة «كركفة» باللغة الآرامية معناها (مقبرة الجثث أو الجماجم) وعندما سمع السلطان بيبرس بما حدث لجنوده أي بأعجوبة الدبابير أصدر أمره إلى ولاته بالتوقف عن قتل المسيحيين واضطهادهم وعدم التعرض لكنائسهم، كما طلب إلى ولاته كذلك أن يسمحوا للمسيحيين الذين هربوا من البلاد بالعودة إلى بيت لحم أو إلى البلد الذي يرغبون في العودة إليه، وهكذا عاد أجداد أهالي مدينة بيت لحم من الشوبك في وادي موسى ومن نواح أخرى واستقر بعضهم في بيت لحم.

وقد امتدّ حكم المماليك في هذه البلاد حيث اتّسع حكمهم ليشمل مصر والشام وامتد نفوذهم في البلاد والأقاليم المجاورة في شبه الجزيرة العربية وآسيا الصغرى وبرقة والنوبة حتى عرفت دولتهم بلقب دولة البرّين والبحرين. وهؤلاء المماليك هم عبيد الأتراك والشراكسة وغيرهم ابتاعهم سلاطين مصر كمجندين وأصبحوا مع الزمن قادة ثم ملوكاً، وأشهر سلاطينهم هو الملك الظاهر بيبرس من البندقداري وهو الذي وقف مواقف البطولة في وجه التتر ودحرهم. وقبل ذلك وعلى أثر اجتياح الفرس لسوريا

وشرقي الأردن فقد هرب الكثير من العائلات المسيحية وجاءت إلى بيت لحم واستقرت فيها في عهد الملك الحاكم بأمر اللّه الفاطمي ولكون أمه مسيحية فقد صان هذا الملك كنيسة المهد وحافظ على أرواح سكانها ورجال الدين فيها وفي عهده استوطن كثيرون من المسيحيين في بيت لحم.

فعاليات بيتلحمية في بيت لحم وبلاد المهجر

يذكر لنا الخلف عن السلف من أبناء بيت لحم، وهو حديث متداول بين أبناء بيت لحم، أن رجلاً بيتلحمياً ضعيف الحال والشخصية وعلى جانب من البساطة ولا عزوة له ينتمي إلى أحد أفخاذ حارة الفرحية متزوج وبدون إنجاب إلا أنه يملك أملاكاً طائلة، حاول أقاربه وأفلحوا في تجريده من أملاكه لصالح أقاربه خوفاً من تسريبها إلى زوجته بعد موته لأن زوجته هذه لا تنتمي إلى حارة زوجها بل إلى حارة أخرى. ولما شعر هذا الرجل بضعفه أمام أقاربه، حمل (حجرة الطنب) وتوجه بها إلى ساحة «زبلح» وكان زعيمها آنذاك الشيخ يعقوب ميلاده.

دخل الرجل الساحة وبعد أن طرح السلام فرش (حجرة الطنب) التي كان يحملها وجلس أمامها دون أن يتفوه بكلمة، وقدّم له الطعام فأكله بعد أن تعهد له شيخ الزبالحة بإيصال حقه إليه وعندما فهم الشيخ يعقوب ميلادة مشكلة هذا الرجل مع أقاربه التفت الشيخ ميلادة إلى من حوله من رجال وشباب وقال: (وين الشباب) وما هي إلا فترة حتى تجمع حوله عشرات الشباب ووضعوا أنفسهم تحت تصرف شيخهم، وعندما رأى الرجل الطنيب تأزم الموقف وإصرار الشيخ على إعادة الحق إلى صاحبه، توسل الرجل إلى الشيخ أن يتريث فيما نوى.

وفي هذه الأثناء حدث أن سمع أقارب الرجل وما نوى أن يقوم به الشيخ ميلادة حتى أسرعوا إلى ساحة الزبالحة وهم يحملون واجب العادات المرعية من سكر وقهوة وفي الساحة أعلنوا عن تراجعهم عمّا نووا عمله مع قريبهم وأملاكه، في ساحة الزبالحة مزقوا سند التنازل الذي سبق وأن أرغموا قريبهم طنيب الزبالحة على توقيعه مع الوعد بعدم التعرض لهذا الرجل، وعليهم في ذلك وجه الشيخ يعقوب ميلادة، وهكذا عاد الرجل مع أقاربه وعاد الصفاء بينهم وبينه.

بطولة فتاة بيتلحمية

(شمعة) فتاة بيتلحمية عزباء وهي حفيدة مسلّم الجد وهو أخو موسى وكلاهما أنجال جاسر بن فرح مؤسس حارة الفراحية. تعوّدت (شمعة) قبل أيام من قطاف الزيتون في بيت لحم أن تتوجه في كل يوم إلى موقع واد مسلّم لحراسة زيتون أهلها من السرقات إلى

أن يحين موعد قطافه ثم تعود إلى البيت مع غياب الشمس. وفي أحد الأيام كما يذكر الخلف عن السلف وبعد الغروب بقليل فيما كانت (شمعة) تقوم بحراسة الأرض كعادتها داهمها جندي تركي كان في دورية في تلك الأنحاء ولما شاهد (شمعة) هذه وحدها حاول الاعتداء عليها إلا أن شمعة لاطفته إلى أن تمكنت من مقتله بضربة عصاً كانت تحملها على رأسه قبل أن ينال منها، وبعد قتله ركبت حصانه ورجعت إلى بيت لحم وهي تزغرد في طريق عودتها وتقول بصوت مرتفع خيبّت أمله لقد قتلته فلمّا سمع الأهلون في ذلك الجوار صوتها قالوا: (لمن تردح هذه الابنة). وبعد استطلاع الأمر تأكدوا مما فعلت فراحوا ينادونها (بشمعة الدردحية) وهكذا بعد أن تزوجت شمعة من أحد أقاربها من آل مسلّم وانجبت بقي لقب دردحية يلازمها ويلازم زوجها وأولادها.

مقتل والدة قائم مقام بيت لحم التركية

بعد أن أعلنت الحكومة التركية الدستور التركي عام ١٨٧٦م وعينت بموجبه حكاماً وقائم مقامين ومديري نواح من أجل استقرار الأوضاع والحكم في البلاد، هذا ولما كانت بيت لحم رأس قصبة رغم ارتباطها بالقدس في كافة نواحي حياتها فقدً عينت لها الحكومة مديراً شاباً في مطلع شبابه فجاء مع والدته وسكن معها في بيت لحم في بيت يقع في موقع كنيسة السريان الأرثوذكس وراح هذا المدير يدير شؤون المنطقة برعونة وطيش لم يرتح لها سكان بيت لحم فاختل بذلك توازن المنطقة وطمأنينتها، فتذمر السكان في بيت لحم من طيش هذا المدير ونزواته، فقد أهمل شؤون المنطقة وأصبح أمرها في فوضى ضجّ معها السكان، إلا أن المدير لم يعد يهتم بأمور المنطقة وإصلاح أمورها وكان جلّ همه هو الوقوف في الشوارع والطرقات لا سيما أيام الآحاد والأعياد حيث يتقاطر الناس على الكنائس للصلاة يراقب الذاهبين للكنائس والخارجين منها بمنتهى الرعونة.

تقزز الأهالي في بيت لحم من تصرفاته الرعناء ولم يعد بوسعهم تحمل هذه التصرفات أو السكوت عليها فاضطرهم الحال إلى مراجعة السلطات المسئولة عنه في القدس إلا أن هذه صمّت آذانها عن سماع شكاوي الشعب العديدة ضد تصرفات هذا المدير الأمر الذي دفع رؤساء الحمائل في بيت لحم أن يجتمعوا فيما بينهم للبحث عن وسيلة تخلّصهم من هذا المدير التركي الأرعن، وفي اجتماع عقده ممثلو حارات بيت لحم اجمعت كلمتهم فيه للتخلص من هذا المدير ولو بقتله، وبعد هذا القرار الجماعي وقع اختيار ممثلي الحارات على أحد شبان بيت لحم ممن يعتز بنفسه ويعتبره شباب المدينة شيخ شباب ليقوم بمهمة تخليص بيت لحم من هذا المدير، ولم يتجاوز عمر هذا الشاب ٢٥ عاماً وقد بلغ أمر قرار ممثلي الحارات إليه واسم هذا الشاب هو مسلّم يعقوب مسلّم.

قام هذا الشاب بدراسة الموقف وموقع سكن هذا المدير والطريقة التي يؤدي فيها المهمة التي ألقيت على كاهله، وفي ليلة حددها هذا الشاب بنفسه تسلق جدار البيت الذي يسكنه هذا المدير مع والدته ومن نافذة غرفة نومه أطلق عليه هذا الشاب النار فيما كان

المدير نائماً كما كان الشاب يعتقد ولكن ظهر فيما بعد أن النار أطلقت على والدته فأرديت قتيلة إذ تبين فيما بعد أن المدير كان في سهرة فأصاب الرصاص والدته.

وعلى أثر هذا الحادث ترك الشاب مسلّم بيته وأهله وبلده وفرّ هارباً إلى مدينة السلط إلى أن تزول غيمة هذا الحادث ومن السلط توجه إلى مدينة الكرك وأقام فيها حيث مات فيها عام ١٩١٦م ودفن في مقبرة حارة الصنّاع، وبعد هذا الحادث اضطرت الحكومة أن تستدعي هذا المدير وتقرر نقله وعينت مكانه مديراً جديداً عرف فيما بعد بالمثالية فاستقامت الأمور في بيت لحم بسبب سهره على سلامة السكان وأمنهم في المنطقة.

بيت لحم، نشرة تصدرها الجمعية الأنطونية الخيرية البيتلحمية، بيت لحم ١٩٩٣ - ١٩٩٦، ص ٢٣ – ٢٥.

صفحات

من كتاب «بيت لحم في بطون التاريخ وعلى ألسنة الرحالة والمؤرخين»

بقلم: أيوب مسلّم يعقوب مسلّم

هنالك أحداث كثيرة وهامة تمت قديماً في بيت لحم، ولا سيما في كنيسة المهد، حيث أهمل المثقفون في بيت لحم تدوينها، كما تداولتها ألسنة الخلف عن السلف ولمّحت إليها بعض كتب أدلة السياحة التي كتبها بعض الرحالة ممن زاروا مدينة بيت لحم، كما لمح إليها المرحوم خليل إبراهيم قزاقيا في كتابه الكنيسة الأورشليمية.

وخوفاً من اندثار آثارها وانقطاع تواترها بين أهالي بيت لحم، واضمحلالها في طي النسيان وحرصاً مني على إحياء تداول هذه الأحداث، رحت منذ عام ١٩٣٤ اتقصى أمرها على ألسنة المعمرين من أجدادنا الأحباء في بيت لحم، ودونت الكثير من هذه الأحداث والفعاليات البيتلحمية في كتابي:

«بيت لحم في بطون التاريخ وعلى ألسنة الرحالة والمؤرخين»

هذا الكتاب الذي ما زال تحت التأليف يشمل كافة هذه الأحداث، وكذلك الفعاليات البيتلحمية سواء أتمت في بيت لحم أم بين أبنائنا المغتربين في ديار المهجر، وإليكم إحداها كما رويت لي على ألسنة الكثير من المعمرين في بيت لحم:

«قال معظمهم، حدث في البلاد زلزال عنيف قبل الحادث التالي بسنوات هز بيت لحم وأحدث رعبا في صفوف سكانها لشدته، التجأ خلاله السكان إلى الصلاة، طالبين من اللّه أن يجنبهم شره، وفيما كان السكان في صلاتهم هذه، ظهرت العذراء مريم في كنيسة المهد واتكأت بإحدى يديها على أحد أعمدة الكنيسة فهدأ الزلزال وقد تركت أصابع يدها الخمسة، خمسة ثقوب في هذا العمود وما زالت هذه الثقوب حتى أيامنا هذه، وفي حوالي ١٤٦٦ كانت البلاد تقع تحت حكم السلطان المملوكي الظاهر بيبرس وقد قسى هذا السلطان في أحكامه على المسيحيين فطرد منهم من طرد وسلب كنائسهم وقتل منهم كثيرين، ومما يدلل على تماديه في ظلمه وحبه للسلب والنهب أن أمر جنوده بالتوجه إلى كنيسة المهد في بيت لحم لسلب نفائسها ثم هدمها بعد ذلك، وعندما دخل الجنود الكنيسة وحالوا

سلب نفائسها وهدمها، خرجت عليهم أعداد كبيرة من الدبابير من خمسة ثقوب في أحد أعمدة الكنيسة، فهاجمت الجنود بصورة شرسة وأمعنت في لسعهم مما اضطرهم الحال إلى الهرب من الكنيسة، غير أن هذه الدبابير لاحقتهم حتى قوس الزرارة، الذي أخذ اسمه الحالي من حادثة هذه الدبابير، فحاصرتهم في هذا الموقع الضيق وضاعفت من لسعهم، وبكل جهد تمكن هؤلاء الجنود من الهرب من هذا الموقع إلا أن الدبابير ما زالت في أثرهم إلى أن وصلوا إلى موقع رأس فطيس، وفي هذا الموقع كما يذكر الخلف عن السلف فطس كثير من الجنود -أي ماتوا- نتيجة لسع الدبابير فدعي هذا الموقع حتى يومنا هذا برأس فطيس، وقد تولى الأهلون نقل الجثث إلى موقع القرقفه ودفنوها، والقرقفة في اللغة الآرامية معناها مقبرة الجثث أو الجماجم.

وعندما سمع السلطان بيبرس بما حدث لجنوده في كنيسة المهد، وفي كنيسة العذراء في قرية عابود قضاء رام اللّه بأعجوبة الدبابير في كلا الكنيستين، أصدر أمره إلى ولاته بالتوقف عن اضطهاد وقتل المسيحيين وعدم التعرض لكنائسهم وأن يسمحوا للمسيحيين الذين طردوا من مدنهم بالعودة اليها، وهكذا عاد من الشوبك وادي موسى فرح جد حارة الفرحية في بيت لحم وفيها أنجب أربعة أولاد هم جاسر، غانم، سلامة ومخلوف، ومن أفخادهم تتألف عائلة الفرحية اليوم.

من مفاخرنا
بيتلحميون في الشتات

في مطلع عام ١٨٥٤م وعلى أثر النجاح الذي لاقاه أبناء بيت لحم جراء عرض صناعات بيت لحم في المعارض الدولية في أمريكا الشمالية، والتي جنوا من خلالها الأرباح الطائلة.

فقد حمل المواطن البيتلحمي السيد جورج يوسف أبو العراج منتوجات بين لحم من تحف دينية، وتوجه بها مع زوجته سارة داود إلى جمهورية غواتيمالا، وفيها أصاب ثروة من بيع هذه التحف في أسواقها، وبعد هذا النجاح الذي أصابه قرر البقاء في تلك البلاد، واشتغل فيها بالتجارة حيث أصاب ثروة طائلة، طارت مع نجاحه هذا شهرته في تلك البلاد بالإضافة إلى مواقفه الجليلة في مساندة مشاريع الحكومة والمساهمة في كافة مشاريع البلاد الخيرية والثقافية والاجتماعية.

وقد برز في حياة تلك البلاد ولده سلفادور «عيسى» لا سيما في حياة البلاد العسكرية حتى اعتبر فيها بحق الحاكم الثاني في تلك البلاد بجانب رئيس جمهوريتها.

وقد أنجب السيد جورج أبو العراج بالإضافة إلى ولده سلفادور ثلاث بنات هن كاترين وعفيفة وروز. وقد تزوجت كاترين من ابن بيت لحم المغترب في تلك البلاد السيد جبرائيل الجبرية وعفيفة تزوجت من خليل داود ابن بيت لحم ويملك هذا المواطن قصراً في عاصمة الجمهورية ويعتبر من أفخم قصور العاصمة وأفخمها هندسياً، ومعمارياً، حيث أصبح الآن ملتقى رجالات تلك البلاد وحكامها بالإضافة إلى أبناء الجالية العربية.

أما المغترب السيد جورج الزميري فهو من كبار الملاكين والصناعيين في تلك البلاد ويتبوأ مركزاً سياسياً بالإضافة إلى كونه مستشاراً للحكومة ويتمتع بنفوذ كبير، بفضل كرمه وسخائه في مساندة مشاريع تلك البلاد على اختلافها.

بيت لحم، نشرة تصدرها الجمعية الأنطونية الخيرية البيتلحمية، بيت لحم، ١٩٨٧، ص ٩- ١١

تنبؤات حول مولد السيد المسيح

من كتاب «بيت لحم في بطون التاريخ وعلى ألسنة الرحالة والمؤرخين»

بقلم: أيوب مسلّم يعقوب مسلّم

لقد درج الكتاب المسيحيون الأوائل وبخاصة السريان منهم بالرغم من معرفتهم آنذاك أن زارادشت لا ينتمي إلى الشعب اليهودي منذ اعتبره الشعب اليهودي نبياً قبل قيام المسيحية، وقد استخدمه اللّه سبحانه لينشر بين الوثنيين عقيدة مجيء المسيح لذلك نجد كثيراً من الروايات الطريفة حول عقيدة المخلص الفارسي، وهكذا نجد في إحدى المخططات زعماً يقول: لقد قام في عهد النبي موسى رجل يدعى زارادشت وكان هذا يعلم المبتدئين من تلاميذه قرب عين ماء ويقول لهم أن فتاة ستحمل دون رجل وسوف يصلب اليهود هذا المولود بعد أن يكبر وذلك في المدينة المقدسة مدينة ملكي صادق، إلا أنه سيقوم من الأموات ويصعد إلى السماء وكعلامة لولادته ستشاهدون في الشرق نجماً ولكنه ليس بالحقيقة نجماً إنما ملاك يلمع بأشد من خباء الشمس ومن نجوم السماء وعندما ترونه أسرعوا إلى بيت لحم لتعيدوا هذا المولود الجديد وتقدموا له الهدايا.

ويتابع هذا الكاتب السرياني «تيودور بأقوناي» قائلاً حدثت في القرن الثامن قبل الميلاد الرواية التالية: بينما كان زارادشت جالساً قرب نبع مياه، أخذ يخاطب تلاميذه الثلاثة قائلاً: يا أبنائي الأحباء، ها أنا أكشف لكم سراً عجيباً عن العام الآتي في مستقبل الأجيال ففي آخر الزمان المحدد للمجيء سيحمل طفل في أحشاء فتاة عذراء دون أن يلمسها رجل وهو أشبه بشجرة جميلة مثمرة عالية في صحراء قاحلة ويثور على هذه الشجرة سكان الأرض ويحاولون اقتلاعها من تربتها ولكنهم باطلاً يفعلون إلا أنه فيما بعد يقتل هذا المولود ويعلق على خشبة فتلبس السماء والأرض ثوب الحداد لموته وتنوح عليه جميع الشعوب، وبعد أن يهبط إلى أعماق الأرض سيرفع إلى العلاء ثم يشاهد راجعاً منتصراً بجيش من النور وراء كتائب غيوم بيضاء. هذا المولود سينحدر من نسلي من أسرتي، أنا هو وهو أنا، هو فيّ وأنا فيه، وإن علامات باهرة ستشاهد في السماء مبشرة بمجيئه، فيلمع نجمه ويكسف نوره الساطع ضياء الشمس. يا بني أنتم الزرع الحي وقد زرعتم في حقول النور، انتظروا النهاية المحدودة وعندما يظهر النجم المبشر بمجيء الملك العظيم، ابعثوا رسلاً يعبدونه ويحملون إليه الهدايا وإياكم أن تزدروه لأنه ملك الملوك وهو وأنا واحد وإن إكليل الملك أي اكليل الشوك الذي سيضع على راسه سينسج من جذوع وأغصان شجر الزعرور الذي يكثر وجوده في البلاد.

مولد المسيح عليه السلام

في السنة التي مات فيها هيرودس ولد في بيت لحم السيد المسيح، وكانت ولادته في مغارة تقع إلى الشرق من بلدة بيت لحم بعد أن لم تجد العذراء مكاناً لها ولخطيبها يوسف البار في خان «كمهام» الجلعادي وهو رجل أصله من جلعاد «أي السلط» جاء به شاول الملك إلى بيت لحم وأسكنه فيها حيث فتح الجلعادي خانه الذي عرف بخان «كمهام» وكان موقعه في العمارات التي كانت تقوم عليها دور آل مسلم «في ساحة المهد قبل توسيعها وقرب الجامع العمري» أي جامع عمر بن الخطاب «في بيت لحم»، وكان موقع هذا الخان على طريق القوافل المتجهة إلى عين جدي يأوي إليه أصحاب القوافل.

قال القديس متى: إن المسيح ولد في عهد هيرودس، وأما القديس لوقا فقال ولد المسيح في الوقت الذي أعلن فيه عن وجوب تسجيل النفوس، بحيث يسجل كل إنسان نفسه في بلده وكان ذلك في العام السادس للميلاد ويؤكد بعض الآباء هذا التاريخ لميلاد المسيح وهنالك من يقول إن تاريخ ولادة المسيح كان في شهر تشرين الثاني من العام السادس بعد الميلاد، وآخرون يقولون كان ميلاد المسيح في شهر آذار ومنهم من قال كان ميلاده في شهر نيسان من العام السادس للميلاد.

وأما القديس مرقص وكذلك القديس يوحنا فإنهما لا يعتقدان أن المسيح ولد في بيت لحم بل ولد في مدينة الناصرة ولهذا يدعى بيسوع الناصري، وإنه جليلي أي من منطقة الجليل شمال البلاد الفلسطينية غير أن الواقع يعكس هذا القول لأن هرب المسيح مع والديه يوسف ومريم إلى مصر كان من بيت لحم ثم قتل أطفال بيت لحم بسبب ذلك وكذلك ذهاب المجوس الثلاثة إلى بيت لحم لتقديم هداياهم للمولود كل هذه الأدلة تثبت على أن المسيح ولد في بيت لحم حيث جاء يوسف ومريم ليكتتبا في بلدة بيت لحم. أما عندما عاد يسوع مع والديه من الهرب إلى مصر، فقد عادوا إلى الناصرة وليس إلى بيت لحم ذلك خوفاً على حياة يسوع من «اركيلاوس» الذي يحكم منطقة بيت لحم ولأن الناصرة كانت آنذاك تحكم من قبل الملقب بالثعلب ولأن مسكن يوسف ومريم الأصلي كان في مدينة الناصرة.

ويروى أنه بجانب المغارة التي ولد فيها المسيح في بيت لحم نبتت ثلاث شجرات هي شجرة صنوبر وشجرة نخل وشجرة زيتون، وفي تلك الليلة المباركة ظهر نجم بيت لحم الذي أنبأ العالم بميلاد المسيح الذي أفرح الطبيعة كلّها فرحاً عظيماً وزينت كل شجرة فروعها بأنواع الزينة وحملت كل شجرة الهدايا للمولود السيد فقدمت له شجرة الزيتون ثمرها الذهبي اللون وقدمت شجرة النخيل ظلها لتقي المولود الجديد من عواصف الشتاء، وأما شجرة الصنوبر فقد أشكل الأمر عليها إذ أنها لم تجد ما تقدمه هدية للطفل فذبلت أغصانها وانهمرت دموعها وفيما هي على تلك الحالة الكئيبة ظهر في السماء نجم ولما رآها على ما هي عليه من كآبة بهرته تلك الأعجوبة وأخبر رفاقه بذلك، وهكذا لم تمض فترة حتى انهالت جيوش الشهب على شجرة الصنوبر أي اشتمل وتمركز كل

شهب على ورقة من أغصانها وفي الحال انتصبت شجرة الصنوبر بأغصانها الملتوية الذابلة وهي ترقص فرحاً وظهرت أمام العالم بضيائها الباهر ومنذ ذلك الوقت راح الناس يزينون شجرة الصنوبر بالشموع والأنوار لدى حلول عيد الميلاد، وهذه كلها أساطير ذكرت في بعض الكتب وندوّنها هنا إظهاراً لبهجة الطبيعة بمولد المسيح له المجد.

بيت لحم، نشرة تصدرها الجمعية الأنطونية الخيرية البيتلحمية، ١٩٩٧ – ١٩٩٨، بيت لحم، ص ١٧ - ٢٠

العذراء مريم سيدة بيت لحم الأولى

من كتاب «بيت لحم في بطون التاريخ وعلى ألسنة الرحالة والمؤرخين»

بقلم: أيوب مسلّم يعقوب مسلّم

شيء من حياة العذراء مريم

الحمل بالعذراء: قال الإمام البيضاوي، حملت بها أمها حنة العجوز العاقر بمعجزة، فبينما كانت حنة جالسة تحت ظل شجرة، رأت طائراً يطعم فرخة، فحنت حنه إلى الولد وتمنته. وقالت: اللهم إن لك علي نذرا إذا رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمتة فحملت بمريم، وقالت حنة زوجة يواكيم (أو عمران بالقرآن الكريم) ربّ إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم.

والعذراء هي ابنة الشيخ يواكيم بن «ناربافير» وأمها حنه ومعناها «العابدة» وكانت معصومة من الخطيئة لدى ولادتها مريم، وتكلمت مريم لدى ولادتها كما تكلم المسيح.

ففي اليوم التاسع من شهر كانون الأول، من السنة السابعة عشر قبل ميلاد المسيح بشر ملاك الرب حنة بابنة على أن تنذرها للّه.
وفي اليوم الثامن من شهر أيلول من السنة السادسة عشر قبل ميلاد المسيح ولدت مريم في أورشليم القدس في مكان يدعى اليوم «بدير الصلاحية» دون أن يكون للشيطان من سبيل إليها وذلك بعد موت والدها يواكيم. فلفتها في خرقة وحملتها إلى الهيكل ووضعتها عند الأحبار وقالت دونكم هذا النذر، وراح بعد ذلك الأحبار يتنافسون عليها إلا أن زكريا قال للأحبار: أنا أحق بها من دونكم لأن خالتها عندي ولكنهم رفضوا ذلك وطلبوا القرعة.

وعلى الفور انطلق التسعة والعشرون حبرا إلى نهر الأردن وألقوا أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة، على أن من يثبت قلمه في الماء ثم يصعد، فهو أولى بها، فثبت قلم زكريا ثم صعد، فأخذها وبنى لها غرفة في قدس الأقداس، وجعل بابها في وسطها العلوي، لا يستطيع أحد أن يصعد إليها غيره وبسلّم، وسمى الغرفة المحراب لأنه محل محاربة الشيطان، وحينما كان يخرج لبعض أموره كان يغلق عليها سبعة أبواب لئلا يدخل عليها غيره. وكان طعامها يأتيها من السماء، وقد اهتم الكاهن الأكبر الوقور زكريا بتربية مريم وتثقيفها حسب أصول الدين.

ولما بلغت مريم أخذ الكهنة يتشاورون فيما بينهم في كيفية تصرفهم مع مريم بدون أن يغضبوا اللّه سبحانه، وحيال هذا فقد لجأ الكهنة كما قال القديس إيرونموس إلى تابوت العهد بصلوات حارة وسألوا الرب سبحانه أن يظهر لهم الرجل الأهل لكي يعهد إليه بالعذراء مريم ليصونها ويحفظ بتوليتها تحت مظهر الزواج.

وبصوت من الرب سبحانه كما يذكر ذلك المؤرخون في سير أبطال الإيمان وتاريخ الكنيسة البيزنطية وأعمال الرسل، أمر الكهنة بأن ينتخبوا رجالاً من قبيلة داود التي منها العذراء بالذات ممن لا نساء لهم، ويضعوا عصيهم على مذبح الرب ليسلموا مريم لمن تزهر عصاه منهم، فاختار زكريا رئيس الكهنة اثني عشر رجلاً من الأتقياء الطاعنين في السن ولا نساء لهم. ووضع عصيهم على مذبح الرب ليلاً وراح يصلي على مسمع من جمهور كبير حتى مطلع الفجر قائلاً:

«أظهر أيها الرب الإله الرجل الذي يستحق أن يخطب العذراء مريم»

وفي الصباح دخل رئيس الكهنة والكهنة والاثنا عشر رجلاً إلى الهيكل فرأوا أن عصا يوسف قد أزهرت عندها خضع يوسف لمشيئة اللّه وخطبت له مريم أي عهد اليه بمريم ليصون بتوليتها، وكان يوسف هذا أقرب الأقارب إلى مريم وكان عمره آنذاك فوق الثمانين سنة من عمره، وكان رجلاً أرملاً وله ستة أولاد من زوجته «كلاوبا» المتوفاة وهم: يعقوب، ويوسي، وشمعون، ويهودا، ومريم، وسالومه.

وفيما كانت العذراء في أورشليم تراقب ولدها يسوع وهو يعلم في الهيكل زارها العلّامة الاثينائي الشهير «ديونيسيوس» الأريوباغي نسب إلى أريوس باغوس وهي الحكمة العليا عند قدماء اليونان، وقد أقامه بولس الرسول أسقفا على بلاد اليونان وبعد أن سمع هذا الكثير عن أمجادها، وفضائلها وطهرها فأعجب بها وبكمالها وتواضعها وتقواها حتى آمن برسالة المسيح وارتد إلى دينه، وأصبح من أشجع المدافعين عنه وتبعه في ذلك كثيرون من مواطنيه.

وبدعوة من القديس اليعازر الذي أقامه السيد المسيح من الموت بعد أربعة أيام من وفاته، زارت العذراء مريم جزيرة قبرص، وفيما كانت في طريقها إليها رست السفينة التي كانت تقلها عند جبل «أثوس» وكان هذا الجبل يضيق بمعابد الأوثان وأصنامها، فما كادت العذراء تصل إلى هذا الجبل حتى تداعت معابد الأوثان وتحطمت أصنامها، وما أن رأى الناس هذا حتى آمن جميع سكان الجبل برسالة المسيح واعتنقوا دينه، ومنذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا أصبح هذا الجبل يعج بالأديرة والكنائس والرهبان.

وبعد أن مكثت العذراء مدة فوق الجبل عادت وتابعت سيرها إلى قبرص واجتمعت فيها ببعض الرسل وبالكثيرين من الذين آمنوا برسالة المسيح، ومن قبرص زارت «افسس» حيث كان القديس يوحنا الحبيب متعبداً فيها ثم عادت بعد ذلك إلى أورشليم بصحبة القديس يوحنا اللاهوتي.

وعندما قرب أجل العذراء تمنت على اللّه أن تشاهد أولادها بالنعمة أي الرسل الأطهار الذين كانوا متفرقين في كل الأقطار، فإذا بالسحب تختطفهم بغته وتجمعهم بالأم البتول في قرية الجسمانية ففرحت بلقائهم ثم ماتت بعد ذلك عن ستين عاماً من عمرها.
وفيما كان التلاميذ يحملون نعش العذراء مريم لدفنه في مغارة بستان الجسمانية فإذا بأحد اليهود من عشيرة الكهنة اسمه «اشناس» تجاسر حسداً وكراهية ومد يديه إلى النعش عند حمله إلى القبر قاصداً بذلك قلبه على الحضيض، فاذا بسيف غير منظور يقطع يديه الاثنتين الأمر الذي أخاف اليهود لدى رؤيتهم لهذا المشهد فآمن كثيرون منهم بدين المسيح حتى هذا الكاهن اليهودي قد آمن هو الآخر بدين المسيح، فشفيت يداه بعد إيمانه وأصبح من جنود الرسالة المسيحية ونشرها بين الناس.

أما في مدينة بيت لحم ففيها تقليد درج الناس عليه، حتى أصبح مع الزمن عرفاً وعادة تداوله الناس حتى يومنا هذا ولا يجوز الرجوع عنه. ويقال في هذا التقليد أن العذراء عندما ولدت المسيح كان عمرها آنذاك خمسة عشر سنة ونصف السنة، فاذا أضيف عمر المسيح لدى موته وهو ثلاث وثلاثون سنة إلى عمر العذراء عند ولادتها للمسيح يكون حاصل هذ الجمع هو ثمانية وأربعون سنة ونصف السنة.
وإيمانًا من أهالي بيت لحم بذلك فقد درجوا على أن يدفع كل شاب يريد الزواج أن يؤدي لدى زواجه مبلغ ثمانية وأربعين قرشاً ونصف القرش إلى خوري الرعية إن غربياً كان أو شرقياً ليضيء بثمن هذا المبلغ شموعاً أمام العذراء مريم أو أيقونتها.

أما المدة التي قضتها العذراء مريم مع يوسف والطفل الإلهي في مصر بعد هربهم إليها من بيت لحم من وجه هيرودس الذي قرر قتل الطفل فقد كانت سنتين وستة أشهر. ومنهم من يقول حسب مجلة اللقاء العدد الثاني السنة الثالثة سنة ١٩٨٨ صفحة ١٦ أن جسد مريم العذراء دفن في جبل كورسوس قرب أفسس، بعد عودتها من زيارة قبرص. ويقال كذلك حسب هذه المجلة، إن الرسول توما وصل إلى أورشليم متاخراً عن موعد الاحتفال بدفن جثمان العذراء ورغب أن يرى مرة أخرى قسمات والدة الإله، ولما فتح القبر، وبدل أن يرى توما جسد العذراء، وجد باقة من الزهور ورائحة عطرة عجيبة تنبعث من القبر.

طرفة عن نبتة الميرامية أو المريمية

تقول التقاليد المتداولة بين الناس إنهم ينظرون إلى هذه النبته نظرة إكبار وتقدير واحترام لأنهم يعتقدون أن اسمها راجع إلى أم العذراء مريم، إذ يؤمنون بأنه فيما كانت العذراء مريم في طريق هربها مع يوسف والطفل يسوع إلى مصر من وجه الملك هيرودس

الذي قرر أن يقتل الطفل، جلست العذراء تستظل وتستريح بعد أن ارهقها التعب وذلك تحت شجرة وارفة الأغصان ثم مدت يدها إلى نبته كانت بقربها وجمعت بعض أوراقها ومسحت بها وجهها لتزيل عنه العرق، ولما شمت رائحتها الطيبة باركتها إلى الأبد، ومن ذلك الوقت أخذت هذه النبتة تدعى مريمية أو ميرمية، ويستعملها الناس الآن للشفاء من بعض أمراضهم بعد غليها وشرب مائها.

العذراء مريم ويراعة الحباحب أو سراج الدودة

هنالك أسطورة تقول:
لما ولد المسيح في مغارة بيت لحم، كانت العتمة حالكة آنذاك إلى درجة لم تتمكن معها العذراء من لفلفة الطفل يسوع بالأقمطة الأمر الذي أوقع العذراء في حيرة من أمرها، مخافة أن يتسلل البرد إلى جسم الطفل الطري المتورد.

وتصادف آنذاك أن كان بين القش الذي وضع عليه الطفل في المذود حشرة صغيرة تسعى ذات قلب طيب رقيق، وما أن رأت قلق العذراء وحيرتها على طفلها حتى تحركت أحشاؤها شفقة وحناناً على الطفل. فراحت من توها تسعى في أنحاء المغارة طمعاً في ركن دافىء فيها لتقي نفسها من لسعات البرد القارس. فتوجهت في سعيها حيث العذراء وتعلقت بأهداب ثوبها، وتابعت سعيها إلى أن وصلت إلى ركبة العذراء ومن فوق ركبتها صوبت هذ الحشرة ضوءها على الطفل يسوع، بحيث مكنت العذراء من لفلفة الطفل يسوع بالأقمطة.

وعندما سطعت هذه الحشرة بضوئهاعلى وجه الطفل يسوع تبادلت العذراء معه ابتسامة تدفقت منها الأنوار السماوية، وصدحت بعدها الملائكة بنشيد السماء:

«المجد للّه في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة»

وعندما أدار الطفل يسوع وجهه نحو الحشرة المضيئة قال لها أيتها الحشرة المباركة إني منذ الآن أهبك شعاع القمر كما جلبت لي ولأمي شعاعك، ومن الآن فصاعداً تحملين هذا الضوء المبارك يشع من جسمك ليضيء طرق عبادي أينما كنت وحللت.

بيت لحم، نشرة تصدرها الجمعية الأنطونية الخيرية البيتلحمية، بيت لحم ١٩٨٨، ص ٣٦ – ٤٢.

هؤلاء الرحالة، والمؤرخين، والسياح، ورجال الدين، والنساك زاروا بيت لحم وقالوا عنها

فصل من كتاب «بيت لحم في بطون التاريخ وعلى السنة الرحالة والمؤرخين»

بقلم: أيوب مسلّم يعقوب مسلّم

عام ٢٢٨م زار بيت لحم السائح أورورجنيس عدة مرات وكتب في وصف بيت لحم يقول:

«عندما تكون في بيت لحم فسكانها أنفسهم يدلونك على المغارة التي ولد فيها المسيح والمذود الذي فيها، حتى الكفرة منهم يدركون أنه في هذه المغارة ولد الذي يحترمه المسيحيون»، وقال: «قد جئت بنفسي إلى هذه البلاد لأتقصى آثار المسيح وخطوات تلاميذه».

عام ٢٤٨م زار بيت لحم السائح تيرتريان وقال:

«لم يبق في بيت لحم من نسل اليهود سوى خمسة إخوة سبق وأن اعتنقوا الديانة المسيحية، والسبب في ذلك هو عدم بقاء اليهود في بيت لحم بعد رحيل الملك داود عنها أو لأن الإمبراطور هدريان منع بقاء اليهود وسكناهم في بيت لحم بعد ثورتهم عليه.

عام ٣٤٨م كتب يوسفوس المؤرخ اليهودي يقول:

«لقد ذهب تلاميذ المسيح واتباعه إلى بيت لحم ليقدسوها ويكرموها لانه فيها ولد سيدهم ومعلمهم المسيح ولأن بيت لحم أصبحت غالية على قلوبهم وقلوب جميع المسيحيين.

عام ٦٧٠م زار بيت لحم الأسقف غاليا أركولون وقال:

«إن بلدة بيت لحم بنيت على حافة تلة ضيقة تمتد حوالي ألف خطوة من الغرب إلى الشرق ويحيطها سور منخفض دون أبراج، وبيوت الأهلين تمتد بصفوف طويلة يخترقها طريق واحد. ويعيش سكانها على عائدات الحجاج الذين يزورونها الأمر الذي أوجد بين سكانها صناعات وحرف متنوعة تناسب ذوق الحجاج.»

الناسك جيروم، كتب هذا الناسك أخبار بيت لحم بنفسه إلى صديقه مارسيلاني في روما يقول:

«قرية المسيح كل شيء فيها هادىء ما عدا التسابيح التي تتصاعد من على جوانبها وحيث أدرت وجهك تسمع هذه التهاليل، فالرجل القابض على محراثه يصيح هاليلويا، وحارس الكرم يصرخ هاليلويا، والراعي يطرب أغنامه بإثارة مزامير النبي داود، هذه هي قصائد السكان وهذه أناشيدهم وأغاني الحب عندهم. بيت لحم بلدة جميلة مرتفعة وكلما افتقد الإنسان الجمال ولذات الدنيا ازداد في بيت لحم غنى روحياً وتعلقاً بالسماء.»

عام ٨٧٠م زار بيت لحم برنارد الحكيم وقال:

«إن المسلمين والمسيحيين في بيت لحم على تفاهم تام والأمن بينهم مستتب وإن المسافر ليلاً بين القدس وبيت لحم وغيرها من المدن عليه أن يكون حاملاً وثيقة تثبت هويته وإلا زج في السجن حتى يتضح أمره وعذره في أسباب عدم حمله وثيقة شخصيه.»

عام ١٣٩٥م زار بيت لحم المحامي مارتوني وقال:

«إن كنيسة الميلاد في بيت لحم كانت عظيمة وجميلة وبيت لحم قبل أن يخربها العرب المسلمون كان لها برج عظيم أمام بيوت جميلة الا أنها دمرت بكاملها. وتتألف بيت لحم الآن من ثلاثين بيتاً حقيراً يسكنها المسلمون والمسيحيون معاً، وتحيط بها أشجار زيتون كثيرة.»

عام ١٤٦١م زار بيت لحم لويز دي شيشوارت وقال:

«أخذ سقف الكنيسة يتساقط لأن العوارض التي تسند السقف قد نخرت، ورغم السنادات الخشبية التي وضعت لتمنع تداعي السقف فان العصافير والحمام تتطاير في أجواء الكنيسة من خلال فجوات سقفها المتداعي، ولما حاول الإمبراطور اليكس الرابع كومنينوس ترميم الكنيسة عام ١٤٠١ منعه ملوك المماليك من ذلك ومنعوا كذلك رجال الدين اليونان من الوصول إلى الأماكن الدينية، ومنعوا من تداول اللغة اليونانية في صلواتهم وأمروا باعتماد اللغة العربية لتحل مكان اللغة اليونانية في الصلوات، وبهذه التعليمات أصبح رجال الدين العرب هم أصحاب السلطة الدينية في البلاد، وقد دام هذا الحال ما يقارب الثمانين سنة.»

عام ١٤٨٣م زار السائح فليكس فابر بيت لحم وقال:

«لقد زاد سكان بيت لحم فقراً، ونهبت محتويات كنيسة المهد، وأصبحت الكنيسة عارية من كل زينة وجمال وأصبحت بيدراً بدون قش، وصيدلية بدون قوارير، ومكتبة خالية من الكتب.»

عام ١٧٣٢م زارت بيت لحم الرحال البحاثة توبلر وقالت:

«أمضيت وقتاً طويلاً في تقصي المعلومات عن بيت لحم ووجدت أن عدد سكانها ٧٠٠٠ نسمة غير أن الثورات القبلية الكثيرة والزعامات الدينية ضد سكانها المسيحيين ومرض الطاعون الذي انتشر فيها مثلما انتشر في باقي سكان البلاد قد قلل من سكانها بحيث أصبح عددهم ١٢٠٠ نسمة من الأرثوذكس و ٢٠٠ نسمة من الأرمن و٣٠٠ نسمة من الإسلام. وفي أواسط القرن السابع عشر فقد أخذ الناس يتوافدون عليها.»

عام ١٧٨٣م زار بيت لحم الرحالة الفرنسي كوستانس فولي وقال:

«بيت لحم هي المكان الأول الذي يجب أن يعيره الناس انتباههم، وتقع هذه المدينة فوق عدة تلال تربتها خصبة وهي من أجود الأتربة في العالم، والدليل على ذلك هو نكهة ثمار أشجارها، وعدد رجالها الذين يحملون السلاح دفاعا عن النفس هو ٦٠٠ رجل، وكثيراً ما يعلن أهالي هذه المدينة العصيان على أوامر حكامهم كلما رأوا في أوامرهم إجحافا بحقوقهم.

أما صناعات سكانها فانها تقوم على صناعة عجم الزيتون المزروع بكثرة في أراضيها بالإضافة إلى أشجار الكرمة وغيرها من الأشجار المثمرة، ويشتهر سكانها بإنتاج النبيد الأبيض ويعيش سكانها المسيحيون والمسلمون بانسجام وهم ينتمون للحزب اليمني المناوىء للحزب القيسي.»

عام ١٧٣٠م زار بيت لحم الرحالة بارتليت وقال:

«لقد أعجبت كثيراً بنساء بيت لحم لجمالهن الفتان وأخلاقهن العالية ومن حيوية وبحبوحة سكانها وما هم عليه من ذكاء فارط، وإن الحكم المحلي في بيت لحم لم يكن يستطيع السيطرة على الأهالي كما يجب.» وقال: «يذكرني شعب بيت لحم بالشعب الإسكتلندي الذي لا يرضخ للظلم وسيطرة الظالمين.»

عام ١٨٣٠م زار بيت لحم الرحالة روس غر وقال:

«لقد أعجبت بأهالي بيت لحم لا سيما نساؤهم، واشبههن بالعذارى لتقاطيع وجوههن الجميلة ونعومة بشرتهن وعيونهن السوداء وشعرهن الأسود والخروبي.»

عام ١٨٣٥م زار بيت لحم القس توماس هارت ديل هورن وقال:

«لدى زيارتي بيت لحم وجدتها مدينة فقيرة معظم سكانها من المسيحيين ولكنهم أقوياء وأشداء وحازمين يخشاهم الأتراك والقبائل المحيطة بمدينتهم ولدى كهنتها الأرثوذكس امتياز خاص بعمل الوشم التذكاري على أذرع السياح وأيديهم مقابل أجر.»

عام ١٨٣٦م زار بيت لحم الرحالة كنفليك وقال:

«إن العادات والتقاليد الإسلامية التي فرضتها الظروف الإسلامية على سكانها قد وضعتهم في عزلة من أمرهم أو بالحري في سجن حيث حرم السائح من كل بهجة أو بسمة سرور تعوّد أن يراها في وجوه أهالي بيت لحم، إن شعب بيت لحم شعب مرح يحب البهجة والمرح ولم تكن البسمات تفارق وجوههم قط.»

عام ١٨٤٢م زارت بيت لحم السائحة الألمانية بيفايفر وقالت:

«ركبت دابة في اليوم الثاني من شهر حزيران من القدس باتجاه بيت لحم وتحتاج المسافة رغم وعورة الطريق إلى ساعة ونصف لتصل إلى بيت لحم، أما المناظر التي كانت تشاهد أثناء الرحلة فقد كانت عظيمة وفريدة من نوعها، فأينما وقع بصرك ترى صخوراً جرداء وأرضاً قاحلة تتخللها أشجار الفواكهة على أنواعها من الكرمة وحقول الحبوب التي يمتد زرعها ببطء بين الحجارة، علما بأن هذه البقاع والجبال كانت يوماً مثمرة وجميلة وقد كانت كذلك قبل أن يمتص الباشوات وموظفو الدولة دم سكانها الفقراء وعددهم ألف وخمسمائة نسمة يعيش أكثرهم في كهوف ومساكن تحت الأرض ولا تزيد بيوتها عن مائة بيت.»

عام ١٨٤٤م زار بيت لحم الرحالة وليم كنج ليك وقال:

«تقع بيت لحم فوق تلال وعلى سفوحها وأحسن أيامها كان في عهد الحكم المصري بعد دخول محمد علي أرض فلسطين حيث تمتعت بالحرية والأمان، وفي هذا العهد ثار المسلمون الفواغرة مع من ثار من مسلمي منطقة بيت لحم على حكم إبراهيم باشا، حيث قام هذا بقتلهم وهدم منازلهم وهرب منهم من هرب، وابدى إبراهيم باشا إعجابه بأهل بيت لحم المسيحيين لما فطروا عليه من أخلاق وآدب وذكاء نادر ولما تتمتع به نساؤهم من أخلاق عالية وأدب جم ومن جمال فارط وحسن معشر الأمر الذي دفع إبراهيم باشا إلى محبة أهل بيت لحم ورعاية شؤونهم.»

عام ١٨٥١م زار بيت لحم الرحالة كارل تير وقال:

«تقع بيت لحم جنوبي القدس فوق تلتين وعلى مسافة ساعتين منها مشياً على الاقدام، ويقطن سكانها في سفوح التلتين يحدها جنوباً واد التعامرة ويحدها شمالاً دير مار الياس ويحدها من الشرق واد الجمل ثم حقل الرعاة وأما القسم الغربي لهاتين التلتين فانه يدعى الجلجل وفي سفوحهما من جهة الشرق تقع كنيسة المهد، ومناخ بيت لحم أكثر اعتدالا من مناخ القدس.»

وفي عام ١٨٩٥ زار بيت لحم الأستاذ الدكتور سب وقال:

«عدد سكان بيت لحم هو ثمانية آلاف نسمة منهم ٥٠ حجاراً و ٢٥٠ دقيق حجارة وتسعون عامل صدف ومسابح و ٣٠٠ مزارع وعشرة يتعاطون صناعة الألبان وتربية المواشي، ويستعمل أهل بيت لحم روث الحيوانات المجفف للمخابر والأفران والطوابين، ويتألف سكان المدينة من سبع حارات.» وقال سب: «كذلك توجد جالية بيتلحمية في بابل بغداد وجالية بيتلحمية أخرى في القاهرة بمصر.»

بيت لحم
والرحالة كلير برايس

في عام ١٩١٩م زارت بيت لحم الرحالة كلير برايس ونشرت مقالاً عن بلادنا لا سيما عن بيت لحم في مجلتين بريطانيتين هما مجلة العصر الراهن ومجلة الأرض والماء هذه ترجمتها عن الإنجليزية بتصرف.

قالت هذه الرحالة:

«لقد احتلت القوات البريطانية بيت لحم في أواخر عام ١٩١٧م وبيت لحم هذه هي التي جاء ذكرها في إنجيل القديس متى حيث قال: (صوت سمع في الرامة نوح وبكاء وعويل كثير، راحيل تبكي على أولادها ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين) وكما تنبأ بذلك النبي ميخا منذ ٧٥٠ سنة قبل ميلاد السيد المسيح عن بيت لحم التي سيخرج منها مدبر إسرائيل. وبقيت هذه المدينة محتلة عسكرياً من قبل القوات البريطانية حتى أواخر حزيران عام ١٩٢٠. وبعد أن تقرر مصير البلاد الفلسطينية من قبل الحلفاء بعد تصفية الإمبراطورية العثمانية فقد عينت بريطانيا التي انتدبت على فلسطين حاكماً مدنياً إدارياً بريطانياً لإدارة دفة شؤون البلاد وهو السر هربرت صمويل الذي راح يشرف ويدير دفة أمور البلاد أي فلسطين ابتداء من شهر تموز ١٩٢٠.

لم يكن لفلسطين قبل الحرب العالمية الأولى أية أهمية استراتيجية تذكر إلا أنها أصبحت كذلك بعد حدثين هامين حدثا قبل وبعد الحرب العالمية الأولى مباشرة. وهذان الحدثان هما:

أولاً: مد خط سكة الحديد العسكرية من مصر حتى مدينة حيفا، وقامت بمدها وإصلاحها القوات العسكرية البريطانية.

ثانياً: مد خط سكة الحديد الذي يصل ألمانيا ببغداد العراق فور الانتهاء من إكمال نفق جبال طورس الذي تمرّ منه سكة الحديد هذه.

وهكذا بعد هذين الحدثين أصبح لفلسطين أهمية استراتيجية عسكرية لأن الطريق المؤدي من فرنسا إلى بيت لحم كان طوله ٣٥٠٠ ميل أي من الهافر في فرنسا إلى بيت لحم إلا أن مد خطي سكة الحديد من ألمانيا إلى بغداد ومن مصر إلى حيفا قلصا المسافة إلى ٢١٠٠ ميل بين بيت لحم وباريس.

والذي يزور بيت لحم في أعقاب هذه الحرب العالمية الأولى فإنه يرى آثار الأتراك واضحة في بؤس الأهلين، ويشاهد الخنادق الطويلة الملتوية التي حفرها الأتراك في مختلف جهات بيت لحم لا سيما في جهات واد الراهب وذلك للدفاع عن أنفسهم ضد الإنجليز بعد أن سخّروا الأهلين في بيت لحم في حفرها.

ورغم البؤس الظاهر على وجوه أهالي بيت لحم فإن الزائر لها في تلك الآونة لا يرى سوى الأعداد الكبيرة من الجنود والضباط الإنجليز ويشاهد كذلك ثلاثة مطاعم أقيمت في بيت لحم لإطعام الجنود وخدمتهم.

بيت لحم مدينة مسيحية يسكنها سبعة آلاف مسيحي وخمسمائة مسلم وطبيب يهودي واحد يعمل في خدمة الحكم العسكري.

وفي عام ١٨٣٤م طرد إبراهيم باشا الفواغرة من بيت لحم ودمر حيّهم ذلك لأنهم قتلوا في قرية أرطاس قائداً عسكريا من قواده مع عدد من الجنود إبّان ثورتهم على إبراهيم باشا وكان هذا القائد عزيزاً جداً عليه.

مدينة بيت لحم عبارة عن خلية صناعية وزراعية، كان أهلها يعملون بنشاط من أجل الربح والكسب إذ كانوا يزرعون الحبوب على أنواعها وشجر الزيتون والكرمة والفواكه وينتجون النبيذ المشهور قبل أن تعرف الأسواق نبيذ مصانع ريشون ليزيون.

البيتلحميون في طبيعتهم ميكانيكيون ونجارون وبناؤون ونقاشون ويتقنون كذلك صناعة النسيج حيث تراهم في كل يوم يبكرون في الذهاب إلى القدس مشياً على الأقدام لبيع إنتاجهم في أسواق القدس ثم يعودون في المساء إلى بيت لحم مشياً على الأقدام كذلك، واكتسبت بيت لحم شهرة خاصة منذ القدم كونها كانت تُعرف «ببيت الخبز».

مئات من أبناء بيت لحم يهاجرون في كل شهر إلى أمريكا اللاتينية عن طريق «يافا – مرسيليا» بالبحر دون أن يعرفوا الجهة التي يسافرون اليها ويهاجرون إليها كفلاحين بألبستهم التقليدية والطربوش الذي يعلو رؤوسهم، وهكذا تراهم في كافة أقطار تلك البلاد الأمريكية وهم يحملون السلال على أكتافهم ملأى بالبضائع كباعة متجولين رغم قلة ذات اليد، ولكنهم بعد فترة من الكد والتعب يصبحون أصحاب أرصدة في البنوك ويملكون أحسن وأوسع المتاجر وأجملها وبعد حين أي بعد عشر سنوات أو أكثر يعود بعضهم إلى بيت لحم بألبسة أوروبية مع برنيطة على رؤوسهم الأمر الذي يدفع الأقارب والجيران أن يخفوا للسلام عليهم واقتراض النقود منهم وينادونهم بـ «يا افندي».

أما نساء بيت لحم فلا يضعن حجاباً على وجوههن ويلبسن الثياب المطرزة بالقصب والحرير ويضعن على رؤوسهن قبعة تسمّى «الشطوة» التي أخذ عنها الصليبيون في القرون الوسطى كما تقول كلير.

قبل الحرب كانت هذه الشطوة تزيّن بالنقود الذهبية الإفرنسية التي كانت تعرف بالنابليون، وإبان الحرب فقد اختفت هذه النقود عن الشطوة لأنها بيعت وصرفت في سبيل الحصول على لقمة العيش التي كانت نادرة آنذاك. وكان ينظر إلى سيارة «مرسيدس بنس» التي تقف أمام سرايا الحكومة بأنه شيء حضاري غريب راح السكان يقفون للتفرج عليها باندهاش.»

قالت الرحالة كلير بأن الحكم العسكري قال لها:

«إن الحكم في البلاد هو حكم عسكري وسوف يبقى كذلك إلى أن يقرر الحلفاء مصير فلسطين والإمبراطورية العثمانية وقد تم احتلال بيت لحم في شهر كانون الأول عام ١٩١٧م وعند دخول قواتنا العسكرية بيت لحم كانت شوارعها خالية كلياً من السكان وذلك لأن الأتراك حذروا الناس من الظهور في شوارع المدينة ومنعوهم كذلك من الاتصال بالإنجليز وهددوهم بالإعدام إن هم خالفوا تعليماتهم هذه. ولكن ما هي إلا فترة حتى تشجع الناس في بيت لحم وأخذوا يخرجون إلى الشوارع وكان عدد سكان بيت لحم قليلاً جداً بسبب من قتل منهم في الحرب ومن مات جوعاً ومن فتكت به الأمراض كالتيفوس والأمراض الأخرى وكان الجراد الذي قضى على مزروعاتهم أكبر نكبة لهم.»

ونتيجة للحالة السيئة التي وصل إليها أهالي بيت لحم وتسربت أخبارها إلى أبنائهم في المهاجر أخذ هؤلاء الأبناء يرسلون النقود بسخاء إلى ذويهم حتى وصل مجموع ما كانوا يرسلون شهرياً الى «١٢,٥٠٠» دولاراً (اثني عشر وخمسمائة ألف دولار). ولاستغلال هذه المبالغ التي أخذت ترد إلى بيت لحم شهرياً فقد سمح الحاكم العسكري للأهالي بتاريخ ٤ آذار ١٩١٨ بأن يؤلفوا لجنة منهم باسم «لجنة الإحسان والإغاثة» برئاسة السيد خليل دكرت وقامت هذه اللجنة بشراء الأطعمة والأدوية وتوزيعها على الأهلين كل حسب حاجته. وبعد ذلك سمحت إدارة الحكم العسكري بإعادة تنظيم البلدية برئاسة السيد صالح أفندي جقمان وهو أحد أبناء بيت لحم الذي كان مغتربا ثم عاد إلى مدينته وراح السكان يتقدمون بطلبات من أجل الحصول على رخص بناء وترميم، غير أن الحاكم العسكري كان حذراً في الموافقة على إصدار مثل هذه الرخص لكي لا يتعارض البناء مع التنظيم الهيكلي أي التاريخي لمدينة بيت لحم مشترطاً عليهم عدم استعمال الطوب الأحمر في البناء أو البناء على الطراز الغربي.

أما أبناء الطائفة الأرثوذكسية في بيت لحم فقد كانوا نصف سكان المدينة وتدار كنيسة المهد من قبل رؤساء الطوائف الثلاثة بموجب الحالة الراهنة «الستاتيكو» كما صدرت بها مراسيم خاصة من سلاطين الأتراك.

أما السّياح الروس الذين أقبلوا على زيارة بيت لحم فقد كانوا يسجدون بخشوع عظيم في المغارة أمام النجمة النحاسية المثبتة في المكان الذي ولد فيه المسيح والتي سبب سرقتها «حرب القرم»، وفي عام ١٨٤٧م أعيد مكان النجمة المسروقة نجمة فضية نقش عليها باللاتينية الجملة التالية:

«هنا ولد المسيح من مريم العذراء»

حكم «حماد البرقي» شيخ عشيرة الكعابنة في بيت لحم
وحكم الشيخ «جابر» والشيخ «عودة الديري»
من الخمَسة في بيت لحم

بقلم: أيوب مسلّم يعقوب مسلّم

امتد الحكم العثماني على فلسطين من عام ١٥١٦ إلى عام ١٩١٨م. بعد سيطرتها على المنطقة أرسلت الحكومة التركية ولاتها ومأموريها إلى البلاد العربية لحكمها إلا أن هؤلاء الولاة والمأمورين عندما قدموا للبلاد وجدوا من مصلحتهم الشخصية ومن الأنسب والأفضل لهم هو التقرب من أصحاب النفوذ من أبناء البلاد وأن يراعوا امتيازاتهم ضماناً لولائهم لهؤلاء الولاة والمأمورين. فقد أخذ هؤلاء الولاة والمأمورين يسندون ويضمّنون جباية أموال الدولة، الضرائب، إلى الزعماء في الأقضية بضمان سنوي بكذا وكذا مبلغ في السنة وأطلقوا أيديهم في جباية الأموال الحكومية على هواهم وبهذه الطريقة اتخذ هؤلاء الضامنون من رجال الحكومة وسيلة يختفون خلفها لبلوغ مآربهم وإشباع جشعهم وذلك برشوة الولاة والمأمورين لضمان سكوتهم. وبهذا الأسلوب ظلموا الشعب وابتزوا أمواله بالضرائب التي ما أنزل اللّه بها من سلطان بحق وبغير حق، وهكذا أصبحت بيت لحم وما جاورها من قرى تعاني أشد صنوف الظلم من إقطاعي جائر ألا هو الشيخ حماد البرقي في أواسط القرن الثامن عشر. ويمت هذا الشيخ بصلة إلى قبيلة الكعابنة وهي عشيرة تعمرية كانت تقطن شرقي بيت لحم بقرب حدود البحر الميت. فقد عهد الولاة والمأمورين إلى هذا الشيخ البرقي جباية الضرائب من الأهلين في منطقة بيت لحم بعد اتفاقهم معه على قيمة الضمان السنوي الذي عليه أن يدفعه لصالح الحكومة. ومن ممارسة حماد لعمله هذا فقد اعتاد هذا الإقطاعي أن يرسل رجاله في كل عام إلى بيت لحم لجمع الضرائب بصورة فظة لا رحمه فيها ولا شفقة وكان تحصيلها على طريقة الشيخ حماد تعني السلب والنهب من سكان المنطقة.

وفي أحد الأعوام عجزت بيت لحم عن دفع ما يطلب منها دفعة من خراج لرجال حماد البرقي بسبب الجفاف والقحط اللذان حلا بالمنطقة وسوء الحال وعدم تدفق السياح على بيت لحم فتوسل الأهالي بشخص مخاتيرهم إلى البرقي لكي يرفع عنهم دفع الخراج في ذلك العام، غير أن التوسل هذا لم يجد قبولا لدى الشيخ حماد البرقي بل زاده قسوة وتصلباً وعلى إثر ذلك أرسل رجاله إلى بيت لحم وأمرهم بجمع الضرائب بالقوة والقسوة مهما كلّف الأمر. ولما رأى رجال البرقي امتناعاً عن الدفع من قبل الأهالي خطفوا طفلين من أطفال

بيت لحم وفروا بهما للاحتفاظ بهما كرهائن إلى أن يتم دفع الضرائب المطلوبة. أقلق هذا الحادث الخواطر لدى الأهالي فأثار حفيظة رجال المدينة وشبابها فولولت النسوة وبكت وغلا الدم في عروق الرجال والشباب وأقسم الجميع على اللحاق بالمختطفين ورد الطفلين إلى ذويهما سالمين أو يموتوا دفاعا عن كرامتهم وحرمة مدينتهم المهانة. وفي يوم ١٣ شباط ١٧٥٥ وهو اليوم الذي خطف فيه الطفلان، تحمس شباب بيت لحم المسلح وعلى رأسهم الشاب حنا يعقوب غانم الجعار وكان عمره آنذاك ٢٢ سنة فقاد نخبة من شباب بيت لحم المسلح ولحقوا برجال البرقي لارجاع الطفلين وانضم إليهم بعض من رجال عشيرة الخَمَسة الذين يقطنون في موقع «خلة حمد» جنوب بيت لحم.

وفيما كان رجال البرقي سائرين بالطفلين يتغلغلون بهما في خلة حمد، وقبل نشوب المعركة بين الطرفين نصح شباب بيت لحم ومعهم رجال الخَمَسة رجال البرقي بإعادة الطفلين لذويهما غير أن هؤلاء- أي رجال البرقي- لم ينتصحوا فحدثت بين الطرفين مشادة كلامية تطورت إلى معركة حامية الوطيس أسفرت عن مقتل رجال البرقي وإعادة الطفلين سالمين إلى ذويهما فأثلج هذا الانتصار صدور الأهلين في بيت لحم، وسقط في هذه المعركة من جانب البيتلحميين الشاب حنا يعقوب غانم الجعار بعد بلاء مستميت في المعركة أبهر الشباب البيتلحمي ورجال الخمسة الذين خاضوا المعركة معه فوقع مقتله في بيت لحم وقوع الصاعقة وتم الاحتفال بدفنه في موكب مهيب اختلطت فيه زغاريد النسوة وأهازيجهن بأزيز رصاص الشباب، وبعد الدفن أعلن رجالات بيت لحم الحداد عليه مدة سبعة أيام على أن لا تقام خلالها الأفراح.

وقد حسب رجالات بيت لحم مع رجال الخمسة حسابا لمقتل رجال البرقي فراحوا بعدها يتدارسون الموقف ويعدون أنفسهم لمعركة قد تقع مع البرقي ورجاله، وفعلاً هذا ما حدث في اليوم الثالث من وقوع المعركة الأولى إذ عاد رجال البرقي بأعداد كبيرة يقودهم الشيخ حماد البرقي نفسه، ونشبت معركة بين الطرفين تمكن خلالها أهل بيت لحم والخَمَسة من التغلب على البرقي ورجاله وقتلوا البرقي وعدداً من رجاله وكانت هذه المعركة هزيمة عنيفة وأليمة لعشيرة الكعابنة وبهذه البطولة الخالدة والفوز الكاسح الذي أحرزته بيت لحم على الشيخ البرقي وعشيرته ارتاحت المدينة من ظلم ظالم ألحقَ الأذى والمهانة بأهلها دون رحمة.

وفي الاجتماع الذي عقده رجالات بيت لحم مع رجالات الخَمَسة تم الاتفاق فيه على تأليف جبهة موحدة من رجال الطرفين تقف في وجه كل من يحاول الاعتداء على بيت لحم وإلحاق الظلم بأهلها وفي هذا الاجتماع اجمعت كلمة الأهل في بيت لحم على أن يحل الشيخ جابر من الخمسة محل البرقي وأن يقوم الشيخ جابر بجمع أموال الضرائب الحكومية من الأهلين بطريقة عادلة ويدفعها إلى الولاة الحكوميين وأن يقوم بحماية المدينة وأهلها، على أن ترحل قبيلة الخَمَسة من موقع خلة حمد وتسكن في ضواحي بيت لحم بمواشيها أي في جهات وادي معالي وحاكورة الأرمن وأن يسكن شيخهم جابر في دير الروم بعد أن خصص له الدير سكناً في المكان المعروف اليوم بالبرج ومن هذا السكن راح الشيخ جابر يلقب بالشيخ جابر الديري لأنه سكن في الدير.

حُكم الشيخ جابر الديري أحد شيوخ قبيلة الخمسة

بعد نهاية البرقي وظلمه كما سبق، وبموجب الاتفاق الذي أبرم بين بيت لحم والخَمَسة تقدم أهالي بيت لحم إلى سلطات الولاة والمأمورين الأتراك يطلبون فيها اعتماد الشيخ جابر شيخ عشيرة الخمسة بجمع الضرائب بدلا من الشيخ حماد البرقي الذي قتل لأن أهل بيت لحم يرتاحون لهذا الشيخ ويثقون به. وافقت السلطات على الطلب واعتمدت الشيخ جابر لجباية الضرائب وارتاح الأهلون لهذه الموافقة لا سيما في السنوات الأولى التي أظهر فيها الديري لباقة وحنكة.

إلا أن عدل الديري والخَمَسة وحفظهم للعهود لم يدم طويلا بل دار الزمن دورته وإذا بالديري هذا ينقلب إلى ثعلب مفترس ظالم يفوق ظلمه ظلم البرقي إذ راح رجاله كرجال البرقي في غطرستهم وظلمهم فقد أخذ هذا الشيخ يضم بعض أراضي بيت لحم إلى أملاكه بالقوة وراح يرهق الأهلين بطلباته الكثيرة ويسلب وينهب ما يملكه الناس حتى إذا رأى رجلا يرتدي ألبسة جديدة كان الديري هذا يخلعها عنه ويأخذها وكذلك فعل رجاله لأن الألبسة الجديدة على قولهم لا تليق إلا بهم، وهكذا بلغ الديري ورجاله القمة في الغطرسة والتعسف ووصلت الوقاحة وقلة الذوق إلى درجة لا تطاق، حتى أنه إذا تزوج شاب أو تعمد طفل أو طهّر كان الديري يجبي من أهله ضريبة خاصة (خاوة) دون أن يستطيع أحد التخلف عن دفعها، وكذلك في الأعياد كان يلزم الجميع أن يحملوا إليه الهدايا القسرية وهي ضريبة المهانة والمذلة والخضوع والعبودية.

وفي أحد الأيام سمع الديري أن لدى السيد عيسى حزبون، أحد وجهاء بيت لحم وعقيد ال حزبون، عدة قهوة جديدة جاءته هدية من أحد أقاربه المقيم في مصر. وعدة القهوة هذه هي عبارة عن عدة أباريق نحاسية مع فناجين قهوة «عبدويات» ومحماسة ومهباش، ومن كان يملك في بيته عدة قهوة كهذه كان يعتبر من الشيوخ الكبار ومن الأغنياء. ولما علم الديري بها أرسل أحد رجاله إلى السيد حزبون يطلب منه العدة، فرفض حزبون طلبه إلا أن الديري عاد وطلب من السيد حزبون أن يقابله في ديوانه في الدير ولما حضر حزبون طلب إليه الديري أن يعيره عدة القهوة ليقدم فيها يوم العيد فقط ثم يعيدها إليه. وافق حزبون على طلبه ولما عاد للبيت أرسل العدة مع أحد أقاربه وراح ينتظر إلى أن انتهت أيام العيد وانتهت بعدها عدة أيام ولكن الديري لم يعد الأمانة إلى صاحبها. أرسل حزبون أحد أبنائه لارجاع عدة القهوة فما كان من الشيخ جابر إلا أن تجهم وجهه وقطب حاجبيه وقال لابن حزبون اذهب وقل لأبيك أن هذه العدة لا تصلح لرجل وضيع مثله بل تصلح فقط لعظيم مثلي، ولما عاد ابن حزبون إلى بيته وقال لأبيه ما قاله الديري استشاط الوالد غضباً بعد سماع هذا القول من ابنه؛ بعد ذلك عاهد حزبون اللّه أن لا يشرب القهوة في بيت لحم طالما الديري جابر فيها.

وما سمع عن بعض الناس، وما تناقله الخلف عن السلف أن الشيخ جابر هو الذي قسم كنيسة المهد بين الطوائف الثلاثة وعين لكل طائفة أوقات صلاتها ولكن هذا القول يتطلب تصديق الأديرة عليه ولكن الأديرة تنفي هذا القول.

وقد أصبح من عادات هذا الديري أن يأمر شيوخ البلد أن يرافقوه في تجواله وتنقلاته كحاشية تسير في ركبه ويقال إن الشيخ عوض الدلو، شيخ عشيرة الفواغرة في بيت لحم، وهو المكلف بحمل غليون الديري ويتبعه كظل له أينما ذهب وحل، ذهب هذا الشيخ الدلو مرة منفرداً ليعيّد على رئيس الدير ويرفع إليه التهاني بمناسبة عيد الميلاد ولما علم الديري بالأمر استدعى الشيخ الدلو وقال: «ويلك يا شقي بشوفك صرت شيخ صحيح، ولهذا ولأنك قمت بعملك هذا منفرداً دون موكب وفي مثل هذه المناسبة، فإني أمهلك مدة أسبوع واحد حتى ترحل أنت وعشيرتك الفواغرة من بيت لحم وإلا أمعنت بقتلك بلا رحمة.»

ولما سمع الشيخ الدلو بهذا التهديد الجاد انكب على قدمي الشيخ يستعطفه ويطلب منه السماح هذه المرة غير أن الديري الظالم بقي مصرا على تهديده ثم ركله برجله وطرده من حضرته. وعندما خرج الشيخ الدلو من ديوان الديري لم يذهب الي بيته بل توجه لتوه لمقابلة الأمير المسعودي شيخ اليمانية الذي كان يقطن جهات مدينة أريحا فأطنب عليه واستند به ورجاه أن يتوسط له ولعشيرته لدى الشيخ جابر الديري ليعفو عنه وعن عشيرته وألا يقوم بطردهم من بيت لحم.

لبى الأمير المسعودي طلب الشيخ عوض الدلو وتوجه معه إلى بيت لحم وحل فيها ضيفاً على الشيخ جابر الديري وبعد مراسيم الضيافة فاتحه الأمير المسعودي بأمر العفو عن الشيخ الدلو وعشيرته ولكنه وجد منه رفضاً وتعنتاً واصراراً على عدم العفو وضرورة تنفيذ تهديده، أغاظ هذا التعنت الأمير المسعودي غيظاً شديداً وصمم بعد هذا الموقف المتعنت من الديري على الفتك به في ساعة عودته إلى منطقة أريحا. وبعد أن استعدت عشيرة الفواغرة واستعد رجالها وأعدوا عائلاتهم للرحيل عن بيت لحم لجهات الخليل وبعض قرى العرقوب حيث لا سلطة للديري عليها. همّ الأمير المسعودي أن يودع الديري ليعود إلى منطقته وبينما يهمّ الأمير المسعودي أن يركب حصانه استل خنجره وطعن به الشيخ جابر وأرداه قتيلا. وما كان من شباب الفواغرة والتلاحمة الذين كانوا بانتظار هذه اللحظة إلا أن أغاروا على رجال الديري ونشب بين الطرفين قتال مرير سقط خلاله عدد من القتلى من الطرفين. وما أن انتشر خبر مقتل الشيخ الديري حتى اجتمع أفراد عشيرته وابرموا صلحاً مع أهالي بيت لحم، وقام بعدها الشيخ عودة باصلاح الأمور المتوترة بين أهالي بيت لحم والخَمَسة، وما أن هدأت الأمور نوعاً ما في بيت لحم حتى اعتمد هذا الشيخ الجديد عوده - وبعد موافقة السلطات عليه - لجباية الضرائب.

عهد حكم الشيخ عودة الديري

لم يعتبر هذا الشيخ ورجال قبيلته الخَمَسة مما وقع لحماد البرقي وجابر الديري ولم يعملوا على تلطيف حدة ظلمهم وغطرستهم، بل ازدادوا طغيانا حتى ضج منهم القاصي والداني وحيال كل هذا أخذت فكرة خلع نير الخَمَسة نهائياً من بيت لحم تراود الأهلين في بيت لحم وحتى أهل القرى المجاورة والعشائر التعمرية الضاربة حول مدينة بيت لحم، وحدث أن سمع السلطان محمد الثاني بظلم الشيخ

عودة وأفراد عشيرته بحق الأهالي في بيت لحم كتب إليه يأمره بالحد من غطرسته وظلمه وضرورة معاملة الأهلين باللين والحسنى غير أن الشيخ عودة أجاب السلطان رداً على طلبه بقوله: «للسلطان سلطانه في بلاده وللشيخ عودة سلطانه في بلاده». ولما بلغت الغطرسة والسلب والنهب والظلم غايتها وأصبحت هي نهج الشيخ عودة ورجاله فقد دفع هذا الأهلين في بيت لحم أن يصمموا على الثورة ويعدوا لها سرا وذلك للخلاص من الخمسة وشيخهم عودة.

عقدت الاجتماعات السرية في بيت لحم وأحكمت خلالها خطة الثورة وظل كل شيء مكتوماً إلى أن يحين موعد البدء بالثورة، وفي ليلة ١٧ آب ١٧٦٠م انقض الأهلون في بيت لحم وحلفاءهم من التعامرة والفواغرة على الخَمَسة وفتكوا بهم وطردوا من بقي منهم حيا، من بيت لحم إلى بيت فجار وبهذه البطولة التي سطرها الأهلون وضعوا نهاية للظالمين وتنفسوا بعدها الصعداء وزال عن صدورهم كابوس الظالمين الجائر بعد أن طال مداه.

كيف تمت المعركة

كان على الشخص الذي كلف بإعطاء الإشارة لبدء الثورة في موعدها المحدد واسمه حنا وهو من بيت لحم من عائلة «أبو خليل» حيث كان يعمل في دير اللاتين المطل على المقبرة المقامة في موقع الجمعية الأرثوذكسة اليوم. وكانت تعني هذه الإشارة أن الطريق ممهدة وخالية للهجوم على مقر الشيخ عودة في البرج، وما أن شاهد الرجال الكامنين في تلك المقبرة الإشارة حتى هجموا من جهة دير اللاتين على مقر الشيخ عودة في البرج حيث صعدوا البرج الذي يقيم فيه الشيخ عودة ولكنهم لم يجدوه بل وجدوا عبدين من حراسه فقتلوهما واستحكموا في أسوار الدير من جميع جهاته وهجم فريق آخر من الرجال المسلحين على واد معالي حيت الخَمَسة متواجدون، وآخرون هجموا على موقع الخَمَسة في حاكورة الأرمن حيث كان الشيخ عودة يحتفل بعرس أحد أبنائه وفي هذين الموقعين دارت معارك حامية قضى فيها الأهلون في بيت لحم على الشيخ عودة ورجاله من الخَمَسة وقد وقعت المعركة الكبرى في واد قواس حيث كان يقطن معظم أفراد عشيرة الخَمَسة وكانت معركة مريعة دفعت بأحد أبناء بيت لحم أن يخلدها بقصيدة هذا مطلعها:

يا نسر يا شايب الراس مالك على الدار حايم
هود على واد قـواس هناك تلقى الرمايم
نشكر رجال المهـد يوم الوغى والمكارم
كيف يردون الضيـم ولا يرضخون للمظالم

اختلفت الروايات في كيفية البدء بالثورة فمنها ما يقول أن شابا من بيت لحم أطلق النار على الشيخ عودة بينما كان يصلي على سطح دار أحد أولاده التي كان يجري فيها مهرجان عرس أحد أبنائه في موقع حاكورة الأرمن، ومن هنا انتشرت الثورة إلى باقي مواقع الخمسة، ومنها ما يقول بأن الشيخ عودة الديري ورجاله كانوا يحتفلون بعرس أحد أبنائه في ساحة المهد، فما أحسوا إلا بالرصاص ينهال عليهم ويحصدهم حصداً ظانين أن الجحيم فتحت نارها عليهم واضطربوا حينما أطبقت عليهم الرجال من كل جهة وأعملوا فيهم السيف.

بعد هذه المعركة الخالدة التي أظهر فيها أبناء بيت لحم الشجاعة والبطولة، طلب الأهلون في بيت لحم من إخوانهم الفواغرة العودة إلى حيهم في بيت لحم ولدى حضورهم استقبلوا في بيت لحم بمنتهى الحفاوة وقد أقسم الأهلون في بيت لحم على العيش بسلام ووئام واتحاد ضد كل معتد آثم تحدثه نفسه الاعتداء على بيت لحم وأهلها، ثم قسمت الأراضي بعد ذلك فيما بينهم حسب الحارات وقد خصصت أراضي بيت لحم الغربية المعروفة اليوم بالدهيشة إلى حارة الفواغرة وأما باقي الأراضي الشرقية فقد خصصت لباقي حارات بيت لحم المسيحية وهي الأراضي الممتدة حتى حدود البحر الميت.